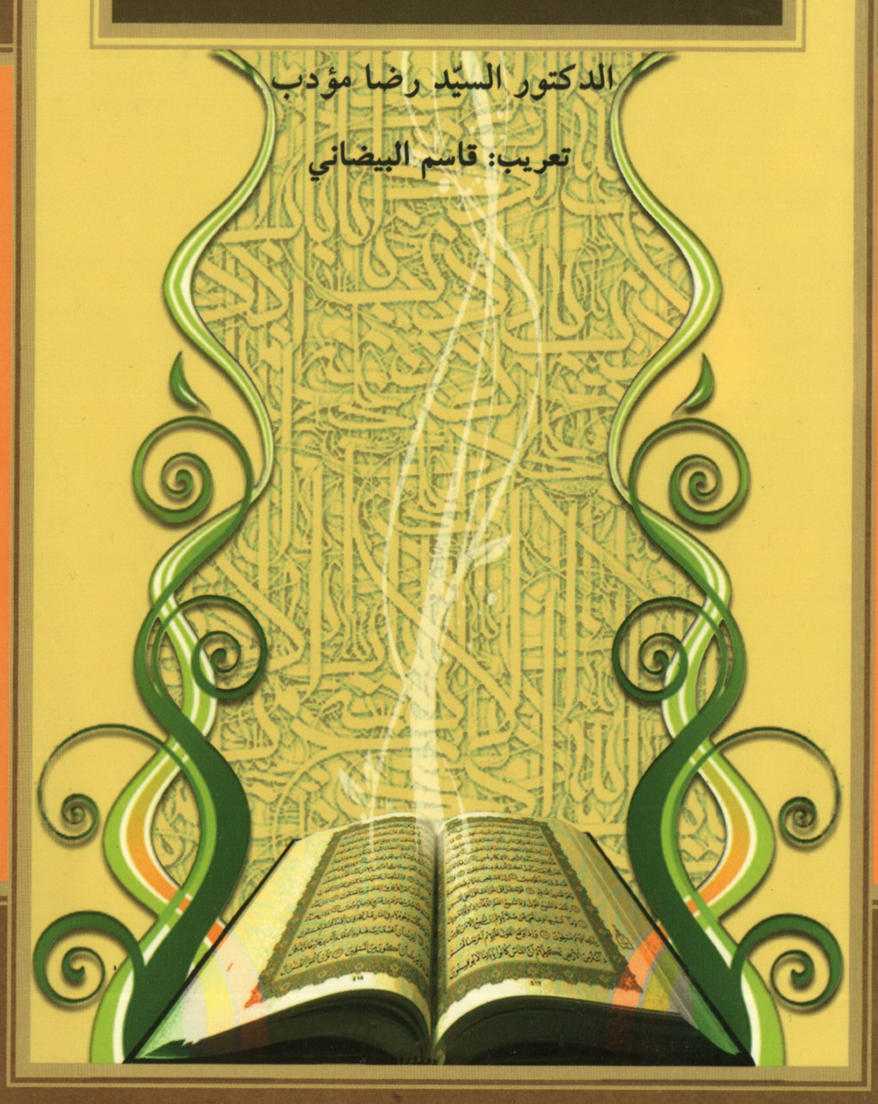
إعجاز القرآن

الدكتور السيّد رضا مؤدب

تعريب: قاسم البيضاني



بسم الله الرحمن الرحيم





مكتب التخطيط
وتقنية التعليم



إعجاز القرآن

الدكتور السيّد رضا مؤدب
تعريب: قاسم البيضاني


دار المصطفى العالمية
التابعة لجامعة المصطفى العالمية

مودب، سيد رضا
اعجاز قرآن / سيد رضا مودب؛ تعريب: قاسم البيضاني؛[ل] جامعة المصطفى العالمية، مكتب التخطيط وتقنية التعليم. -- قم: جامعة المصطفى العالمية، ۱٤۳۰ق. = ۱۳۸۸.
۱۸۳ ص. ـ (جامعة المصطفى العالمية، مكتب التخطيط وتقنية التعليم ؛ ۱۰۱)
ISBN: 978-964-195-122-3
۲۳۰۰۰ ريال
عنوان اصلى: اعجاز القرآن
عربى.
فهرست‌نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه: ص. [۱۸۱] - ۱۸۳؛ همچنين به‌صورت زيرنويس.
نمايه.
۱. قرآن -- اعجاز . ۲. قرآن -- مسائل ادبى. الف. البيضاني، قاسم، مترجم. ب. جامعة المصطفى العالمية. ج. عنوان.
BP۸٦ / ۸ م ٦۰٤۳الف
۲۹۷ / ۱۵۸

إعجاز القرآن

المؤلّف: الدكتور السيّد رضا مؤدب

تعريب: قاسم البيضاني

الطبعة الأولى: ۱٤۳۰ق / ۱۳۸۸ش

الناشر: دارالمصطفى العالمية

الإخراج الفني: السيّد مهدي عمادي المجد

المطبعة: اميران ● **السّعر:** ۲۳۰۰۰ ريال ● **عدد النّسخ:** ۲۰۰۰

التوزيع:

● قم، استدارة الشهداء، شارع الحجتيه، مقابل مدرسه الحجتيه، محل بيع دارالمصطفى العالمية.
هاتف ـ فكس: ۰۲۵۱۷۷۳۰۵۱۷

● قم، شارع محمد الامين، تقاطع سالارية، قرب جامعة العلوم، محل بيع دارالمصطفى العالمية.
هاتف ـ فكس: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱٤٦ ـ ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰٦

www.miup.ir , www.eshop.miup.ir
E-mail: admin@miup.ir, Root@miup.ir

كلمة المكتب

لاشك أنّ وضع مناهج دراسيّة ذات فاعليّة ومرونة لايتيسر إلّا إذا كانت بمستوى تطلعات الحياة الحديثة والتّطورات الهائلة الّتي شهدها اللم في فروع المعرفة، لا سيّما في حقل المعلومات والثّورة المعلوماتيّة، والّتي بدأت تجتاح كافة مناحي الحياة، وتلح على ضرورة وضع مناهج دراسيّة عصريّة وإعداد متخصّصين.

وفي الإطار ذاته فقد أدى ذيوع الثقافة السّلطويّة في العالم والعولمة الثّقافيّة مهن قبل وسائل الإعلام المرئيّة وغير المرئيّة إلى ضهور مستجدات وشبهات حادة وعالقة لا يمكن إجهاضها إلّا من خلال إنشاء مراكز تعليميّة تأخذ على عاتقها وضع مناهج دراسيّة عصريّة وتجنيد الطّاقات العلميّة فى سبيل نشر أفكار إيجابيّة بناءة وقيم متعاليّة بأسلوب حديث بغية تحصين عقائد المسلمين من الإنهيار أمام تلك الشّبهات.

إنّ انتعاش المراكز التّعليميّة رهن نظام تعليمي دقيق ثابت ومجرب، وتشكّل البرامج التّعليميّة والمناهج الدّراسيّة والأساتذة عموده الفقري.

وتكمن فاعليّة هذه البرامج في تجاوبها مع متطلبات العصر وتوفير الإمكانيات ومؤهلات الطّلاب. كما أنّ تقويم المناهج الدّراسيّة يعتمد إلى حد كبير على طرحها لآخر المنجزات العلميّة بأحدث الأساليب المتبعة في التّربية والتّعليم، هذه المراكز بحاجة ماطة إلى التّقويم الدّائم وإعادة النّظر في مناهجها الدّراسيّة وتجديدها بأرقى الأساليب وفق آخر ما وصلت إليه التّقنيات العلميّة بغية الحفاظ على مستوى نشاطها العلمي.

إنّ حوزات العلوم الدّينيّة الّتي تقع على عاتقها مهمة إعداد علماء الدّين ونشر المبادىء الإسلاميّة غير مستثناة من هذه القاعدة، باعتبارها من مؤسسات التّعليم الدّيني.

ومن حسن الحظ فإنّ الحوزات العلميّة ـ وببركة الثّورة الإسلاميّة العظيمة بقيادة الإمام الخمينيقُدِّسَ سِرُّهُ ـ أخذت منذ سنوات عدّة التّفكير جدياً في إصلاح نظامها التّعليمي، وتجديد النّظر في مناهجها الدّراسيّة.

وإنطلاقاً من الشّعور بالمسؤوليّة قامت جامعة المصطفىصلى الله عليه وآله العالميّة ـ الّتي تمثّل جزءاً من هذه المجموعة وتضطلع بمهمة تعليم الطّلّاب غير الإيرانيين ـ قبل غيرها من سائر المؤسسات التّابعة للحوزة بإنشاء مكتب التّخطيط وتقنية التّعليم.

هذا المكتب مع تثمينة للجهود المضنية الّتي بذلها العلماء في سبيل التّجاوب مع هذه الحاجة، واقتطافه ثمار نتاجاتهم العلميّة سعى إلى تنظيم المناهج الدّراسيّة وفق برامج مستوحاة من الأساليب التّعليميّة المعتمدة على آخر المنجزات العلميّة.

وقد أنجزت حتى الآن ـ بفضل همّة وإرادة الباحثين وفضلاء الحوزة ـ الخطوات الأولى لهذا المشروع من خلال تأليف ما يربو على المئة كتاب دراسي في مجالات العلوم الدّينيّة والإنسانيّة المختلفة.

والكتاب الذي بين يديك (إعجاز القرآن) يمثّل أحد النّماذج المختارة من هذه الكتب، وهو يعني بالبحث حول مسائل إعجاز القرآن.

ويعد هذا الكتاب خطوة راسخة في هذا الطّريق، وجهداً يستحق التّقدير، بذله حجّة الإسلام الدكتور رضا مؤدب وترجمه إلى العربيّة الأخ الفاضل قاسم البيضاني. فشكراً متواصلاً لهما ولجميع الّذين ساهموا في إنجاز هذا العمل.

وفي الختام لابدّ من القول إن إيّ عمل لا يكاد يخلو في بداياته من زلات وهفوات؛ ولذا فإننا نتطلع إلى أصحاب العلم والفضيلة الّذين نأمل أن لايضنوا علينا بآرائهم الصّائبة، فهذا التّطلع هو مهماز شروعنافي العمل ومبعث أملنا بمستقبل زاهر.

دار المصطفىصلى الله عليه وآله العالمية
التابعة لجامعة المصطفىصلى الله عليه وآله العالميّة

الفهرس

المدخل

من جملة المباحث المهمّة حول القرآن موضوع إعجاز القرآن، وقد تنبّه الباحثون والمفسّرون لهذا البحث القرآني مبكراً، وما زالت هناك محاولات كثيرة وجديدة في هذا المجال، وتكشّفت زوايا جديدة من عظمة هذا الكتاب السّماوي، وسوف نتعرّض في هذا الكتاب إلى ضرورة دراسة هذا الموضوع، وطرح رؤية المعصومين وعلماء المسلمين في الإعجاز القرآني، ثمّ نقوم ببحث وجوه الإعجاز باختصار مؤكّدين أنّه على الرّغم من أنّ كلّ وجه من الوجوه الإعجازيّة للقرآن كانت مثار إعجاب العلماء إلا أنّنا إذا أخذنا بنظر الاعتبار جميع الوجوه الإعجازيّة سوف تتكشّف عظمة هذا الكتاب الإلهي أكثر من السّابق.

والكتاب الّذي بين يديك هو الطّبعة الثّانية المنقّحة عن طريق «مكتب التّخطيط وتقنية التّعليم» التّابع لجامعة المصطفى ﷺ العالمية، آملين أن تكون موضع استفادة طلبة العلم في هذا المركز والمراكز الأخرى.

ومن هنا نتقدّم بالشّكر الجزيل لجميع العاملين في هذا المكتب، وخصوصاً حجّة الإسلام والمسلمين الدّكتور عزّ الدّين رضا نجاد (مدير المكتب) سائلين المولى دوام التّوفيق لهم.

وفي الختام نرى من اللّازم تقديم الشّكر للأساتذة الّذين قاموا بتقديم ملاحظاتهم وانتقاداتهم للارتقاء بمستوى الكتاب.

السيّد رضا مؤدب
ربيع عام ١٣٨٦



١
تمهيد

ضرورة إعجاز القرآن

الهدف من إعجاز القرآن هو تحصيل اليقين والصّدق بقول الأنبياء عليهم السلام، ومن الممكن أن يسلّم بعض الأفراد بالرّسالة ونبوّة النّبي دون الحاجة إلى الإعجاز، فيصدقوا بقوله بما يملكون من طهارة روحيّة، فيؤمنوا به طبقاً للشواهد والقرائن كالصّدق والإمانة الّتي يتّصف بها مدّعي الرّسالة، فلا يحتاجوا إلى معجزة فيسلّموا بكلّ ما يقوله مدّعي الرّسالة ويطيعوه سواء تبيّنت لهم الحكمة أم لا، لأنّهم وصلوا إلى يقين بأنّ صاحب الرّسالة مبعوث من قبل الله.

غير أنّ البشر ليسوا كلّهم على تلك الشّاكلة، فلم يكن من السّهل على البعض أن يؤمنوا بأي شخص ما لم تظهر لهم شواهد وأدلّة على صدق مدّعي الرّسالة فلا يطيعوا المرسل إذا لم يحصلوا على اليقين بصدقه، ولذلك من الطّبيعي أن يطلبوا منه أن يأتي بمعجزة، كدلالة على ارتباطه بعالم الغيب، ولكي يثبت لهم أنّه شخص غير عادي، بل هو مبعوث من قبل الله سبحانه.

إنّ اثبات صدق وحقّانية الأنبياء لهؤلاء يعتبر أمراً ضروريّاً، وبالأخص بالنّسبة لمن هم في موقف العناد والمخالفة، وليسوا مستعدين للإيمان بالأنبياء بسهولة.

وعلى أيّة حال لا بدّ لكلّ نبيّ أن يأتي بمعجزة لإتمام حجّته على الناس، جاء في خطاب موسى عليه السلام لفرعون:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾.[١]

---

١. الشعراء: الآيه ٣٠.

فردّ عليه فرعون قائلاً: ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ عند ذلك ألقى موسى عصاه، فتحولت إلى ثعبان، كما يقول تعالى في القرآن: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾.[1]

إنّ مسألة الإعجاز كانت من أجل اثبات الرّسالة، فاذا لم تكن هناك معجزة فإنّ النّاس عادة ما ينفضّون عن النّبيّ، ولا يؤمنوا به، فيُحرمون من فيض المعارف الإلهية، يقول العلاّمة الطّباطبائي: «الإعجاز ليس لإثبات المعارف الإلهيّة إنّما لإثبات الرّسالة وتصديق الأنبياء.[2] ويقول الخواجه نصير الدّين الطوسي: «طريق معرفة صدقه، ظهور المعجزة على يده».[3]

السّابقة التأريخيّة لبحث الإعجاز

رغم أنّ بداية نشأة مباحث الإعجاز غير واضحة لنا تماماً، إلّا أنّ هذا الموضوع كان من أوائل المباحث المتعلّقة بالقرآن. لم يستخدم القرآن الكريم لفظ «الإعجاز» بل كان يذكر بدلاً عن ذلك لفظ «الآية والبينة» ولذلك فإن مصطلح «المعجزة» ورد في بعض الرّوايات[4] ثمّ شاع بعد ذلك كغيره من الاصطلاحات الأخرى،[5] إضافة إلى ذلك فإنّ القرآن لم يذكر تعبير «خارق العادة» أيضاً، فاصطلاح المعجزة إنّما نشأ عن طريق علماء الإسلام.

نلاحظ في آثار المفسرين والمتكلّمين والأدباء أنّهم كانوا يعتقدون أنّ القرآن يعتبر دليلاً على صدق الرّسالة، ومن خلال الدّراسات التّأريخيّة يتبيّن أنّ مبحث الإعجاز بدأ في النّصف الثّاني من القرن الثّاني.[6]

حاول علماء الأسلام في بداية الأمر إثبات سلامة القرآن من التّناقض والاختلاف، نتيجة للشّبهات الّتي عرضها المخالفون، فتعرضوا لمباحث العبارات والألفاظ، والتّراكيب والفنون الأدبيّة البديعة، وتشبيهات القرآن؛ لكي يبيّنوا عظمته، وفي نهاية القرن الثّاني وبداية القرن

---

١. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٨٢ـ٨٦
٢. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٨٢ـ٨٦
٣. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٢٧٥.
٤. بحارالأنوار (كتاب النبوة)، المجلسي، ج١١، ص٧١.
٥. إعجازالقرآن، أبي عبيده، ص٢٠٨.
٦. إعجاز القرآن البياني، ص٤٨.

الثّالث أضحت المباحث المطروحة في إعجاز القرآن أكثر استحكاماً، ودوّنت في كتب مستقلة مثل: (معاني القرآن) ليحيى بن زياد الضّراء (المتوفّى ۲۰۷هـ)، وكتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن مثنى (المتوفى ۲۰۹).

وفي القرن الثّالث طرح أبو إسحاق إبراهيم نظام المعتزلي (المتوفّى ۲۲۰) نظرية الصّرفة المتعلّقة بنظم القرآن، الأمر الّذي ردّها تلميذه أبو عثمان عمرو ابن بحر بن محبوب المشهور بالجاحظ (المتوفّى ۲۵۵)، فدوّن كتاب «نظم القرآن»[1]، وقد دوّن هذا الكاتب كتاب آخر تحت عنوان: «الحيوان» ذكر فيه إعجاز القرآن أيضاً[2]، وقد نالت تلك الأفكار اهتمام علماء آخرين ومن علماء القرن الثّالث محمد بن سعيد الباهلي (المتوفى ۳۰۰) الّذي دوّن كتاب «إعجاز القرآن». وقد توسع بحث الإعجاز في القرن الرّابع، فقام محمد بن يزيد الواسطي (المتوفى ۳۰٦) بتدوين كتاب «إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه»، وعلي بن عيسى الرماني (المتوفى ۳۸٤) ـ من متكلمي المعتزلة ـ كتاب «النكت في إعجاز القرآن»[3] وأحمد بن ابراهيم الخطابي (المتوفى ۳۸۸) رسالة مختصرة تحت عنوان «بيان إعجاز القرآن».

أمّا في القرن الخامس، فقد دوّن أبو بكر محمّد بن طيب الباقلاني (المتوفى ٤۰۳) كتاب (إعجاز القرآن) مبيناً حدوده، وبعد ذلك تعرّض القاضي عبد الجبّار (المتوفى ٤١٥) في المجلد السّادس عشر من كتاب «المغني في أبواب التّوحيد والعدل» إلى هذا الموضوع، إضافة إلى ذلك فقد تناول كلّ من: ابن سراقة (المتوفّى ٤۲۰)، والشّريف المرتضى(المتوفى ٤۳٦)، و الشّيخ الطوسي (المتوفى ٤٦۰)، وعبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤۷١) صاحب كتاب (دلائل الإعجاز)، لهذا البحث أيضاً.[4]

وفي القرن السّادس تعرّض كلّ من محمود بن عمر جار الله الزمخشري (المتوفى ٥٤٦) في بداية تفسيره «الكشّاف»، ورسالة أخرى تحت عنوان «إعجاز القرآن في سورة الكوثر» وكذلك القاضي عياض (المتوفى ٥٤٤) في كتاب «إعجاز القرآن» وابن عطية الإندلسي (المتوفى ٥٤٦) في بداية تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» والشّيخ الطّبرسي

---

١. إعجاز القرآن، ص١٥٢.
٢. الحيوان، ج٣، ص٤٢٨٨، الفهرست، ابن النديم، ص٦٥.
٣. المعجزة الكبرى، ص٨٤ الإعجاز البياني، ص٨٨
٤. الإعجاز في دراسات السّابقين، ص ١٥٠ ـ ٣٧٢.

(أمين الإسلام) (المتوفى ٥٤٨) في مقدّمة تفسير «مجمع البيان في علوم القرآن» والمرحوم سعيد بن حسين هبة الله الرّاوندي (المتوفى ٥٧٣) المحدِّث الكبير في كتاب «إعجاز القرآن وتفسير سورة الكوثر».

ومنذ القرن السّابع الهجري وحتّى الوقت الحاضر دوّن علماء كبار أمثال الفخر الرّازي (المتوفى ٦٠٦) كتاب «إعجاز القرآن ودلائل الإعجاز»، الزّملكاني (المتوفى ٦٥١) كتاب «التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن»، وأبو اسحاق الخزرجي (المتوفى ٧٠٩) كتاب «إيجاز البرهان في إعجاز القرآن» وأبو الخير الجزري الدّمشقي (المتوفّى ٨٣٣) كتاب «إعجاز القرآن في آية يا أرض ابلعي»،[1] والسّيوطي (المتوفى ٩١١) كتاب «معترك الأقران في إعجاز القرآن» والعلّامة الطباطبائي (المتوفى ١٤٠٥هـ) و...

آثار السّابقين في الإعجاز

غالباً ما يتناول علماء الإسلام إعجاز القرآن في كتب التّفاسير في ذيل الآيات (٨٨) من سورة الاسراء و(٢٣) من سورة البقرة، وآيات التّحدي، أمّا بعض المفسّرين فقد تناولوا بحث الإعجاز في مقدّمة تفاسيرهم، مثل الرّاغب الأصفهاني، الفخر الرّازي، الطّبرسي، الزّمخشري، البلاغي، العلّامة الطباطبائي و... ولكن هناك من دوّن كتباً مستقلة في هذا البحث، أو قام بتخصيص مبحثاً مستقلاً في كتبه، وفيما يلي بعض من دوّن في هذا الموضوع طبقاً لتأريخ التّدوين:

١. نظم القرآن، أبو عثمان بن بحر الجاحظ (المتوفى ٢٥٥).
٢. إعجاز القرآن البياني، أبو عبد الله محمّد بن يزيد الواسطي (المتوفى ٣٠٦).
٣. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (المتوفّى ٣٧٦) قسم إعجاز القرآن.
٤. النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي الرّماني (المتوفّى ٣٨٤).
٥. بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان محمّد بن إبراهيم الخطابي (المتوفّى ٣٨٨).
٦. إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر محمّد بن طيب الباقلاني (المتوفّى ٤٠٣).
٧. إعجاز القرآن والكلام في وجوهه، محمّد بن النعمان، الشّيخ المفيد (المتوفّى ٤٠٣).
٨. الشّفاء، الشّيخ الرئيس أبو علي سينا (المتوفّى ٤٣٨)، قسم المعجزات.

---

١. در آمدى بر تاريخ علوم قرآنى [بالفارسيّة]، ص٢٥٤.

٩. الصّرفة في إعجاز القرآن، السيّد المرتضى (المتوفّى ٤٣٦).
١٠. الإقتصاد في أصول الإعتقاد، محمّد بن الحسن الطّوسي (المتوفى ٤٦٠).
١١. إعجاز القرآن، حسين أحمد النيشابوري (المتوفّى ٤٦٥).
١٢. سر الفصاحة، أبو محمّد عبد الله بن محمّد الخفاجي (المتوفّى ٤٦٦).
١٣. إعجاز القرآن الكبير، أبو بكر عبد القاهر عبد الرّحمن الجرجاني (المتوفّى ٤٧١) ومؤلّف: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.
١٤. الإرشاد في أصول الاعتقاد، أبو المعالي (المتوفى ٤٧٨)، قسم المعجزات.
١٥. إحياء علوم الدّين، الغزّالي (المتوفّى ٥٠٥)، قسم المعجزات.
١٦. الشّفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عباس (المتوفّى ٥٤٤).
١٧. نهاية الأقدام في علم الكلام، أبو الفضل محمّد بن عبد الكريم (المتوفّى ٥٤٨).
١٨. التّنبيه على إعجاز القرآن، محمّد بن أبي القاسم الخوارزمي (المتوفّى ٥٦٢).
١٩. إعجاز القرآن، القاضي أبو الحسن علي بن زيد الرّازي (المتوفّى ٦٠٤).
٢٠. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الفخر الرّازي (المتوفّى ٦٠٤).
٢١. أحكام القرآن، ابن عربي محمّد بن عبد الله (المتوفّى ٦٢٨).
٢٢. مفتاح العلوم في البلاغة، أبو يعقوب بن أبي بكر السّكاكي (المتوفى ٦٢٩).
٢٣. المثل السّائر، ضياء الدّين ابن اثير (المتوفى ٦٣٧).
٢٤. بديع القرآن، زكي الدين بن أبي الأصبع (المتوفى ٦٤٥).
٢٥. البيان في الإعجاز، عبد الواحد الزّيلكاني (المتوفى ٦٥١).
٢٦. ثبوت النّبوة والمعجزات، تقي الدّين أبو العباس (المتوفى ٧٢٨).
٢٧. الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان، شمس الدّين ابن القيم (المتوفى ٧٥١).
٢٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدّين الزّركشي (المتوفى ٧٩٤)، قسم الإعجاز.
٢٩. بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدّين الفيروزآبادي (المتوفى ٨١٧).
٣٠. تبصير الرّحمن وتيسير المنّان ببعض ما أشير إلى إعجاز القرآن، علي بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (المتوفى ٨٣٥).
٣١. شرح المصباح، أبو العباس أحمد بن عثمان الأزدي (المتوفى ٨٣٧).

٣٢. معتبر الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدّين السّيوطي (المتوفى ٩١١)، الإتقان في علوم القرآن، قسم الإعجاز.
٣٣. الإيجاز في علم الإيجاز، ضياء الدّين بن غياث الدّين (المتوفى ١٠٣٥).
٣٤. رسالة التّوحيد، محمّد عبده (المتوفى ١٣٢٣).
٣٥. الشّهاب المبين في إعجاز القرآن، أبو القاسم بن محمّد تقي (المتوفى ١٣٣٣).
٣٦. الوحي المحمّدي، رشيد رضا (المتوفى ١٣٥٤).
٣٧. إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، مصطفى صادق الرّافعي.
٣٨. التّصوير الفنّي في القرآن، سيد قطب.
٣٩. المعجزة الخالدة، السيّد هبة الدّين الشّهرستاني.
٤٠. البيان في تفسير القرآن، آية الله أبو القاسم الخوئي، قسم الإعجاز.
٤١. المعجزة الكبرى في القرآن، محمّد أبو زهرة.
٤٢. الإعجاز العدّدي في القرآن، عبد الرّزاق نوفل.
٤٣. الإعجاز البياني، عائشة عبد الرّحمن، بنت الشّاطئ.
٤٤. الإعجاز في دراسات السّابقين، عبد الكريم الخطيب.
٤٥. إعجاز القرآن، العلّامة محمّد حسين الطباطبائي.
٤٦. التّمهيد في علوم القرآن، محمّد هادي معرفة (قسم الإعجاز).
٤٧. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الأرنؤوط.
٤٨. پژوهشی در إعجاز علمي قرآن، محمّد علي الرّضائي الاصفهاني
٤٩. إعجاز القرآن بين الأشاعرة والمعتزلة، مير سلطان.
٥٠. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، النّجدي.

تعريف المعجزة

ترجع كلمة المعجزة في اللّغة إلى «عجز» الّتي تعني مؤخّر الشّيء،[١] كما ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ

---

١. مفردات الرّاغب، كلمة عجز، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٢٣٤.

ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ﴾.[١]

يقول العلّامة الطبرسي في معنى الآية ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾، أي: أسافل نخل منقلع،[٢] **وبما أنّ** من عادة الإنسان العاجز الضعيف أن يكون في آخر القافلة سمّي «عاجز أو ضعيف»، **ومن هنا** فإنّ الضعف والعجز موجود في مفهوم «العجز» رغم أنّ الضعف لا يعتبر جزءاً من **المعنى** الأصلي للعجز؛ ولذا فإنّ الإعجاز هو إيجاد العجز في الطرف المقابل.

أمّا المعجزة في الإصطلاح فهناك عدّة تعاريف نشير هنا إلى عدد منها:

أـ يقول الخواجه نصير الدّين الطوسي في تعريف المعجزة: «هو ثبوت ما ليس بمعتاد **أو** نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدّعوة».[٣]

ويعتقد الشّيخ نصير الدّين الطوسي (المتوفى ٦٧٢) أنّه ليس هناك فرق بين الإثبات العملي ونفيه، بل المهم هو «خرق العادة» سواء كان بشكل إثباتي، كتبديل العصا إلى حيّة، أو بشكلها السّلبي، كسلب القدرة عن الشّيء، كما حدث في قصّة ذبح إبراهيم لولده إسماعيل، أو صيرورة النّار برداً وسلاماً على إبراهيم و...

ب ـ عرف جلال الدّين السّيوطي (المتوفى ٩١١) المعجزة، كالتالي:

«أمر خارق العادة مقرون بالتّحدي، مصون عن المعارضة».[٤]

ج ـ آية الله الخوئي، قال في تعريف المعجزة: «أن يأتي المدّعي من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطّبيعة، ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه».[٥]

شرائط الإعجاز

١. إدّعاء النّبوّة

يعدّ فعلاً ما معجزة إذا ما قام بها الشّخص لإثبات الحقّ، ولذلك فإنّ حركة الشّمس والقمر والنّجوم و... لا تعتبر معجزة رغم عجز الإنسان عنها. لأنّها فعل الله سبحانه وتعالى دون

---

١. القمر: الآيتان ١٩، ٢٠.

٢. مجمع البيان، ذيل الآية ٢٠ من سورة القمر، ص٢٨٧.

٣. كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، ص٢٥٥.

٤. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي، ج٤، ص٣.

٥. البيان في تفسير القرآن، ص٣٣.

واسطة، ولم يذكرها مدعي النّبوّة كدليل على ادّعائه، بل كانت قائمة قبل ذلك.

٢. مطابقة الدّعوى

على مدّعي النّبوّة أن يثبت كلّ ما يدعيه، فإذا ما ادّعى شفاء الأعمى مثلاً، فلابدّ أن يتحقّق هذا الأمر، أمّا إذا سمع الأصم بعد ذلك الإدّعاء، فإنّ رجوع السّمع للشّخص لا يعدّ معجزة لذلك الشّخص، رغم خروج هذه القدرة عن استطاعة الآخرين، كما هو الحال في مسيلمة، فقد كان كاذباً مدّعياً للنّبوّة، فعندما سمع امتلاء البئر بالماء بعد جفافها عن طريق نبيّ الإسلام، كعلامة على صدق نبوّته (بعدما أخذ في فمه المبارك مقداراً من الماء ثمّ بصقه في البئر) قال مسيلمة: أنّا استطيع أن أقوم بهذا الفعل أيضاً. وعندما بدأ مسيلمة بعمله وقع ما هو خلاف ادّعائه، فقد جف الماء القليل الّذي كان في البئر، وقد اعتبر مسيلمة جفاف البئر دلالّة على نبوّته.[١]

٣. عجز الآخرين

لابدّ أن تكون المعجزة بحيث يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها، فإذا كان بالإمكان الإتيان بها وإن كان عن طريق الآخرين، أو عن طريق التّعليم، فلا يعدّ ذلك أمراً معجزاً؛ ولذا فإنّ المعجزة ليست أمراً يمكن تعلمه، كما أنّ السّحر وأمثاله من العلوم الغريبة والمهارات لا تصنف في عداد المعجزات؛ لأنّ تعليمها وتعلّمها أمراً ممكناً لا يعجز عنها الآخرون، ولذلك فإنّ سحرة فرعون لمّا رأوا ما قام به موسىعليه السلام وأدركوا أنّه ليس من جنس السّحر، حتّى يمكن تعلمه آمنوا به، يقول تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ * قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[٢] ومن هنا يمكن التّفريق بين المعجزة والسّحر بنقطتين:

أ ـ المعجزة لا يمكن تعليمها وتعلمها عن طريق البشر خلافاً للسّحر والعلوم الغريبة، الّتي تعتبر أموراً أكتسابيّة يمكن تعلمها.

ب ـ المعجزات لا تتقيّد بأمر خاص خلافاً للسّحر الّذي يتحدّد بما تعلمه السّاحر من

---

١. المصدر نفسه، ص٣٤.

٢. الشعراء: الآيات ٤٥ ـ ٤٨.

أعمال، ولذلك لا يمكنه أن يلبي كلّ رغبة، أمّا المعجزة فهي تتعلق بجميع الأمور إلّا المحالات العقليّة، كمعجزة صالح الّذي أخرج النّاقة من صخور الجبال.

٤. اقترانها بالتّحدي

التّحدي يعني طلب المبارزة، فعلى مدّعي النّبوّة في المعجزات أن يأتي بأمر خارق للعادة ليثبت عجز الآخرين، ويثبت دعوته، كما هو الحال في تحدي نبيّ الإسلام في مسألة القرآن، يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.[1]

ومن هنا فإنّ العمل الّذي لا يكون مصحوباً بالتّحدي لا يعتبر معجزة وإن كان عديم النّظير، وعجز الآخرون عن الإتيان بمثله، بل يطلق عليه «كرامات» مثل كرامات المعصومين، الأولياء الصّالحين والمتّقين. ومن هذا المنطلق فإنّ المعجزة عبارة عن كلّ عمل خارق للعادة مقروناً بالتّحدي من قبل مدّعي النّبوّة ومطابقاً لإرادة ما يريده الرّسل ويسعون إلى تحقيقه في الأوقات اللازمة والضّروريّة.

الإعجاز وقانون العليّة

قانون العليّة من الأصول القطعيّة الحاكم على العالم، أما علّة العلل والعلّة الأصليّة فهي تتجلّى في الله سبحانه وتعالى الوجود المطلق،[2] ولا شكّ في شمول هذا الأصل؛ لأنّ الله تعالى خلق كلّ شيء عن طريق علّته، ونظام العالم هو نظام السّبب والمسبّب.

وكذلك تظهر ضرورة مسألة العليّة من خلال بعض الرّوايات، يقول العلّامة الطباطبائي في الحديث «أبى الله أن تجري الأمور إلّا بأسبابها»: «ويظهر من آيات القرآن أنّ أصل العليّة تجري في مسألة الحياة والموت والرّزق و...».[3]

ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذا الأصل (أصل العليّة) وشموله، كان لابدّ من دراسة مكانة المعجزات، وهل أنّها تقع خارج قوانين العلّية أم لا؟ فالبعض قام بإخراج المعجزات من إطار

---

١. البقرة: الآية ٢٣.
٢. بداية الحكمة، ص١٥٦.
٣. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧٤.

قوانين العلّة والمعلول، ومن هذا المنطلق فإنّ شفاء الأعمى أو إحياء الموتى، تقع خارج نطاق هذا القانون. ولكن التّدقيق في المسألة يظهر أنّ المعجزات لا تخرج عن إطار هذا البحث، كما بين ذلك الفيلسوف المعاصر والمفسّر الكبير العلّامة الطباطبائي.

فالعلل يمكن تقسيمها إلى نوعين: علل عادية، وعلل غير عاديّة.

النّوع الأوّل من العلل، أي العلل العادية تقع تحت إختيار البشر. وهي علل ربّما يكون قسم منها غير مكتشف حتّى الآن، ومن الممكن أن يكتشف في المستقبل، فمثلاً علّة الحرارة يمكن أن تكون النّار، الشّمس، أنواع الغازات... فهناك أمور لم تكتشف حتّى الآن، ولكن البشر يمكن أن يكتشفوها في المستقبل، كما أنّ هناك الكثير من الأسرار المكتشفة الآن كانت إلى زمن قريب مجهولة لدى العلماء.

أما العلل غير العاديّة، فهي العلل الّتي لا يستطيع البشر كشفها ولا على ذلك آلاف السّنين، وهذه هي الّتي تنطبق عليها المعجزات؛ إذ لاتستطيع القدرة البشريّة أن تتوصل إليها، كما هو الحال في إحياء الموتى، وهي أمور مختصة بالقدرة الإلهية ولا يستطيع البشر ذلك إلّا بإذن الله، يخاطب الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام فيقول: ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى...﴾.[1] ومن الواضح أنّ العلل العادية لا تنحصر في حدود العلل غير المكتشفة فقط، كما أنّها لا تنحصر بالعلل العادية أيضاً، فالعلل غيرالعادية بالنّسبة إلى النّظام المادي أفضل، والنّظام المادي لا يمكن أن يوجد فيه أيّ نوع من التّزاحم، أو الخلل، وليس فقط لا يوجد تنافي بين النّظام الإعجازي والنّظام العاديّ، بل أنّ الأول حاكم عليها فالجميع له منشأ إلهي؛ لأنّه ينشأ من علّة العلل.

القرآن، معجزة الإسلام الخالدة

كان الأنبياء في الأديان السّابقة يأتون بمعاجز تتناسب مع زمانهم، كما هو الحال في معجزة إبراهيم عليه السلام، موسى عليه السلام، عيسى عليه السلام، ولكن الأمر المسلّم هو أنّ معجزات هؤلاء الأنبياء كانت تختصّ بزمانهم ولا تتعدى إلى أزمنة أخرى، وأمّا معجزة دين الإسلام الّذي بدأ ببعثة

---

١. المائدة: الآية ١١٠.

النبيّ صلّى الله عليه وآله فقد كانت من نوع آخر؛ فمعجزته خالدة منذ أن بدأت الرّسالة وحتّى القيامة، وتلك المعجزة لم تكن إلّا معجزة القرآن الكريم.

أما علّة خلود القرآن فتكمن في خلود رسالة النبيّ صلّى الله عليه وآله في جميع الأزمنة والأمكنة ولجميع البشر، فنبيّ الإسلام محمّد صلّى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء، مبعوث لهداية جميع البشر إلى يوم القيامة، ودينه هو الإسلام، وكتابه القرآن، ورغم أنّ للرّسول صلّى الله عليه وآله معجزات أخرى كشقّ القمر، المعراج و... غير أنّ أكبر معجزاته هو القرآن الكريم، الّذي يتناسب مع جميع الأزمنة.

يقول العلّامة الطّباطبائي:

> لا يختص القرآن الكريم في موضوعاته بأمّة من الأمم كالأمّة العربيّة مثلاً ـ كما لا يختص بطائفة من الطّوائف، بل خطابه عام يشمل المسلمين وغير المسلمين، ودليلنا على هذا الخطابات الكثيرة الموجهة في القرآن إلى الكفار والمشركين وأهل الكتاب واليهود وبني إسرائيل والنّصارى، فقد احتج مع كلّ طائفة من هذه الطوائف ودعاهم إلى معارفه الحقة.[1]

فالقرآن كتاب يتضمن مطالب سامية لا تختصّ بزمان ومكان خاص، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۞ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾.[2]

ومعارفه تتخطى حدود الزّمان والمكان، وهي دليل حقّانيّته وحقانيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله ولا تختصّ بمجموعة خاصّة من البشر.

ورغم أنّ الشّعر في زمن النّزول بلغ القمة، مع ذلك تحدى القرآن المخاطبين في عصره بأن يأتوا بمثله إن استطاعوا، بيد أنّ الإعجاز البياني هو أحد جوانب إعجاز هذا الكتاب العظيم، ومن الطّبيعي أن يتناسب القرآن مع عصر النّزول، وهذه إحدى السّنن الإلهيّة، فإنّ المعجزة لا بدّ وأن تتناسب مع عصرها، فإذا كان السّحر قد وصل الذّروة في عصر موسى عليه السلام فأعطى الله سبحانه وتعالى نبيّه العصا واليد البيضاء، وفي عصر عيسى عليه السلام وصل الطّب اليوناني إلى أوج تطوره، فكان الأطباء يقومون بأعمال غير عادية، فوهب الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام معجزة شفاء المرضى وإحياء الموتى، أمّا الفصاحة والبلاغة وفنون الأدب والخطابة، فقد كانت هي الفنون المتداولة في عصر الرّسول، وبلغت مرتبة عالية، فكانت تعقد مسابقات الخطابة والشّعر في سوق عكاظ، ومن الشّواهد على ذلك كتابة «المعلّقات السّبع»

---

١. القرآن في الإسلام، ص ٢٠.
٢. الطارق: الآيتان ١٣، ١٤.

بماء الذّهب وتعليقها على الكعبة.

ومن خصائص كلام الله تعالى هو إعجازه البياني، وقد سلّم الجميع بذلك والشّاهد على ذلك كلام «ابن السّكيت» مع الإمام الرّضا عليه السلام فقد سأل الإمام الرّضا عليه السلام قائلاً:

لماذا بعث الله محمّداً وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السّحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزّمانات، واحتاج النّاس إلى الطّب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث محمّداً في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام... فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم.[1]

أضف إلى ذلك فإنّ القرآن كتاب لا يختص بزمان معين، فقد جاء لهداية وتربية جميع البشر، فهو يتضمن أفضل الإرشادات لتربيّة الإنسان، بل يمكن القول إنّ القرآن هو كتاب «بناء الإنسان» مع الأخذ بنظر الاعتبار الهدف الّذي نزّل من أجله القرآن، وهو تربية ورشد البشرية، ولذلك لا بدّ أن يتضمن جميع الأشياء، كما قال تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[2]

فالآية المذكورة تشير إلى أنّ هذا الكتاب يشمل كلّ شيء؛ لأنّ الهدف من نزوله هو تربية الإنسان، والأخذ بيده نحو التّكامل والرّشد».

وبعبارة أخرى: إنّ هذا الكتاب يتضمن كلّ ما من شأنه، وكل ما هو ضروري لسلوك طريق الهداية، وفي تتمة الآية ذكر الله أهداف أخرى لنزول القرآن مثل: الهداية، و الرّحمة، والبشارة للمسلمين، وهذه الخصائص نفسها هي سبب الخلود الأبدي للقرآن، وبذلك يكون معجزة لجميع العصور، ولجميع الأجيال.

إعجاز القرآن ومراحل التّحدي

كما سبق أن قلنا أنّ من جملة شروط الإعجاز هو التّحدي والإتيان بمثل ما جاء به، فقد

---

١. أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، الرّواية ٢٠.

٢. النحل: الآية ٨٩

تحدى القرآن ـ المعجزة الكبرى لنبيّ الإسلامﷺ ـ مخالفيه بأن يأتوا بما يشابهه، طالباً منهم المعارضة، والتّحدي عام يشمل جميع المخالفين في جميع الأزمنة؛ لأنّه دعا الجميع بأن يأتوا بذلك، كما أن بعض آيات التّحدي نزلت في مكة، والأخرى في المدينة، وبعض الآيات ورد التّحدي فيها بجميع القرآن، والبعض الآخر بعشر سور، وأخرى بآية واحدة، والّذي يبدو أنّ السّير الزّماني لآيات التّحدي هو كالآتي:

ألف) التّحدي في مكة

١. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.[١]

٢. ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.[٢]

٣. ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.[٣]

إنّ تحدي القرآن للمشركين في مكة وقبل الهجرة الى المدينة كان على النحو التالي:

أوّلاً: تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن، أي: بنفس المقدار الّذي كان نازلاً في ذلك الوقت، ثمّ بعشر سور، ثمّ بسورة واحدة، فأوّل آية من آيات التّحدي كانت في سورة الطّور في الآية الرّابعة والثّلاثين، حيث كان المشركون يقولون إنّ القرآن هو كلام بشري منسوب كذباً إلى الله سبحانه وتعالى فردّ عليهم القرآن قائلاً: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ...﴾.[٤]

وفي المرحلة الثّانية تحداهم بعشر سور وهي الآية الثّالثة عشرة قال تعالى: ﴿...فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ...﴾،[٥] وفي المرحلة الثّالثة كان التّحدي بسورة واحدة، وهي الآية الثّامنة

١. الطّور: الآيتان ٣٣، ٣٤.
٢. هود: الآية ١٣.
٣. اليونس: الآية ٣٨.
٤. الطّور: الآية ٣٤.
٥. هود: الآية ١٣.

والثّلاثون من سورة يونس، يقول تعالى: ﴿...فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ...﴾.[١]

وفي جميع الآيات النّازلة في مكة استخدم القرآن تعبيراً كان يستخدمه المشركون مثل: «تقوله، افتراه» كما استخدم التّعبير ﴿...إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وهو إشارة إلى عناد ولجاجة هؤلاء المشركين.

ب) التّحدي في المدينة

١. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.[٢]

٢. ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[٣]

ومع مرور أكثر من ثلاث عشرة سنة على نزول القرآن وهجرة النّبي ﷺ إلى يثرب استمر سير التّحدي في مرحلتين، الأولى التّحدي في سورة واحدة، وهو في الواقع استمرار لآخر تحدي في مكة، يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿...فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ...﴾ في هذه الآية يخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين إذا كان الشّك والرّيب لا يزال يخيم على صدوركم بعد انتشار الإسلام، فأتوا بسورة مثل القرآن إذا كنتم صادقين.

وفي تتمّة الآية ينبؤهم القرآن بأن العاقبة السّيئة والهلاك سوف يكون من نصيبهم في نهاية المطاف.

ونتيجة لعجز المخالفين وعدم إسلامهم في المدينة، أوعدهم بنار جهنّم، بعد إتمام الحجّة عليهم واتّضاح الحقائق. ورد في الآيات المدنية تعبير: «...وَلَن تَفْعَلُواْ...» وهذا التّعبير يريد أن يبيّن أنّ مشركي مكة إذا كانوا جاهلين بعجزهم قبل هجرة النّبي ﷺ فإنّهم قد

---

١. البقرة: الآية ٢٣.
٢. البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.
٣. الإسراء: الآية ٨٨

اكتشفوا هذا العجز عندما أنتقل الرّسولﷺ إلى المدينة، وبعد مرور عدّة سنوات من انتشار الإسلام، واتّضاح عظمة، القرآن. يقول المرحوم الطبرسي في ذيل الآية الثّالثة والعشرين من سورة البقرة:

> عندما تبيّن عجزكم وعجز جميع الخلق عنه، وعلمتم أنّه من عندي فلا تقيموا على التّكذيب به، ومعنى (ولن تفعلوا) أي: ولن تأتوا بسورة مثله أبداً؛ لأنّ لن تنفي على التأبيد في المستقبل».[١]

أمّا المرحلة الثّانية للتّحدي في المدينة، فهو التّحدي بمثل القرآن يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ ...﴾ يقول الزّمخشري في ذيل الآية المذكورة: «لأنّ الشّرط وقع ماضياً، وبيان عجز المخالفين منذ بدء نزول القرآن، وفي مقام بيان استحالة الإتيان بمثل القرآن».[٢]

خصائص آيات التّحدي

يمكن الوقوف على خصائص آيات التّحدي المذكورة سابقاً من خلال دراسة تلك الآيات، والآيات المشابهة لها، وتتّبع سير نزولها، وهي:

١. السّير التّدريجي:

تتميز آيات التّحدي من أعلى مستوياتها إلى أدناها بثلاث مراحل. والظّاهر أنّ التّحدي الأوّل كان بالإتيان بمثل القرآن، ثمّ التّحدي بعشر سور، ثمّ بسورة واحدة، ما يشير إلى عظمة القرآن واستحالة الإتيان بمثله.

٢. شقاء المخالفين:

إنّ قبول وعدم قبول القرآن يرتبط بمسألة سعادتهم وشقائهم، فإذا ما أصروا على عنادهم ولجاجهم ولم يسلّموا تجاه دعوة الحقّ، فإنّ الشّقاء سوف يكون من نصيبهم، والعاقبة السّيئة في انتظارهم، أمّا إذا قبلوا دعوة الحقّ، وآمنوا بذلك، فإنّهم سوف يختاروا طريق السّعادة.

٣. الإستفادة من جميع الإمكانيات:

يخاطب الله سبحانه وتعالى البشر بأنّه يمكنكم الاستفادة من جميع الوسائل والقوى،

---

١. مجمع البيان، ج١، ص١٥٩، ذيل الآية ٢٤ من سورة البقرة.
٢. الكشاف عن حقائق وغوامض التّنزيل، ج٢، ص٦٩٢، ذيل الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

وهذه المسألة تظهر أنّ جميع البشر عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً في هذه المسألة.

٤. التّنبأ بعدم القدرة على ذلك وإلى الأبد:

يتنبّأ القرآن بعجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن، ما يشير إلى القرآن وإعجازه، فالله سبحانه وتعالى يتنبّأ بأنّه لا يمكن لأيٍّ بشر وفي أي وقت من الأوقات الإتيان بمثل القرآن، فالآية الثّامنة والثّمانون من سورة الإسراء تتضمن خبراً غيبياً عن المستقبل.

٥. كذب المخالفين:

يشير الله سبحانه وتعالى إلى كذب المخالفين في آيات عدّة، وذلك من خلال العبارة: «...إن كنتم صادقين» وأنّ مخالفي النّبيّ ﷺ ليسوا من أهل الصّدق، وأنّه قد إتّضح لهؤلاء أنّ القرآن كلام إلهي، وأنّهم في الحقيقة يطلبون مصالحهم الدّنيويّة من خلال الشّرك، ومن لم يكن كاذباً فإنّه سوف يؤمن بدعوة النّبيّ ﷺ.

٦. إقرار المخالفين بإلهيّة القرآن:

يعترف مخالفو القرآن ضمنياً بالمصدر الإلهي للوحي، وإنّ هذا الكلام والمعارف السّاميّة لا يمكن أن تصدر من إنسان؛ لأنّهم كانوا يعلمون بتأريخ وماضي النبيّ ﷺ أنّه كان صادقاً أميناً وكان يعيش فيما بينهم، وقبل ادّعاء الرّسالة كان إنساناً عاديّاً.

٧. شهادة العقل على إعجاز القرآن:

يحكم العقلاء في ذلك الزّمان وكلّ زمان بأنّ القرآن قد نزل من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه وبعد مرور سنوات من نزوله في مكة والمدينة لم يستطع أحد أن يأتي بمثله، وهذا الأمر مستمر حتّى هذه اللحظة، ولذلك فالعقل يحكم بأنّ القرآن هو من عند الله تعالى.

٨. الحكم المتعجل للمخالفين:

حكم بعض المخالفين على القرآن حكماً خاطئاً وغير صحيح، مع أنّ القرآن يقول[1] إنّ هؤلاء لو تدبّروا آياته فسوف يتوصلون إلى أنّه من عند الله تعالى وإلّا لوجدوا فيه اختلافاً؛ لأنّ سبب الاختلاف يكمن في توسع وتنوع مطالبه، وطول زمان التّدوين و... مع أنّ القرآن في جميع تلك الصفات بعيداً عن الاختلاف والتّضاد.

---

١. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ (النّساء: الآية ٨٢).

٢
إعجاز القرآن في نظر المعصومين عليهم السلام

الأئمة عليهم السلام هم أعلم النّاس بعد نبيّ الإسلام بالقرآن وإعجازه ومعارفه، وفي هذا المختصر سوف نطل إطلالة سريعة على كلام الأئمة عليهم السلام؛ لنتزود من بحر علومهم من خلال التّدبّر في رواياتهم عليهم السلام، والملاحظ أنّهم لم يستخدموا كلمة المعجزة بوصف الإعجاز، ولكنهم وصفوا عظمة القرآن وعجائبه إشارة منهم إلى عدم وجود نظير للقرآن، أشار إليها الكليني، وبعض المحدّثين في روايات «فضل القرآن».[١]

النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله

الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو مهبط الوحي أنزل الله على قلبه آيات القرآن، فالقرآن الكريم منذ بدء نزوله في «غار حراء» وحتّى آخر آية منه في «غدير خم» كان بالنّسبة للنبيّ صلى الله عليه وآله كتاباً معجزاً. يصف الرّسول صلى الله عليه وآله إعجاز القرآن وعجائبه قائلاً:

أ ـ «عليكم بالقرآن، فإنّه الشّفاء النافع والدّواء المبارك، وعصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم اولا يزيغ فيستعتب، لا ينقضي عجائبه، ولا يخلق كثرة الردّ».[٢]

ب ـ إنّ هذا القرآن هو النّور المبين والحبلُ المتين، والعروة الوثقى والدّرجة العليا، والشّفاء الأشفى والفضيلة الكبرى والسّعادة العظمى، من استضاء به نوره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسّك به أنقذه الله».[٣]

---

١. الأصول من الكافي، كتاب فضل القرآن.

٢. بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٨٢.

٣. المصدر نفسه، ص٣١.

ج ـ فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.[١]

د ـ ظاهرة أنيق وباطنه عميق... لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنازل الحكمة.[٢]

من خلال ملاحظة كلمات النبيّ ﷺ نرى أنّ أهمّ الوجوه الإعجازيّة للقرآن تتعلق بمحتواه ومضمونه، حيث يقول: القرآن كتاب هداية، كتاب شفاء، نور وفضل، وكذلك قوله: لا ينقضي عجائبه، فالقرآن يتميّز عن باقي الكتب الأخرى بمحتواه، وباطنه العميق، الأمر الّذي تفتقده الكتب الأخرى. ومن خصائص القرآن أيضاً، أنّه لا يبلى على مرّ العصور والدّهور، بل هو غض طري لكلّ جيل.

أشار الرّسول الأكرم ﷺ في جانب آخر من كلامه إلى أفضلية القرآن سواء كان ذلك باللفظ أم بالمعنى، أي: «الإعجاز اللفظي والمعنوي» عندما قال: فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه.

وفي عبارة أخرى: «ظاهره أنيق» أي: «ألفاظه وعباراته» والّتي تشمل الاستعارات والكنايات و... جميع تلك تعتبر معجزة لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله.

الزّهراء عليها السلام

أشارت السيّدة الزّهراء عليها السلام إلى عظمة هذا الكتاب الإلهي في الخطبة المعروفة، الّتي نقلها ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»[٣] والسيّد المرتضى في كتاب «الشّافي»[٤] والشّيخ الصّدوق في كتاب «علل الشّرائع»،[٥] حيث قالت:

> كتاب الله النّاطق، والقرآن الصّادق، والنّور السّاطع، والضّياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلّية ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرّضوان أتباعه، مؤدي إلى النّجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية... .[٦]

---

١. المصدر السّابق، ص١٩.
٢. المصدر نفسه، ص١٧.
٣. شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٠.
٤. تلخيص الشّافي، ج٣، ص١٣٩.
٥. علل الشّرائع، ص٢٣٨.
٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج١، ص٤٨٣.

أشارت فاطمة عليها السلام في العبارة المذكورة إلى عظمة ظاهر القرآن وباطنه، وأنّه كتاب إلهي المصدر لا إنساني، كتاب لا يمكن للبشر أن ياتوا بمثله فريد في علومه، كتاب إعجازه يكمن في لطائفه وأسراره العالية، كتاب دليله من نفسه ظاهره يشهد على حقّانيته، يهدي من إتبعه إلى الجنّة والرّضوان، فهو إلهي المحتوى، وإنّ استماعه يهدي إلى الفلاح والفوز، أي أنّه يتمتع بعبارات وألفاظ خاصّة، بحيث أنّ الإنصات إليه يؤدي إلى الهداية، وهي الصّفة الّتي لا توجد في غيره من الكتب الأخرى «الإعجاز الصوتي».

الإمام علي عليه السلام

أمير المؤمنين المفسّر الأكبر للقرآن ووصيّ النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يشير إلى عظمة القرآن في خطبه وكلامه، نذكر بعضاً من هذه الأقوال:

١. «فيه تبيان كل شيء... وأنّه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، وإنّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تنقضي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظّلمات إلّا به».[1]

٢. «تعلموا القرآن، فإنّه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه، فأنّه ربيع القلوب واستشفوا بنوره، فإنّه شفاء الصّدور».[2]

يصف الإمام عليه السلام القرآن في هذه العبارات بأنّه لا اختلاف فيه من حيث الظّاهر والباطن، وهو شفاء للصّدور، كما أشار الإمام عليه السلام إلى أنّ القرآن الكريم يتميّز بصفات لا توجد في بقيّة الكتب الأخرى، بل هي من مختصاته.

٣. «ولا تخلقه كثرة الردّ وولوج السّمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق».[3]

٤. «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن أخبركم عنه، إلّا أنّ فيه علم ما ياتي والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم».[4]

٥. «واعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يغش، والهادي الّذي لا يضل... وما

---

١. نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة ١٨.
٢. المصدر السّابق، الخطبة ١١٠.
٣. المصدر نفسه، الخطبة، ١٥٦.
٤. المصدر نفسه، الخطبة ١٥٨.

جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى... فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء، وهو الكفر والغي والضّلال...».[١]

٦. «ثمّ أنزل عليكم الكتاب، نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره...، فهو معدن الإيمان وبحبوته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه...، جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء».[٢]

أشار الإمام عليه السلام في العبارات المتقدّمة إلى وصف إعجاز القرآن فمحتواه ليس له نظير خارق للعادة؛ لأنّه لا يخلق بمرور الزّمان، والدّهور فهو ليس كغيره من الكتب، الّتي تقل قيمتها بمرور الزّمن، فمحتوى القرآن عند الامام علي عليه السلام يكمن في أسلوبه فهو معدن العلم والإيمان، ونور لا يخبو توقده.

ومن البديهي إنّ هذه الصّفات لا يمكن أن تتحقق دون أن يكون مصدره إلهي، ولذلك فهو يتحدّث عن الأخبار الغيبيّة والمستقبليّة في آن واحد؛ أخبار لا يمكن الوصول إليها دون الإتّصال بمصدر غيبي؛ الأخبار الّذي لا يتمكن منه الشّخص إلّا بالارتباط بالله.

الإمام المجتبى عليه السلام

يقول الإمام الحسن عليه السلام في وصف القرآن: «إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النّور، وشفاء الصّدور، فليجل جال بصره، وليلحم الصفة فكره، فإنّ التّفكر حياة قلب البصير، كما يمشيء المستنير في الظلمات بالنّور».[٣]

فالإمام في هذه الرّواية عليه السلام يعتبر القرآن كتاباً متميزاً يفتح بصيرة الإنسان، وتلك الخصوصية هي الّتي جعلت من القرآن كتاباً لا نظير له ولا شبيه.

الإمام الحسين عليه السلام

وصف الإمام الحسين عليه السلام القرآن، واعتبره كتاباً معجزاً، يتّصف بأربع صفات قال: «كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة، واللطايف والحقائق، فالعبارة للعوام،

---

١. المصدر نفسه، الخطبة، ١٧٦.

٢. المصدر نفسه، الخطبة ١٩٨.

٣. المصدر السابق، ج٨٩، ص٣٢.

والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء».[١]

فالقرآن عند الإمام الحسين عليه السلام كتاب خارق للعادة لا شبيه له ولا نظير، وهذا الوصف يشمل ظواهره وألفاظه وحقائقه، فظاهر عبارات القرآن لها رونق خاصّ تجذب إليه قلوب النّاس، أمّا إشارته المنبثقة من إلفاظه وعباراته فهي للعلماء والخواص، والأفضل من ذلك لطائفه الّتي يستفيد منها أولياء الله.

أما المرحلة الأخيرة فهي حقائق القرآن الّتي تختص بالأنبياء أي: النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، وعلى قصر عبارات هذه الرّوايات بينّ الإمام عظمة وإعجاز القرآن، سواء كان في ألفاظه أم في باطنه، حيث يستطيع كلّ شخص أن يأخذ من هذا البحر العميق بمقدار استعداده وقابليّاته. ولذلك فإنّ القرآن هو «كتاب إلهي» لا شبيه له ولا نظير.

الإمام السّجاد عليه السلام

يصف الإمام السّجاد عليه السلام عظمة القرآن من خلال أدعيته ومناجاته، حيث يقول عند ختم القرآن.

أ ـ «اللهمّ إنّك أعنتني على ختم كتابك، الّذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كلّ كتاب، أنزلته وفضلته على كلّ حديث قصصته».[٢]

ب ـ «جعلته نوراً نهتدي من ظلم الضّلالة والجهالة بإتباعه. وميزان قسط لا يحيف عن الحقّ لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشّاهدين برهانه».[٣]

ج ـ «اللهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً».[٤]

د ـ «واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مونساً، ومن نزعات الشّيطان وخطرات الوساس حارساً، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً، ولألسنتا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الإعتبار ناشراً، حتّى توصل إلى قلوبنا منهم عجائبه، وزواجر أمثاله، الّتي ضعفت الجبال الرّواسي على صلابتها عن احتماله».[٥]

---

١. المصدر نفسه، ج٩٢، ص٢٠.
٢. الصّحيفة السّجادية، الدّعاء ٤٢.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر السابق.

من خلال هذا البيان الموجز، العميق المعنى، قام الإمام عليه السلام بتوضيح عظمة القرآن، وأنّه كتاب متميّز له الفضل على كلّ كتاب آخر، ولا يمكن أن يلد الدّهر مثله، معجزاً في ألفاظه ومحتواه، فهو في نظر الإمام كتاب هداية وميزان قسط وفي عبارة أخرى يقول: إنّ الله سبحانه وتعالى بين عجائب وإعجاز القرآن على النبيّ صلى الله عليه وآله من حيث إنّ القرآن هو كتاب عجيب في محتواه، فالإمام السّجاد عليه السلام يطلب من الله سبحانه وتعالى بلسان الدّعاء أن يفيض عليه من عجائبه ويسهل عليه فهمه ومعرفته، فالقرآن عند الإمام عليه السلام كالسّد مقابل وساوس الشّيطان من تمسّك به حفظه، فأين توجد مثل هذه الخصوصيّة؟! فمجمل القول في نظر الإمام السّجاد عليه السلام إنّ القرآن هو كتاب سماوي معجز وفريد من نوعه.

الإمام الباقر عليه السلام

اعتبر الإمام الباقر عليه السلام القرآن حاوياً لجميع العلوم وما يحتاجه النّاس في الهداية، يقول الإمام عليه السلام:

١. «إنّ الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة إلّا أنزله وبيّنه لرسوله، وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه».[١]

٢. وقال أيضاً عليه السلام في رواية أخرى أنّ عجائب القرآن حيّة لا تموت ولا تبلى، وأنّه غض طري في كلّ عصر، يقول: «ولو أنّ الآية اذا أنزلت في قوم، ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السّماوات والأرض».[٢]

الإمام الصّادق عليه السلام

عدّ الامام الصّادق عليه السلام القرآن أكبر معجزة للنبيّ صلى الله عليه وآله فأشار إلى بعض المسائل في الإعجاز:

١. في حوار للإمام عليه السلام مع مجموعة من اليهود في خصوص القرآن، قال هؤلاء للإمام عليه السلام: ما هي معجزة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله؟ فقال الإمام: «كتابه المهيمن الباهر لعقول النّاظرين».[٣]

---

١. بحار الأنوار، ج٨٩، ص٨٤
٢. تفسير العياشي، ج١، ص١٠.
٣. البحار، ج١، ص٢٤٤.

٢. يرى الإمام عليه السلام أنّ القرآن قد أعجز الآخرين أن يأتوا بمثله، وعندما سأل عن رأيه فيه أجاب: «هو كلام الله، وقول الله، وكتاب الله، ووحي الله، وتنزيله وهو الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».[١]

٣. ومن الوجوه الأخرى الّتي يعتبرها الإمام عليه السلام من وجوه إعجاز القرآن هي جامعيّته من حيث النّص والمحتوى، وأنّ الله سبحانه قد أنزل في كتابه هذا جميع العلوم الّتي يحتاجها البشر يقول: «إنّ الله أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج العباد إليه إلّا بيّنه للنّاس حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن إلّا وقد أنزل الله فيه».[٢]

٤. عدّ الإمام عليه السلام القرآن كتاباً يتضمن أخبار الماضين، وأنّ من وجوه الإعجاز هو الإعجاز الغيبي، يقول: «إنّ العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه، وهو الصّادق البارّ فيه خبركم وخبر من بعدكم وخبر السّماء والأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجبتم».[٣]

٥. ومن عجائب القرآن عند الإمام الصّادق عليه السلام هو عنصر الهداية، الّتي يتميّز ناقلاً عن الرّسول صلى الله عليه وآله رواية يقول فيها: «القرآن هدى من الضّلالة وتبيان من العمى... ونور من الظّلمة».[٤]

٦. كان الإمام الصّادق عليه السلام يذكّر المخالفين للقرآن بإعجازه العظيم، فيدعوهم إلى سلوك دعوة الحقّ، روي: «ان ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدّهرية اتفقوا على أن يعارض كلّ منهم ربع القرآن، أو كانوا يُسرّون بذلك... إذ مر عليهم الصّادق عليه السلام فالتفت إليهم وقرأ عليهم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ...﴾[٥]».[٦]

الإمام الكاظم عليه السلام

القرآن الكريم عند الإمام الكاظم عليه السلام لا يتغير ولا يبلى بمرور الزّمان وإعجازه لا يختص

---

١. أمالي الصّدوق، ص٣٢٦، بحار الأنوار، ج٨٩، ص١١٧.
٢. تفسير القمي، ذيل الآية ٨٩ من سورة النحل.
٣. الكافي، ج٢، ص٥٩٩.
٤. تفسير العياشي، ج١، ص٥.
٥. الإسراء: الآية ٨٨
٦. بحار الأنوار، ج١٧، ص٢١٣.

بزمان خاصّ، بل هو فوق الزّمان يقول:

إنّ رجلاً سأل أبا عبد الله ما بال القرآن لا يزداد على النّشر والدّرس إلّا غضاضة، فقال: لأنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غض إلى يوم القيامة.[١]

الإمام الرّضا عليه السلام

للإمام الرّضا عليه السلام كلام يبيّن فيه عظمة القرآن وعلامات إعجازه، وأنّه كتاب إلهي فوق القدرة البشريّة، كتاب جاء لهداية البشر، وأنّه لا يخلق ولا يبلى عند الاستماع والقراءة، بل كلّما ازدادت قراءته زادت منفعته ما يشير إلى الإعجاز الصّوتي للقرآن، يقول:

هو حبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلي المودي إلى الجنّة والمنجي من النّار، لا يخلق من الأزمنة ولا يغث على الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان.[٢]

وقد أجاب الإمام على سؤال «ابن الصلت» حول خصوصيات القرآن قائلاً: «كلام الله لا تتجاوزوه، لا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا».[٣]

الإمام الجواد عليه السلام

ما لدينا من روايات عن الإمام الجواد عليه السلام لا تبيّن بشكل صريح إعجاز القرآن، لكن يظهر من خلال محاججاته عليه السلام أنّه كغيره من الأئمة، يرى أنّ القرآن معجزة خالدة له المرجعيّة الدّائمة على البشر، وأنّ الإعجاز يدور حول محوريّة الحقّ والباطل، ففي إحدى احتجاجاته مع «يحيى بن أكثم»، وهو من القضاة والعلماء في ذلك الوقت، عدّ الإمام كتاب الله الأساس في صحة الرّوايات طبقاً لرّواية يرويها، حيث يقول: «وما خالف كتاب الله وسنتي، فلا تأخذوا به وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله».[٤]

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر السّابق، ص٢١٠.

٣. التّوحيد، ص٢٢٣.

٤. الخبر المذكور يتعلق بسؤال يحيى بن أكثم في رواية موضوعة جاء فيها أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: يقول الله يا محمد إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السّلام، ويقول لك: سل أبابكر هل هو عني راض فإنّي عنه راض» أجاب الإمام: وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله قال تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به صدره ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» الاحتجاج، ج٢، ص٢٤٥.

الإمام الهادي عليه السلام

أرجع الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام المخالفين إلى مرجعية القرآن في احتجاجاته معتبراً أنّ القرآن لا تناله يد التّغيير، وأنّ استدلالته محكمة فقد جاء في إحدى احتجاجاته في مسألة الجبر والاختيار، وأنّ العقيدة الصّحيحة هي الوسط بين الجبر والاختيار، فلا عقيدة الجبر صحيحة ولا التّفويض، والقرآن يشهد على ذلك في آياته المحكمة، يقول: «ويشهد به القرآن بمحكم آياته ويحقق تصديقه عند ذوي الألباب».[1] وفي رواية أخرى يذهب الإمام عليه السلام إلى كفر من كذب القرآن؛ إذ يقول: «ومن كذب كتابه لزمن الكفر بإجماع الأمة».[2]

الإمام العسكري عليه السلام

يرى الإمام الحسن بن علي العسكري في الرّواية المنقولة عنه أنّ القرآن هو كتاب الله، وهو أحسن الكلام لا يجاريه كلام، وأنّ الإعجاز هو من جنس الكلام الّذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله رغم أنّ الكلمات واحدة، ولكن الاختلاف في اختيار اللفظة والقالب المعجز، يقول: «إنّ لكلام الله فضلاً على الكلام، كفضل الله على خلقه، وكلامنا فضل على كلام النّاس كفضلنا عليهم».[3]

الإمام المهدي عجل الله فرجه

الإمام محمّد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه صاحب الزمان، وهو القرآن الناطق في زمانه الّذي يقيم حكومة العدل الإلهي طبقاً لأحكام القرآن، فقد ورد في رواية عنه أنّ القرآن هو «من اتقن» الكتب الإلهية، وقد رجع إلى القرآن في موارد كثيرة ردّ الأسئلة الموجهة إليه، وهذا الرّجوع أو الإرجاع من الإمام للقرآن يبيّن إعجاز القرآن في المفهوم والمعنى، وعدم زواله وتغييره، كما يظهر ذلك من إرجاع «اسحاق بن يعقوب» إلى القرآن عندما سئل الإمام عن علّة الغيبة

---

١. الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٣.
٢. المصدر نفسه.
٣. كشف الغمّة، ج٢، ص٤٢١.

فقام: «وأمّا علّة ما وقع من الغيبة، فإنّ الله يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ... ﴾[1]».[2]

وفي رواية أخرى سئل الإمام عليه السلام عن معاني الحروف المقطعة (كهيص) فاعتبرها من مختصّات القرآن، وهي من الأخبار الغيبية، سأل سعد بن عبد الله في الإمام قائلاً: «فأخبرني يابن رسول الله عن تأويل (كهيعص) فقال عليه السلام: هذه الحروف من أنباء الغيب».[3]

---

١. المائدة: الآية ١٠١.

٢. بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٨١.

٣. المصدر نفسه، ج٥٢، ص١٨٠.

٣
إعجاز القرآن عند علماء الشّيعة

بذل علماء الشّيعة منذ عصر الشّيخ الكليني والصّدوق في القرن الرّابع الهجري، وحتّى الإمام الخميني جهوداً كبيرة من أجل بيان أحكام الإسلام، حتّى وصلت تعاليم المدرسة الشّيعيّة إلى النّاس بكلّ أمانة.

وقد تركوا آثاراً مهمّة في الكلام والتّفسير، الفقه والأصول و... ولهم آراء مهمّة في القرآن وعلومه ومن جملة تلك المباحث موضوع «إعجاز القرآن»، وقد قدم متكلمو الشّيعة ومفسرّوهم منذ القرن الأوّل مباحث مهمّة حول مكانة القرآن وعظمته وإعجازه، والظّاهر من خلال دراسة الكتب الكلاميّة والتّفسيريّة أن بداية البحث في «إعجاز القرآن» بحثاً إستدلالياً كان في القرن الثّالث. أمّا قبل هذا التّأريخ فلم تدرس تلك المباحث بصورة مستقلة وسوف نشير إلى آراء جمع من مشاهير الشّيعة، كالمفيد، السيّد المرتضى، الشّيخ الطّوسي، قطب الدّين الرّاوندي، العلّامة محمّد باقر المجلسي، العلّامة شبر، البلاغي، العلّامة الطباطبائي، آية الله الخوئي، والإمام الخميني، طبقاً للتسلسل الزّمني.

الشّيخ المفيد رحمه الله

وهو محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشّيخ المفيد (المتوفّى ٤١٣) من علماء الشّيعة الأجلاء عاش في محلة «الكرخة» وهو شخصية كبيرة عند الشّيعة، قال فيه شيخ **الطّائفة:** «محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد عالم كبير موثق[١] يكنى أبا عبد الله المعروف **بابن المعلم،**

---

١. رجال الشّيخ الطوسي، ص٥١٤.

من جملة متكلمي الإماميّة، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقهيّاً متقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب وله قريب من مائتي مصنف».[١]

ويقول العلّامة الحلّي فيه: «محمّد بن محمّد بن النعمان يكنى أبا عبد الله، يلقب بالمفيد... ويعرف بابن المعلم، من أجل مشايخ الشّيعة، ورئيسهم وأستاذهم، وكلّ من تأخّر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرّواية، وأوثق أهل زمانه وأعلمهم، انتهت رياسة الإمامية في وقته إليه».[٢]

وهو عالم جليل عدّه جميع علماء وفقهاء الشّيعة بأنّه من أكبر علماء العقائد والمذاهب الإسلاميّة، وكذلك اعتبره علماء السّنّة أنّه من ذوي المنازل العلميّة الكبيرة، يقول ابن النديم: «أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان، في زماننا انتهت إليه رياسة أصحابه من الشّيعة الإماميّة في الفقه والكلا م والآثار...».[٣]

وكذلك يقول ابن الجوزي وهو من المعاصرين له: «محمّد بن محمّد بن النّعمان، أبو عبد الله ابن المعلم شيخ الإماميّة وعالمها، صنّف على مذهبهم، ومن أصحابه المرتضى، وكان لابن المعلم مجلس نظر بداره بـ«درب رياح يحضره كافة العلماء».[٤]

وقد ازدهر علم الكلام وأصول الفقه في زمن الشّيخ المفيد عند السّنة والشّيعة، وكانت بغداد مركزاً للمتكلمين والفقهاء يتباحثون في المسائل الكلاميّة والفقهيّة، وكان علماء الشّيعة يتدارسون علم الكلام قبل الشّيخ المفيد، ولكن أسلوب الاستدلال حصل فيه تطوّر على يدٌ الشّيخ المفيد، وكذلك يمكن عدّه مبتكر المباحث الكلاميّة بصورة منطقيّة ومستدلّة، فقد رتب المباحث الكلاميّة والفقهيّة وطورها.

اتبع علماء الشّيعة منهج الشّيخ المفيد واستفادوا منه كثيراً، ولذلك سوف نذكر رأيه في «إعجاز القرآن» باعتباره أوّل عالم شيعي قام بدراسة المسائل الكلاميّة بصورة مستدلّة. يقول المفيد في كتابه «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» تحت عنوان «القول في جهة

---

١. فهرست الشّيخ الطوسي، ص١٥٧.
٢. خلاصة الأقوال، ص١٤٧.
٣. فهرست ابن النديم، ص٢٦٦.
٤. المنتظم، ج٨، ص١١.

إعجاز القرآن» قال: «إنّ جهة ذلك هو الصّرف من الله تعالى لأهل الفصاحة واللسان من المعارضة للنبيّ ﷺ بمثله في النّظام عند تحديه لهم، وجعل إنصرافهم عن الإتيان بمثله وإن كان في مقدورهم دليلاً على نبوّته واللطف من الله تعالى مستمر في الصّرف عنه إلى آخر الزّمان».[1]

الظّاهر من كلام الشّيخ أنه أوّلاً، كان يعتقد أنّ إعجاز القرآن يرجع إلى «الصّرفة» وكان يرى أنّه عندما أنزل الله تعالى القرآن على النبيّ ﷺ دعا النّاس إلى الإتيان بمثله، وكان هذا العمل مقدوراً بالنّسبة للفصحاء والبلغاء، لأنّهم مع تسلطهم وتبحرهم في اللغة وخصوصاً في زمان النبيّ ﷺ ووصول علم الفصاحة والبلاغة إلى أوجها في ذلك الزّمان، فقد كان بمقدورهم أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن الله سبحانه وتعالى سلبهم القدرة على ذلك، ومع أنّه يمكن الاستنتاج من كلام الشّيخ المفيد في كتاب «أوائل المقالات» أنّه كان يعتقد بـ«الصّرفة» في الإعجاز ولكن المشهور أنّه كان يذهب إلى أنّ الإعجاز يكمن في الفصاحة، البلاغة والأخبار الغيبيّة كغيره من العلماء، ولذلك فقد جرّد قطب الدّين الرّاوندي (المتوفّى ٥٧٣) في كتاب الخرائج بحثاً مستقلاً في إعجاز القرآن يقول فيه:

والثّاني: ما ذهب إليه الشّيخ المفيد وهو أنّه لمّا كان معجزاً من حيث اختص برتبة في الفصاحة خارج للعادة. قال: لإنّ مراتب الفصاحة إنّما تتفاوت بحسب العلوم الّتي يفعلها الله في العباد، فلا يمتنع أن يجري الله العادة بقدر من العلوم فيقع التّمكين بها من مراتب في الفصاحة محصورة متناهية ويكون ما زاد على ذلك زيادة غير معتادة معجزاً خارق للعادة.[2]

وكذلك يقول العلّامة محمّد باقر المجلسي حول رأي الشّيخ المفيد في إعجاز القرآن: «وأمّا وجه إعجازه: فالجمهور من العامّة والخاصّة، ومنهم الشّيخ المفيد قدس الله روحه، على أنّ إعجاز القرآن بكونه في الطّبقة العليا من الفصاحة والدّرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق بمهارتهم في فنّ البيان وإحاطتهم بأساليب الكلام، هذا مع اشتماله على الأخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الإلهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم الأخلاق والإرشاد إلى فنون الحكمة العلميّة والعمليّة والمصالح

---

١. أوائل المقالات، ص ٧٠.

٢. الخرائج والجرائح، ص٢٦٩، بحار الأنوار، ج٨٩ ص١٢٧.

الدّينيّة والدّنيويّة على ما يظهر للمتدبرين، ويتجلّى للمتفكّرين.[1]

السيّد المرتضى رحمه الله

وهو أبو القاسم ذو المجدين علي بن الحسين الموسوي المعروف بالسيّد المرتضى علم الهدى (المتوفّى ٤٣٦هـ) من علماء الإماميّة، ومتكلميهم ترك آثار قيمة في إرساء معالم المدرسة الشّيعية له عدّة كتب مثل: كتاب الأمالي، الذّخيرة، الملخّص، المسائل المُوَصَّليّات، تنزيه الأنبياء، الشّافي، شرح جمل العلم والعمل، الصّرفة و... ذهب السيّد المرتضى في أكثر كتبه إلى الاعتقاد بالصّرفة في إعجاز القرآن مستدلاً عليها بأدلّة كثيرة حتّى أنّه اشتهر بهذا القول عند علماء الشّيعة يقول في كتاب «الذّخيرة» بعد أن نقل أقوالاً في وجوه إعجاز القرآن:

اخترنا القول بالصّرفة وأثبتنا ذلك في كتابنا المعروف بـ«الموضح عن جهة إعجاز القرآن».[2]

وكذلك كتب الشّيخ الطّوسي - وهو من تلامذة السيّد المرتضى - في آثاره يقول:

> كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي (رحمة الله) عليه يختار أن جهة إعجازه الصّرفة، وهي أنّ الله تعالى سلب العرب العلوم الّتي كانت تتأتى منهم الفصاحة، الّتي هي مثل القرآن متى راموا المعارضة، ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتى منهم ذلك.[3]

ثمّ قوّى الشّيخ الطّوسي قول استاذه، أي: القول بالصّرفة، في كتاب تمهيد الأصول، وهو شرح على كتاب جمل العلم والعمل للسيّد المرتضى، فقال: نصرت في شرح الجمل القول بالصّرفة على ما كان يذهب إليه المرتضى رحمه الله.[4]

وسوف نتعرض لبحث حقيقة «الصّرفة» في نهاية الكتاب، ومن هم القائلون بهذا القول من علماء السّنة والشّيعة، والذين ردّوا هذا القول في بحث «وجوه إعجاز القرآن» ولكن اختصاراً نقول: إنّ السيّد المرتضى كان يعتقد أنّ العرب يستطيعون الإتيان بمثل القرآن في بلاغته وفصاحته؛ لأنّهم كانوا متضلعين في هذه المواهب، غير أنّ الله منعهم وسلبهم القدرة

---

١. بحار الأنوار، ج١٧، ص٢٢٤.

٢. كتاب «الموضح عن جهة إعجاز القرآن»، هو كتاب الصّرفة نفسه للمؤلّف وهو كتاب مفقود ذكره النّجاشي وعدّه كتاب الصّرفة نفسه، رجال النّجاشي، ص٢٧٠، رأى المرحوم الطّبرسي هذا الكتاب ونقل عنه، مجمع البيان، ج١، ص٨٣، مقدمة التّفسير.

٣. الذخيرة في علم الكلام، ص٣٧٨، الإقتصاد الهادي إلى طريق الرّشاد، ص١٧٢.

٤. تمهيد الأصول، الطوّسي، ص٣٣٤، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرّشاد، ص١٧٣.

على ذلك فسلب منهم العلوم الّتي يتوسلون بها للإتيان بألفاظ فصيحة وبليغة، فإعجاز، القرآن يكمن في أنّ الله سبحانه منع الإنسان أن يأتي بمثل القرآن إلى يوم القيامة، وصرف أفكار الجميع من الإتيان بمثله، قال في كتاب الجمل:

> فأما أن يكون القرآن من فعله تعالى على سبيل التّصديق له، فيكون هو العلم المعجز أو يكون تعالى صرف القوم عن معارضته، فيكون الصّرف هو العلم الدّال على النّبوّة وقد بيّنا في كتاب الصّرف الصّحيح من ذلك وبسطناه.[1]

الشّيخ الطّوسي رحمه الله

وهو أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسي (المتوفّى ٤٦٠هـ) المعروف بشيخ الطّائفة، الفقيه والمحدّث والمفسّر الشّيعي الكبير، كان شخصيّة كبيرة لها تأثير كبير في تقوية مباني الشّيعة. وله آثار كثيرة قيّمة من جملتها كتاب: «التّهذيب، الاستبصار، والبيان».

بيّن الشّيخ الطّوسي نظريّته في «إعجاز القرآن» بصورة مفصّلة في كتاب «الاقتصاد الهادي إلى الرّشاد» تحت عنوان «في الكلام في النّبوي» معتبراً أنّ الاستدلال على إعجاز القرآن لاثبات رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله تقوم على ثلاثة أمور، حيث قال:

> والاستدلال بالقرآن لا يتمّ إلّا بعد بيان خمسةً أشياء، أحدها: ظهوره صلى الله عليه وآله بمكة وادّعاء النّبوّة، وثانيهما: تحديه العرب بهذا القرآن وادّعاء إنّ الله أنزله عليه، وخصه به، وثالثها: أنّهم لم يعارضوه في وقت من الأوقات. ورابعها: أنّهم لم يعارضوه للعجز، وخامسها: إنّ هذا لتعذّر فوق العادة، فإذا ثبت ذلك دلّ على أنّ القرآن معجز، سواءٌ كان معجزاً خارقاً للعادّة بفصاحته، فلذلك لم يعارضوه، أو لأنّ الله صرفهم عن معارضته ولولا الصّرف لعارضوا.[2]

وفي تتمّة كلامه قال:

> إنّ سبب عدم معارضة العرب هو عجزهم من الإتيان بمثل القرآن، لأنّ كلّ فعل إذا كان له دافع وباعث، ثمّ لا يتحقق ذلك فإنّه يكشف عن عجز الفاعل... وإذا كانت المعارضة ممكنة فلم يتكلّفون الأمور الصّعبة، فالعاقل لا يرجح الأعمال الصّعبة على السّهلة وليس من الصّحيح القول أنّ حربهم مع رسول الله كانت أكثر فائدة من معارضة القرآن، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله طلب التّحدي بالقرآن لا الحرب.[3]

---

١. راجع: جمل العلم والعمل، ص٤١.
٢. الاقتصاد الهادي إلى الرّشاد، ص١٦٦.
٣. المصدر نفسه.

ثمّ تعرض الشّيخ الطّوسي إلى بحث وجوه إعجاز القرآن معتبراً «الإعجاز البياني» من أكمل وأتمّ الوجوه، حيث قال:

وأقوى الأقوال عندي قول من قال: إنّما كان معجزاً خارقاً للعادة لإختصاصه بالفصاحة المفرطة دون الفصاحة بإنفرادها ودون النظم بانفراده ودون الصرفة».[1]

من خلال التّأمّل في عبارات الشّيخ الطّوسي يتبيّن أنّه يعتبر الإعجاز في الفصاحة فقط، مضافاً إلى النّظم المخصوص ومع نسبة القول إليه بالصّرفة، ولكنه لم يذهب إلى هذا الرّأي، حيث قال: «وإن كنت نصرت في شرح الجمل القول بالصّرفة على ما كان يذهب إليه المرتضى (رحمه الله) من حيث شرحت كتابه فلم يحسن خلاف مذهبه».[2]

يعتقد الشّيخ الطّوسي أن إعجاز القرآن لا يكمن في فصاحته وبلاغته فقط، فالمعارضة عند العرب كانت تعني معارضة كلّ شيء بحسبه بمعارضة الخطبة بالخطبة، والشّعر بالشّعر، والرّجز بالرّجز، ولا يعقل أنّ تعارض الشّعر بالخطبة أو العكس، ومن هنا فعندما تحدى القرآن العرب كان يتوقع منهم أن يعارضوه بمثله في الفصاحة والبلاغة و.. لا في أحدهما، وقد كان العرب عاجزين عن معارضة القرآن في جميع جهاته ومع أنّ الوليد بن المغيرة والأعشى وآخرون فصحاء، ولكن لا يمكن مقارنتهم بفصاحة القرآن والدّليل على ذلك أنّهم تحيروا في وصف القرآن، فأسلوب القرآن لا يشبه الأسلوب الخطابي فقط ولا الشّعر، ولا يقتصر على الوزن، بل يتضمّن الصّفات كلّها إضافة إلى أمور أخرى.

يعتقد الشّيخ الطّوسي أن إعجاز القرآن لو كان في فصاحته فقط لأصبح التّمييز والتّفريق بينه وبين الكلام الفصيح الآخر ممكناً، كما أنّ أهل الشّعر يفرقون بين شعر المتقدّمين والمتأخّرين، مع أنّ أفصح الكلام لا يمكن مقارنته مع القرآن.[3]

ثمّ أكّد الشّيخ الطّوسي في خاتمة قوله أنّ الإعجاز يكمن في شيئين: «الفصاحة العالية» و«النّظم الخاصّ» قال:

فليس في وجود كثير من كلام العرب ما يدلّ على أنّهم لو تكلفوه بهذا النّظم لكان مثله، ولما عدلوا عن المعارضة وتعذرت عليهم، إمّا لفقد علمهم بالنظم وإن كان فصيحاً، أو

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، ص ١٧٤.

لعلمهم بأنّهم لو تكلفوا ذلك لوقعوا دونه، على ذلك على إنّ القرآن، خارق للعادة، بمجموع الأمرين.[1]

وقد أشار الشّيخ الطّوسي في مقدّمة تفسيره إلى إعجاز القرآن أيضاً، فقال:

اعلم أن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبيّ عليه السّلام، بل هو من أكبر المعجزات وأشهرها، غير أنّ الكلام في إعجازه، وجهة إعجازه، واختلاف النّاس فيه، لا يليق بهذا الكتاب؛ لأنّه يتعلق بالكلام في الأصول... وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل.[2]

الطّبرسي رحمه الله

أمين الإسلام، الفضل بن الحسن الطّبرسي (المتوفّى ٥٤٨هـ) صاحب التّفسير القيّم «مجمع البيان في تفسير القرآن» وهو شخصية كثيرة في عالم التّشيّع، وقد عدّ تفسير الشّيخ الطّبرسي مرجعاً للمفسرين من بعده، وقد ذكر في مقدّمة تفسيره إعجاز القرآن مشيراً إلى أنّ بحث وجوه إعجاز القرآن إنّما تناولته الكتب الاعتقادية، قال:

العلم يكون القرآن معجزاً خارقاً للعادة، والاستدلال به على صدق النبيّ صلى الله عليه وآله، والكلام في وجه إعجازه، وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة، أو ماله من النّظم المخصوص والأسلوب البديع والصّرفة... وقد دوّنه مشايخ المتكلّمين في كتبهم لا سيّما السيّد الأجل المرتضى.. في كتابه الموضح عن وجه إعجاز القرآن.[3]

يقول العلّامة الطّبرسي في ذيل الآية:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.[4] المقصود من ﴿...فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ...﴾ أي: بمثل القرآن كما جاء في سورة الإسراء ﴿... يأتوا بمثل هذا القرآن...﴾ يعني فأتوا بسورة مثلما أتى به محمّد صلى الله عليه وآله في الإعجاز من حسن النّظم وجزالة اللّفظ والفصاحة الّتي اختصت به، والأخبار عمّا كان وعمّا يكون.[5]

يتبيّن من خلال العبارات السّابقة أنّ الطّبرسي لا يعتبر الإعجاز في الفصاحة والنّظم فقط، بل إنّ الإعجاز الغيبي وغيره من وجوه الإعجاز الأخرى، هي من ضمن وجوه الإعجاز أيضاً -

---

١. الاقتصاد الهادي إلى الرّشاد، ص١٧٥.
٢. التبيان في تفسير القرآن، المقدّمة، ص٣.
٣. مجمع البيان، ج١، ص٤٢، المقدّمة، الفنّ الخامس.
٤. البقرة: الآية ٢٣.
٥. مجمع البيان، ج١، ص١٢٦، ذيل الآية ٢٣ من سورة البقرة.

وقد أشار إلى وجوه أخرى للإعجاز من خلال آيات أخرى فمثلاً:

١. في ذيل الآية: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾.[١]

يقول: «سمّاه الله حديثاً، لأنّه كلام الله، والكلام سُمّي حديثاً... وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه، واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التّنبيه على أدلّة التّوحيد والعدل و...».[٢]

٢. وفي ذيل الآية: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٣] يقول: «معناه: قل يا محمّد لهؤلاء الكفّار: لئن اجتمعت الإنس والجن، متعاونين متعاضدين، على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه.. لعجزوا عن كذلك، ولم يأتوا بمثله».[٤]

٣. وفي ذيل الآية الشّريفة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ...﴾[٥] يقول: «وفيه دلالة على جهة إعجاز القرآن، وأنها هي البلاغة والفصاحة في هذا النّظم المخصوص... لأنّ البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وأدناها وأوسطها ممكن، فالتّحدي في الآية إنّما وقع في الطّبقة العليا منها».[٦]

فإعجاز القرآن عند الطّبرسي لا يتعلق بالقول بـ«الصّرفة» لأنّه يستلزم إعجاز الكلام الرّكيك، مع أنّ العرب لم يكونوا عاجزين يقول: «لو كان وجه الإعجاز الصّرفة لكان الرّكيك في الكلام أبلغ في باب الإعجاز».[٧]

٤. وفي ذيل الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم

---

١. الزمر: الآية ٢٣.
٢. مجمع البيان، ج٨، ص٣٩٤، ذيل الآية ٢٣ من سورة الزّمر.
٣. الإسراء: الآية ٨٨
٤. مجمع البيان، ج٦، ص٢٩٠، ذيل الآية ٨٨ من سورة الإسراء.
٥. هود: الآية ١٣.
٦. مجمع البيان، ج٥، ص٢٥٠، ذيل الآية ١٣ من سورة هود.
٧. المصدر نفسه.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1] يقول: «أي: مثله في البلاغة لأنّكم من أهل لسانه، فلو قدر على ذلك لقدرتهم أنتم عليه، فإذا عجزتم فاعلموا أنّه ليس من كلام البشر».[2]

وقال كذلك في ذيل الآية الثالثة عشر في كلمة «مثل» أي «فأتوا أنتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة... فإن القرآن نزل بلغتكم، وقد نشأت أنا بين أظهركم، فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا أنّه من عند الله تعالى».[3]

من خلال التأمل في عبارات الطّبرسي يتبيّن أنّه لا يحصر الإعجاز في وجه خاصّ، فقد أكّد على وجوه كثيرة للإعجاز مثل: الفصاحة، البلاغة، النظم الخاص، حسن البيان، أخبار الغيب، وتضمن القرآن على أفضل المطالب الاعتقادية لهداية البشر و...

قطب الدّين الرّاونديرحمه الله

وهو سعيد بن عبد الله بن هبة الله، المشهور بقطب الدّين الرّاوندي (المتوفى ٥٧٣هـ) الفقيه المحدّث، المفسّر، والمتكلم الشّيعي الكبير صاحب كتاب «الخرائج والجرائح»[4] تعرّض فيه لبيان معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، يعد كتابه من الكتب القيّمة بالنّسبة للشّيعة. تعرّض الرّاوندي في الباب الثّامن عشر من كتابه تحت عنوان «كتاب أم المعجزات» فذكر مباحث إعجاز القرآن، وقد استفاد علماء الشّيعة الكبار أمثال: الإربلي في «كشف الغمة» والحرّ العاملي في «وسائل الشّيعة» والمرحوم المجلسي في «بحار الأنوار» والعلّامة البحراني في «تفسير البرهان» و.. من كتاب الرّاوندي واستدلوا به. قال في بداية الباب: «فإنّ كتاب الله المجيد ليس هو مصدقاً لنبيّ الرّحمة خاتم النبيين فقط، بل هو مصدق كسائر الأنبياء والأوصياء قبله... وليست جملة الكتاب معجزة واحدة، بل هو معجزات لا تحصى».[5]

---

١. يونس: الآية ٣٨.
٢. مجمع البيان، ج٥، ص١٨٨، ذيل الآية ٣٨ من سورة يونس.
٣. المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٥٠.
٤. نشر الكتاب المذكور عن طريق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بتحقيق في ثلاثة مجلدات عام ١٤٠٩هـ وفي عشرين باباً ثلاثة عشر باباً في معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام والأبواب السّبعة الأخرى في علامات النّبيّ والأئمة، أدلّة إمامة علي عليه السلام، نوادر معجزات الأئمة معجزات نبينا والأئمة مع معجزات الأنبياء السّابقين، إعجاز القرآن، الفرق بين الحيل والمعجزات وخارق العادة و...
٥. الخرائج والجرائح، ج٣، ص ٩٧١.

«والطّريق إلى معرفة صدق النبيّ ﷺ ليس إلّا ظهور المعجز عليه، أو خبر نبي ثابت نبوته بالمعجز. ثمّ قال: «واعلم أنّ شروط مفهوم المعجزات أمور:

١. أن يعجز عن مثله، أو عمّا يقاربه المبعوث إليه وجنسه.

٢. أن يكون من فعل الله تعالى، أو بأمره وتمكينه.

٣. أن يكون ناقضاً للعادة لأنّه لو فعل معتاداً لم يدلّ على صدقه، كطلوع الشّمس من مشرقها.

٤. أن يحدث عقيب دعوى المدّعي أو جارياً مجراه، والذي يجري مجرى ذلك هو أن يدّعى النّبوّة ويظهر عليه معجزاً، ثمّ تشيع دعواه في النّاس.

٥. أن يظهر ذلك في زمان التّكليف، لأنّ اشراط السّاعة تنتقض بها عادته تعالى، ولا يدلّ على صدق مدّع[1]. ثمّ يضيف: «والقرآن معجزة، لأنّه ﷺ تحدى العرب الإتيان بمثله، وهم النّهاية في البلاغة وقويت دواعيهم إلى الإتيان بما تحداهم به ولم يكن لهم صارف عنه ولا مانع منه، ولم يأتوا به، فعلمنا أنّهم عجزوا عن الإتيان بمثله».[2]

من خلال العبارات السّابقة يتبيّن أنّه كان يعتقد أنّ القرآن معجزة بنفسه، وأنّ أهمّ وجه إعجازه هي البلاغة، فهو لا يذهب إلى القول بالصّرفة، والدليل على ذلك قوله «ولم يكن لهم صارف عنه». وقد أعرب الرّاوندي أنّ المسلمين متّفقون على إنّ القرآن معجزة النبيّ ﷺ ولكن العلماء اختلفوا في وجه إعجازه، ولذا فقد تعرّض لذكر آرائهم ذاكراً سبعة أقوال في إعجاز القرآن منها:

١. القول بالصّرفة؛

٢. أنّهم لم يعارضوه من حيث أنّه اختص برتبة في الفصاحة خارقة للعادة؛ لأنّ مراتب البلاغة محصورة متناهية، فيكون ما زاد على المعتاد معجزاً وخارقاً للعادة؛

٣. أنّ إعجازه من حيث إنّ معانيه صحيحة موافقة للعقل؛

٤. أنّه معجز من حيث خلوه من التّناقض؛

٥. إعجازه يكمن في أخباره الغيبيّة؛

---

١. راجع: المصدر السابق، ج٣، ص٩٧٥.

٢. المصدر نفسه، ص٩٧٦.

٦. أنّه معجز لإختصاصه بنظم مخصوص؛
٧. يكمن إعجازه في تأليفه ونظمه.

وبعد أن ذكر الوجوه السّبعة قال: إنّ كلّ وجه من هذه الوجوه يمكن أن يكون حسناً ويحظى بقبول.[1]

ثمّ أجاب عن السؤال التالي: «لو كان القرآن معجزاً لكان نبيّاً مبعوثاً إلى العرب والعجم، وكان يجب أن يعلم سائر النّاس إعجاز القرآن من حيث الفصاحة، والعجم لا يمكنهم ذلك».

فقال: إنّ هذا لا يصحّ؛ لأنّ الفصاحة ليست مقصورة على بعض اللّغات، والعجم يمكنهم أن يعرفوا ذلك على سبيل الجملة».[2]

وفي بيان نظم القرآن قال:

> والّذي يعلم في العلم بإعجاز النّظم هو أن يعلم مباني الكلام وأسباب الفصاحة في ألفاظها، وكيفيّة ترتيبها، وتباين ألفظها، وكيفية الفرق بين الفصيح والأفصح، والبليغ والأبلغ ويعلم مقادير النّظم والأوزان وما به يتبيّن المنظوم من المنثور، وفواصل الكلام ومقاطعه، ومباديه، وأنواع مؤلّفه ومنظومه.[3]

وقد أشار الى عشرة خصائص يتميز بها نظم القرآن، كلّ واحدة منها تعتبر خاصّية مهمّة للقرآن وهي:

١. نظمه الجديد الّذي خرج صور جميع أسباب المنظومات، ولولا نزول القرآن لم يقع في خلد فصيح سواه.[4]

٢. الرّوعة الّتي له في قلوب السّامعين، فمن كان مؤمناً يجد هشاشة[5] له وانجذاباً نحوه.
٣. أنّه لم يزل نظماً طرياً لا يمل.
٤. أنّه في صورة كلام هو خطاب لرسوله تارة، ولخلقه أخرى.
٥. مايوجد من جمعه فإن له صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادّين.
٦. ما وقع في أجزائه من امتزاج بعض أنواع الكلام ببعض.

---

١. المصدر السّابق: ٩٨١ ـ ٩٨٢.
٢. المصدر نفسه، ص٩٩٨.
٣. المصدر السّابق، ص١٠٠٣.
٤. المصدر نفسه، ص١٠٠٤.
٥. الهشاشة: الإقبال على الشيء بنشاط.

٧. تمتعه بجميع مزايا اللغة.

٨ وجود التّفاضل بين بعض أجزائه من السّور.

٩. وجود ما يحتاج العباد إلى عمله من أصول دينهم وفروعه... .

١٠. وجود قوة النّظم في أجزائه كلّها حتّى لا يظهر في شيء من ذلك تفاوت ولا اختلاف.[1]

العلّامة محمد باقر المجلسي رحمه الله

شيخ الإسلام، محمّد باقر (المتوفى ١١١٠)، ابن محمّد تقي المجلسي، نور الله ضريحه وقدس الله روحه ـ من المحدّثين الكبار عند الشّيعة، قال فيه الشّيخ الحر العاملي صاحب كتاب «وسائل الشّيعة»: المولى محمّد باقر المجلسي، العالم، الفاضل، الماهر، المحقّق المدقّق، العلّامة، الفهامة، الفقيه، المتكلّم، المحدّث، جامع المحاسن والفضائل، عالماً ربانياً في علوم المعقول والمنقول، قدم للشيعة خدمات جليلة، فمن كتبه: بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار[2] في خمسة وعشرين مجلداً، وهو دائرة معارف في التأريخ والعقائد الإسلامية، وكتاب مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول في شرح الكافي، ملاذ الأخبار، وهو شرح لكتاب تهذيب الأخبار، الأربعين، الفوائد الطريفة وهو شرح للصحيفة، رسالة الإعتقادات، عين الحياة، حقّ اليقين، حلية المتقين، جلاء العيون، زاد المعاد، مشكاة الأنوار، الوجيزة في الرّجال، وأكثر من خمسين كتاب فارسي وعربي.

وقد أفرد فخر الأمة العلّامة الشّيخ محمّد باقر المجلسي في المجلد السّابع عشر في بحث تأريخ النبيّ صلى الله عليه وآله قسم معجزات النبيّ، الباب الأول لإعجاز القرآن تحت عنوان: «إعجاز أم المعجزات»[3] تعرّض فيه إلى ذكر آيات الإعجاز وتفسيرها، وذكر الرّوايات في بحث الإعجاز، وفي الختام تناول حقيقة الإعجاز وكيفية دلّالته على النّبوّة، وذكر وجوه إعجاز القرآن، في البداية ذكر مائة آية تقريباً في مبحث الإعجاز، وتحدي القرآن، وقام بتفسيرها طبقاً لمنهجه، وفي ذيل الآية: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا

---

١. المصدر السّابق، ص١٠٠٦.

٢. تأريخ حديث، ص١٤٦.

٣. راجع: بحار الأنوار، ج١٧، ص١٥٩ ـ ٢٢٥.

ﭐلنَّاسُ وَﭐلۡحِجَارَةُ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[1] قال: إنّ الآية تدلّ على الإعجاز، وصدق رسالة النبيّ ﷺ، لأنّ النبيّ ﷺ تحدى المشركين بأن يأتوا بمثل القرآن، وإلّا فإنّ عجزهم عن ذلك يعتبر دليلاً على الإعجاز والتّعبير ﴿...وَلَن تَفۡعَلُواْ...﴾ تأكيد بليغ في نفي المستقبل إلى يوم الدّين وهو اخبار بالغيب.[2] وكذلك الآية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[3] يعتبر إشارة إلى إعجاز القرآن في سلامته من كلّ عيب ونقص. ثمّ نقل قول بعض المتكلّمين في تفسير ذلك فقال: «إنّ القرآن كتاب كبير، وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم، فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة، لأنّ الكتاب الكبير لا ينفك عن ذلك، ولمّا لم نجد شيئاً من ذلك علمنا أنّه ليس من عند غير الله».[4]

ثمّ ذكر رأي أبي مسلم الإصفهاني في هذه الآية: «إنّ المراد منه الاختلاف في رتبة الفصاحة حتّى لا يكون في جملته ما بعد في الكلام الرّكيك، بل بقيت الفصاحة فيه من أوّله إلى آخره على نهج واحد، ومن المعلوم أنّ الإنسان وإن كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فإذا كتب كتاباً طويلاً مشتملاً على المعاني الكثيرة فلا بدّ وأن يظهر التّفاوت في كلامه، بحيث يكون بعضه قويّاً متيناً، وبعضه سخيفاً نازلاً، ولمّا لم يكن القرآن كذلك علمنا أنّه المعجز من عند الله تعالى».[5]

وبعد أن ذكر آيات التّحدي عدّ مراحل التّحدي سبعة مراحل على النّحو التالي:

١. التّحدي بكلّ القرآن في الآية: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ...﴾.[6]

٢. التّحدي بعشرة سور.

---

١. البقرة: الآية ٢٤.
٢. راجع: بحار الأنوار، ج١٧، ص١٦٧.
٣. النساء: الآية ٨٢
٤. راجع: بحار الأنوار، ج١٧، ص ١٧٤.
٥. المصدر السّابق.
٦. الإسراء: الآية ٨٨

٣. التّحدي بسورة واحدة.

٤. تحداهم بحديث مثله.

٥. في المراتب المتقدّمة كان يطلب أن يأتي بالمعارضة رجل كرسول الله صلى الله عليه وآله في عدم التّلمّذ والتّعلم، ثمّ في سورة يونس طلب منهم معارضته بسورة واحدة من أي إنسان تعلم العلوم، أو لم يتعلمها.

٦. تحدى جميع النّاس أن يأتوا بمثل القرآن وجوّز أن يستعين البعض بالبعض في الإتيان بهذه المعارضة، فقال: ﴿...وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾[1]

خلافاً للمراحل السّابقة، حيث كان التّحدي فردياً.[2]

ومن جملة وجوه الإعجاز في نظر العلّامة المجلسي هو «نفي التّناقض عن آياته» وفي ذيل الآية: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ...﴾[3]

اعتبر القرآن كتاباً كاملاً، وقد عدّ من مصاديق «العوج»:

١. نفي التّناقض عن آياته.

٢. إنّ كلّ ما ذكره الله فيه من التّوحيد والنّبوّة والأحكام والتّكاليف، فهو حقّ وصدق، ولا يتطرق خلل إليها.

٣. إنّ دعوة القرآن إلى الصّراط المستقيم، يعني دعوة الخلق إلى الحقّ ومن الدّنيا إلى الآخرة، ومن الانحراف إلى السّعادة فثبت أنّه مبرأ من العوج والانحراف والباطل.[4]

وبعد أن ذكر الآيات والرّوايات الّتي تدلّ على الإعجاز، ذكر سبعة شروط اعتبرها لازمة في تحقّق الإعجاز، وهي:

١. أن تكون المعجزة فعل الله، أو من يقوم مقامه.

٢. أن تكون خارقة للعادة.

٣. عجز الآخرين عن الإتيان بمثلها.

---

١. يونس: الآية ٣٨.

٢. راجع: بحار الأنوار، ج١٧، ص١٨٧.

٣. الكهف: الآية ١.

٤. راجع: بحار الأنوار، ج١٧، ص١٩١.

٤. أن يكون مقروناً بالتّحدي، ولا يشترط التّصريح بالدّعوى، بل تكفي قرائن الأحوال.
٥. أن يكون موافقاً للدعوى، لا أن يكون خارقاً لعادة أخرى.
٦. أن يكون ما أظهره مؤيداً له لا مكذباً.
٧. أن تحدث المعجزة بعد الدّعوى، أو مقارنة لها لا قبل ذلك.[١]

ثمّ تعرض العلّامة المجلسي إلى ذكر وجوه الإعجاز، معتبراً الإعجاز في الفصاحة والبلاغة من أهم الإعجاز ضمن بيان آراء بعض العلماء في هذا المجال، فقال:

> وأمّا وجه إعجازه فالجمهور من العامّة والخاصّة... على إنّ إعجاز القرآن بكونه في الطّبقة العليا من الفصاحة، والدّرجة القصوى من البلاغة، على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم، وعلماء الفرق بمهارتهم في فن البيان، وإحاطتهم بأساليب الكلام، هذا مع اشتماله على الأخبار عن المغيبات الماضية والآتية، وعلى دقائق العلوم الإلهيّة، وأحوال المبدأ والمعاد، ومكارم الأخلاق، والإرشاد إلى فنون الحكمة العلميّة والعمليّة. وقيل عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطّول والامتداد... والحقّ هو الأول.[٢]

العلّامة شبر رحمه الله

وهو السيّد عبد الله شبر (المتوفى ١٢٤٢هـ) من مفسّري ومحدّثي القرن الثّالث عشر الهجري، صاحب عشرات الكتب القيّمة، والمشهور بالمجلسي الثّاني، ومن جملة كتبه «حقّ اليقين في معرفة أصول الدّين» وهو من الكتب النّادرة في أصول عقائد الإمامية، فقد أورد كثيراً من الأدلّة العقليّة والنقليّة على العقائد، وقد تناول في المجلد الأول إثبات نبوّة نبيّ الإسلام ومعجزاته، ثمّ تعرّض إلى إعجاز القرآن وكيفيته، وبعد أن ذكر بعض الآراء حول إعجاز القرآن لخص وجوه الإعجاز في اثني عشر وجهاً، كالتالي:

١. التّركيب العجيب للكلمات، بحيث يعجز الآخرين عن الإتيان مثلها.[٣]
٢. الأسلوب والنظم الجديد، فلا نجد في قصائد فصحاء العرب وأشعارهم ما يشبه القرآن في ملاحته وفصاحته؛ ولذلك فقد نسبه الكفار إلى السّحر.[٤]
٣. عدم الاختلاف فيه، وبعده عن التّناقض وعدم الإنسجام، مع أنّ أفصح الفصحاء عندما

---

١. المصدر السّابق: ٢٢٢.
٢. المصدر نفسه، ص٢٢٤.
٣. حقّ اليقين، ج١، ص١١٣.
٤. المصدر نفسه، ص١١٤.

يتكلّم كلاماً طويلاً تجد فيه الاختلاف والتّناقض.[١]

٤. اشتماله على كمال معرفة الله وذاته وصفاته وأسمائه، ممّا تمير فيه العقول، واشتماله على الآداب الكريمة والشّرائع القويمة لإدارة المجتمع.

٥. اشتماله على الأخبار بخفايا الماضيّة والقرون الخاليّة، ممّا لم يعلمه أحد إلّا خواص أحبارهم ورهبانهم، الذين لم يكن النبيّ ﷺ معاشراً لأحد منهم، كقصة أهل الكهف، وأخبار الكفار والمنافقين وأحوال القبيلة.[٢]

٦. من حيث أنّه لا يخلق على طول الأمان، ولا يمل منه، بل كلّما تلوته ونظرته وجدته طرياً.[٣]

العلّامة البلاغي رحمه الله

وهو العلّامة محمّد جواد البلاغي (المتوفى ١٣٥٢هـ)، من علماء النّجف، وصاحب التّفسير القيّم (آلاء الرحمن في تفسير القرآن)، تعرّض في مقدّمة تفسيره إلى بحث إعجاز القرآن، فهو يعتقد أنّ إعجاز القرآن يمكن دراسته من زاويتين:

الأولى: إعجاز القرآن للعرب،[٤] وكيف يكون القرآن معجزة بالنّسبة إليهم، وخاصّة في صدر الإسلام، ثمّ إعجاز القرآن بالنّسبة إلى عامّة البشر، أعم من العرب والعجم، في القسم الأوّل أي: إختصاص القرآن بالعرب يرى: أنّه عند بزوغ فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة كان أهمّ العلوم عند العرب هو الأدب العربي وأساليب الكلام، ولم يكونوا على إطلاع في بقيّة العلوم الأخرى، فكان يجب أوّلاً أنّ يلفت انتباههم، ومن هنا فإن إعجاز القرآن في الدّرجة الأولى كان في مجال اللغة والفصاحة، وإلّا فإنّ العرب لا تسلم بسهولة لدعوة القرآن، بل كانوا يعتبرونه نوعاً من السّحر، أو الصنعة الأجنبية، فلا يؤمنوا به، ومن هنا فقد اقتضت الحكمة الإلهية، في البداية مواجهة مخاطبيه في قالب بياني وبلاغي، يقول في هذا المجال:

> وأمّا العرب الذين ابتدأت بهم دعوة الإسلام في حكمة سيرها في الإصلاح، فقد كانت معارفهم نوعاً منحصرة بالأدب العربي، وكانوا خالين من سائر العلوم

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، ص١١٥.

٤. العلّامة البلاغي من العرب الفصحاء يُدرك النكات الأدبيّة وخصائص اللغة العربيّة بصورة جيدة فقد عاش في النّجف.

والصنائع الخاضعة للعلم والتعلّم... فلا يعرفون من الأعمال ما هو خارج عن هذه الحدود، وخارق للعادة ولا يكون إلّا بإعجاز إلهي، فكل عمل معجز من غير الأدب العربي بمجرد مشاهدتهم له وسماعهم به يسبق إلى أذهانهم ويستحكم في حسبانهم أنّه من السّحر، أو من مهارة أهل البلاد الأجنبية في الصنائع وتقدّمهم في العلوم وأسرار الطبيعيات وقوانينها.

ولا يذعنون بأنّه معجز إلهي، بل يسوقهم شك الجهل إلى الجحود، خصوصاً إذا كان ذلك يحتج به النبيّ... ولذا اقتضت الحكمة الإلهيّة «ولله الحكمة البالغة» أن يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون.. فإنّه يكون حجّة على العرب بإعجازه ببلاغته وبعجزهم عن الإتيان بمثله، أو بسورة من مثله، وبخضوعهم لإعجازه، وهم الخبراء في ذلك يكون أيضاً حجّة على غيرهم في ذلك».[1]

ذكر العلّامة البلاغي أنّ القرآن نفسه قد أكد على هذا الإعجاز وتحدى العرب وصرّح بأعلى صوته: «فأتوا بسورة من قبله» وكرر النّداء والمصارحة في الإحتجاج وهوما يؤشر ثبات القرآن في إعجازه البياني والبلاغي والتّأريخ يشهد إنّه لم يستطع أحد أن يستجيب لدعوة القرآن بالإتيان بمثله.[2]

١. الإعجاز التأريخي

وفي مجال الإعجاز التّأريخي يقول أنّه على الرّغم من أنّ القرآن قد أخبر عن الحوادث الماضية والأمم الخالية عن طريق الرّسول الّذي كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب ولم يدخل مدرسة، وهذا بنفسه يعتبر أمراً خارقاً للعادة، غير أنّ الإعجاز التأريخي ليس في هذه النّقطة؛ لأنّ مثل هذا الأخبار يمكن في العادة بالنّسبة لنوع البشر وإن كان معرضاً للعثرات الّتي لا تقال، بل نقول أنّ القرآن الكريم إشترك مع التّوراة في نقل بعض القصّص، التوراة الّتي اتّفق اليهود والنّصارى على أنّها كتاب الله المنزل على رسوله موسى‌عليه‌السلام. وقد جاءت تلك القصّص مملوءة بالخرافات والكفر وعدم الانتظام، ومن ذلك قصة آدم‌عليه‌السلام. أمّا القرآن الكريم فقد أورد هذه القصّص بكرامة الوحي منزهة عن كلّ خرافة وكفر، وعن كلّ ما ينافي قدسية الله وقدسية أنبيائه ما يشير إلى أنّ القرآن وحي إلهي.[3]

---

١. راجع: آلاء الرّحمن، ج١، ص٤.
٢. المصدر نفسه، ص٧.
٣. آلاء الرحمن، ج١، ص٩.

٢. الإعجاز في وجهة الاحتجاج[١]

يرى المرحوم البلاغي أنّ القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ في زمن جهل وضلال، وكان أغلب النّاس مشركين يعبدون الأصنام، وكان النّفاق والشّرك سمة ذلك العصر، فأنزل الله سبحانه وتعالى كتابه لهداية البشر. وقد استفاد القرآن من وسائل متنوعة للهداية، فاستخدم أسلوب البرهان والإستدلال، فالحجج القرآنيّة واضحة جداً، في قوالب محكمة، يقول العلامة البلاغي: «جاء بها على أرقى نحو يستلفت العامّي إلى نور الغريزة الفطريّة فيمثله لشعوره وإلى سناء البديهيات فيجلوه لإدراكه».[٢]

إنّ احتجاجات القرآن في موضوع معرفة الله، المعاد، وصفات الله و... كثيرة حتّى أنّه كشف الحقائق المستورة، وعندما نقارن أسلوب الحجاج في القرآن مع احتجاجات الأناجيل الأربعة يتبيّن بوضوح إعجاز القرآن في احتجاجاته، وقد أشار المرحوم البلاغي إلى نماذج منها في كتابه.[٣]

٣. إعجاز القرآن من وجهة الاستقامة والسّلامة من الاختلاف والتّناقض[٤]

يرى العلامة البلاغي أنّ القرآن الكريم قد خاض في علوم وفنون ومعارف متنوعة، كالفلسفة، والسّياسة، والخطابة، والعلوم الاجتماعيّة، والأخلاقيّة والقوانين المدنيّة، والعسكريّة و... وجرى من ذلك بأحسن أسلوب وأقوم منهج، وفي جميع ذلك لم يظهر منه اختلاف ولا تناقض ولا وهن، كتاب بسورة الانسجام بين تمام أجزائه. ثمّ ذكر أنّ القرآن قد أكّد في آيات متعدّدة على هذا الأمر، حيث قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٥] فهل يمكن لبشر أميّ لم يتلق تعليماً ولم يدخل مدرسة أن يأتي بمثل هذه المسائل المنسجمة، ثمّ قال: «ولك العبرة بكتب العهدين، وهي الّتي منذ قرون عديدة يصفق لاستحسانها أكثر العالم المفتخر بالعلم والتّمدن وينسبونها بكمال

---

١. راجع: المصدر نفسه، ص١١.
٢. راجع: المصدر نفسه.
٣. المصدر السّابق، ص١٢.
٤. راجع: المصدر نفسه.
٥. النساء: الآية ١٨٢.

الاحتفال إلى كرامة الوحي، فكم وكم يوجد من الوهن والسّقوط والاختلاف والتّناقض...
وقد ذكر في الجزء الأوّل من المرحلة المدرسيّة.[١]

٤. إعجازه في وجهة التّشريع العادل ونظام المدنيّة[٢]

عدّ العلّامة البلاغي أنّ الوجه الرّابع[٣] من وجوه الإعجاز هو الإعجاز في عرض القوانين الحقوقيّة العادلة قائلاً:

> قدر رسول الله ﷺ بشراً عادياً... في عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم وعاداتهم الوحشيّة، ثمّ انظر هل يمكن في العادة لمثل هذا البشر إذا لم يكن موحى إليه أن يأتي من عنده ومن بشريته بمثل ما أتى به في القرآن الكريم من الشّريعة الحقوقيّة العادلة والقوانين القيّمة والأنظمة المعقولة الجاريّة بأجمعها على ما هو الصّالح للبشر في المدنيّة والاجتماع والسّياسة والحرب.[٤]

فالمدنيّة الّتي وصل إليها البشر عن طريق القرآن حضارة راقية جداً تعتبر معجزة وعند دراسة الحضارات في ذلك الزّمان ومقارنتها مع القرآن يتبيّن بوضوح الحضارة الّتي رسمها القرآن للبشر. يقول المرحوم البلاغي: «فاعرف إذن إعجاز القرآن في تشريعه الممتاز بفضيلة الوحي الإلهي».[٥]

٥. الإعجاز في النظام الاخلاقي

ذهب العلّامة البلاغي إلى أنّ الوجه الخامس من وجوه الإعجاز هو الإعجاز في المجال التّربوي والأخلاقي، مبيّناً أنّ القرآن الكريم هوكتاب يتضمن نظاماً أخلاقيّاً تربويّاً خارقاً للعادة، فمنذ ذلك الزّمان وحتّى الوقت الحاضر لم يأت كتاباً بمثل جماله. ثمّ أضاف أنّه وقبل عصر النّزول وصلت الأخلاق والتّربيّة إلى أدنى حدّ من التّدني الأخلاقي، فبزغ القرآن بأنواره فأتى بما لا تسمح به العادة من الأخلاق الفاضلة، ثمّ أشار الى نماذج من تلك الموارد في سورة النّحل والحجرات، كالآية الشّريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي

---

١. راجع: آلاء الرّحمن، ج ١، ص١٢.
٢. المصدر نفسه، ص١٣.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر نفسه، ١٤.

ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[١]

يقول العلّامة البلاغي:

إذا ألقينا نظرة إلى التّوراة وقارناً تعاليمه الأخلاقيّة مع القرآن، سوف يتبيّن عظمة هذا الكتاب السّماوي، والأمر نفسه ينطبق على الأناجيل فقد أفرطت في تعاليمها التّربويّة والأخلاقيّة.[٢]

في حين أنّ القرآن، خلافاً للسنن الجاهليّة، تضمن الآداب والتّعاليم الأخلاقية الراقيّة مستفيداً من الأساليب التّربويّة الراقيّة.

٦. إعجازه في وجهة علم الغيب[٣]

وهو الوجه الأخير الّذي ذكره العلّامة البلاغي، أي: أحتواء القرآن على «الأخبار الغيبية» قال:

إن القرآن يتضمن أخبار غيبية كثيرة، ومن خلال الظروف الاجتماعيّة في ذلك الوقت من الصعب القبول بهذه الأخبار والتّصديق، أو التّكهن بها، وقد تبيّن فيما بعد صحة تلك الأخبار فمن ذلك قوله في سورة الحجر: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ * ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٤] في الأمر لرسول الله ﷺ بالإعلام بالدّعوة والتنبأ بنجاحها وإرغام معانديها عند طغيان الشّرك واستفحاله وهيجان المشركين على رسول الله ﷺ وكذلك الآيات الّتي تخبر عن انتصار الإسلام على جميع بلاد الآرض، والآيات الّتي تخبر عن غلبة الرّوم وآيات سورة المسد في شأن أبي لهب وزوجته و... وقارن ذلك مع الأناجيل. ثم قال: وهل يسمح عقله إلّا بأن يقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.[٥]

العلّامة الطباطبائي رحمه الله

ذكر العلّامة محمد حسين الطباطبائي (المتوفى ١٤٠٥هـ)، المفسّر والفيلسوف الشّيعي الكبير

---

١. النحل: الآية ٩٠.
٢. رجع: آلاء الرحمن، ج١، ص١٥.
٣. المصدر نفسه.
٤. الحجر: الآيات ٩٤ ـ ٩٦.
٥. آلاء الرحمن، ج١، ص١٦.

بحث الإعجاز في ذيل الآيات (٢٣، ٢٤) من سورة البقرة، فهو يرى أنّ آيات التّحدي تدلّ على إعجاز القرآن، وإنّ تحدي القرآن عامّ شامل لجميع الوجوه، والتّحدي العامّ ورد في الآية: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١] يظهر من خلال هذه الآية أنّ الإعجاز يكمن في جوانب متنوعة[٢] يقول العلّامة:

لو كان التّحدي ببلاغة القرآن وجزالة أسلوبه فقط لم يتعد قوماً خاصّين، وهم العرب العرباء... مع أنّ المخاطبين في الآية السّابقة هم الإنس والجن، ومن هنا يتبيّن أنّ الإعجاز يتخطى الأسلوب البياني، وكذلك إذا كان التّحدي بصفة خاصّة فقط غير البلاغة وجزالة الأسلوب، فلا بدّ أن يكون خطاب القرآن متجهاً لهذه الطائفة الخاصّة مع أنّ التّحدي عامّ وشامل للجميع، إنّ شمول خطاب التّحدي يكشف عن أنّ الله سبحانه وتعالى دعا الجميع للإتيان بمثل القرآن، ومن هنا فالقرآن معجزة الجميع ولا يختص بمجموعة خاصّة، وكذلك فإنّ إعجازه لا يقتصر على البلاغة فقط، أو المعارف، أو الأخلاق، أو القوانين الصالحة والاخبار الغيبية و... لأن كل جهة من تلك الجهات يفهمها جماعة خاصة من الجن والانس.[٣]

ومن هنا يقول العلّامة في هذا المورد:

فالقرآن آية للبليغ في بلاغته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه، وللاجتماعي في اجتماعه، وللمقننين في تقنينهم وللسّياسيين في سياستهم، وللحكّام في حكومتهم، ولجميع العالمين فيما لاينالونه جميعاً كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم[٤] ثمّ أكّد على أنّ إعجاز القرآن يتضمن جميع الجهات لكلّ فرد من الإنس والجن عالماً كان أو جاهلاً، رجلاً كان أو امرأة، متخصّصاً أو فرداً عادياً... وكلّ إنسان مفطور على إدراك الفضيلة.[٥]

يقول العلامة في هذا المجال:

وهل يجتري عاقل على أن يأتي بكتاب يدعيه هدى للعالمين ثمّ يودعه أخباراً في الغيب ممّا مضى ويستقبل، وفيمن خلت من الأمم، وفيمن سيقدم منهم، لا بالواحد والاثنين في أبواب مختلفة من القصص والملاحم والمغيبات المستقبلة، لا يتخلف شيء منها عن صراط الصّدق.[٦]

---

١. الإسراء: الآية ٨٨
٢. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٩.
٣. المصدر نفسه، ص ٦٠.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر نفسه، ص ٦١.
٦. المصدر نفسه.

ثمّ يضيف إنّ العاقل القادر على تحليل هذه المعاني والقضايا لا يشك أنّ هذه المزايا الكليّة وغيرها ممّا يشتمل عليها القرآن خارجة عن قدرة البشر ووراء الوسائل الطبيعيّة الماديّة.[١]

وفي مسألة شمول الإعجاز للجميع يتساءل العلّامة فيقول:

ما الفائدة في توسعة التّحدي إلى العامّة والتّعدي عن حومة الخاصّة، فإنّ العامّة سريعة الإنفعال للدّعوة والإجابة لكلّ صنيعة، وقد خضعوا لأمثال، الباب، والبهاء، والقاديانـي، ولمسيلمة، على أنّ ما أتوا به أشبه بالهجر والهذيان منه بالكلام.

ثمّ أجاب على ذلك قائلاً:

هذا هو السبيل في عموم الإعجاز والطّريق الممكن في تمييز الكمال والتقدّم في أمر يقع فيه التّفاضل والسّباق، فإنّ أفهام النّاس مختلفة اختلافاً ضروريّاً، والكمالات كذلك، والنّتيجة الضّروريّة لهاتين المقدّمتين أن يدرك صاحب الفهم العالي والنّظر الصائب، ويرجع من هو دون ذلك فهماً إلى صاحبه، والفطرة حاكمة والغريزة قاضية، ولا يقبل شيء ممّا يناله الإنسان بقواه المدركة ويبلغه فهمه العموم والشّمول لكلّ فرد في كلّ زمان ومكان بالوصول والبلوغ والبقاء إلّا ما هو من سنخ العلم والمعرفة، على الطريقة المذكورة، فإنّ كلّ ما فرق آية المعجزة غير العلم والمعرفة، فإنّما هو موجود طبيعي، أو حادث حسي محكوم بقوانين المادة، محدود بالزّمان والمكان، فليس بمشهور إلّا لبعض أفراد الإنسان دون بعض، ولو فرض محالاً، أو كالمحال عمومه لكلّ فرد منه، فإنّما يمكن في مكان دون جميع الأمكنة، ولو فرض اتساعه لكلّ مكان لم يمكن اتساعه لجميع الأزمنة والأوقات، فهذا ما تحدى به القرآن عاماً لكلّ فرد في كلّ مكان في كلّ زمان.[٢]

ثمّ تعرض العلّامة الطباطبائي إلى بعض وجوه تحدي القرآن، والّذي يشير إلى وجوه الإعجاز عند العلّامة، وهي:

الإعجاز العلمي

تحدى القران الكريم النّاس بالعلم والمعرفة، كما في الآيات الشّريفة: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾[٣] والآية: ﴿...وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤] فكلّ من يتمعن في تعاليم الإسلام السّامية، أعم من التّعاليم العامّة الّتي ذكرها القرآن، والجزئية

---

١. المصدر السّابق.

٢. المصدر نفسه.

٣. النحل: الآية ٨٩

٤. الانعام: الآية ٥٩.

الّتي بينها النبيّ ﷺ كما في الآية: ﴿...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ...﴾[1] يكشف أنّ القرآن قد تعرّض إلى كلّ موضوع صغيراً كان، أم كبيراً، فجميع المسائل الفلسفيّة، والأخلاقيّة، والقوانين الدّينيّة، والسّياسيّة والاجتماعيّة، وكلّ ما يحتاجه البشر في مرحلة العمل، قد تعرّض لها القرآن ذاكراً أشدّ تفاصيلها، جميع ذلك على أساس الفطرة وأصل التّوحيد.[2]

وقد أجاب عن السّؤال القائل: «قد استقرت أنظار الباحثين عن الاجتماع وعلماء التقنين اليوم على وجوب تحوّل القوانين الوضعيّة الاجتماعيّة بتحول الاجتماع، واختلافها باختلاف الأزمنة والأوقات وتقدّم المدنيّة والحضارة».

ثمّ أجاب قائلاً: «إنّ القرآن يبني أساس التّشريع على التّوحيد الفطري والأخلاق الفاضلة الغريزيّة، ويدّعي أنّ التّشريع يجب أن ينمو من بذر التّكوين والوجود، وهؤلاء الباحثون يبنون نظرهم على تحوّل الاجتماع».[3]

التّحدي بمن أنزل عليه القرآن

تحدى القرآن البشر بشخص رسول الله ﷺ فالنبيّ كان أميّاً لم يحضر في مدرسة، ولم يحضر عند أستاذ، مع ذلك فقد جاء بكتاب أعجز البشر في ألفاظه ومحتواه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[4]

وقد بيّن العلّامة الطباطبائي أنّ الجميع كانوا يعلمون أنّ النبيّ ﷺ كان يعيش بينهم الى أن ادّعى النّبوّة، وتحدى النّاس، فلم يجترئ على معارضته معارض، أو ذي لب، ومن هنا فقد جاء التّحدي بشخص النّبيّ بالخصوصيات الّتي يمتلكها.[5]

---

١. الحشر: الآية ٧.
٢. راجع: الميزان، ج ١، ص٦٢.
٣. المصدر نفسه، ص٦٣.
٤. يونس: الآية ١٦.
٥. راجع: الميزان، ج ١، ص٦٣.

الإعجاز بالاخبار الغيبية

وهو من الوجوه الأخرى للإعجاز عند العلّامة الطّباطبائي، حيث قال:

وقد تحدى بالأخبار عن الغيب بآيات كثيرة، فطلب من الآخرين أن يأتوا بكتاب كالقرآن يشتمل على الأخبار الغيبية إذا كانوا يشكّون في وحيانيته، كالآية الشّريفة: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا...﴾[1] بالإضافة إلى آيات أخرى تتحدث عن الأنبياء السّابقين والأمم الماضية، وكذلك الأخبار المستقبليّة، ومن ذلك أيضاً الآيات الّتي تنبئ عن الحوادث العظيمة الّتي تستقبل الأمة الإسلاميّة بعد نزول القرآن.[2]

تحدي القرآن بعدم الاختلاف فيه

ومن وجوه التّحدي الأخرى، هو التّحدي بعدم الاختلاف في القرآن، فمع سعة المعارف الموجودة في القرآن لا نجد فيه اختلاف أو تناقض، ومن هنا أكّد العلّامة الطباطبائي استناداً للآية:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[3]

أنّ الحياة الدّنيا هي حياة ماديّة، والقانون الّذي يحكمها هو قانون التّحول والتّكامل، فكلّ ما في هذا العالم من موجودات إلّا وهو مندرج في الوجود بحكم قانون التّكامل، ومن جملتها الإنسان وأفعاله وآثاره الّتي يتوسل إليها بالفكر والإدراك، فما من واحد منا إلّا وهو يرى نفسه أكمل من أمس... ومن جهة أخرى فإنّ القرآن قد نزل بالتّدريج بعض الآيات نزلت في مكة والأخرى في المدينة تحت شرائط مختلفة، مع ذلك لا تجد هناك فيها أدنى اختلاف في النظم والمحتوى، بل أنّ بعض الآيات تفسر الأخرى، ولو كان من عند غير غير الله لاختلف النّظم في الحسن والمعنى من حيث الفساد والصّحة.[4]

ثمّ أضاف العلّامة: إذا ما أشكل البعض أنّ ما تقولونه مجرد دعوى، فقد أخذ على القرآن إشكالات كثيرة بعضها تناقضات في الألفاظ، وبعضها في المحتوى ومعاني القرآن. وفي الجواب على ذلك يقول العلامة: أن ما أشير إليه من التّناقضات والإشكالات موجودة في كتب التّفسير وغيرها مع أجوبتها، فقيل أنّ ذلك ليس دليلاً على تناقض القرآن، بل أنّ بعض

---

١. هود: الآية ٤٩.
٢. راجع: الميزان، ج١، ص٦٤.
٣. النساء: الآية ٨٢
٤. راجع: الميزان، ج١، ص٦٦.

الآيات تفسير البعض الآخر، وهناك عامّ وخاصّ. فعلى سبيل المثال إذا قيل: «فما تقول في النّسخ الواقع في القرآن، وقد نصّ عليه القرآن نفسه في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ...﴾[1] وهل النّسخ إلّا اختلاف في النظر»؟

وقد أجاب العلّامة الطباطبائي على هذا الإشكال قائلاً:

النّسخ كما أنّه ليس من المناقضة في القول، وهو ظاهر، كذلك ليس من قبيل الاختلاف في النظر والحكم، وإنّما هو ناشئ من الإختلاف في المصداق من حيث قبوله انطباق الحكم يوماً لوجود مصلحته فيه، وعدم قبوله الانطباق يوماً آخر لتبدل المصلحة، ومن أوضح الشّهود على هذا أنّ الآيات المنسوخة الأحكام في القرآن مقترنة بقرائن لفظية تومئ إلى أنّ الحكم المذكور في الآية سينسخ... كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا...﴾ إلى أن قال: ﴿...فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ...﴾ حيث تمّم الكلام بما يشعر بأنّ الحكم مؤجل».[2]

التّحدي بالبلاغة

قال العلّامة الطّباطبائي أنّ من جملة وجوه الإعجاز هو الإعجاز البلاغي، لأنّ ذلك هو الشأن الظّاهر من شؤون العرب، والتّأريخ شاهد على أنّ العرب في ذلك الوقت قد بلغوا مرتبة سامية في كمال البيان وجزالة النّظم ووفاء اللفظ ورعاية المقام وسهولة المنطق قبل اختلاطهم بالأمم الأخرى. وقد تحداهم القرآن بشدة بأن يأتوا بما يماثل القرآن في ألفاظه وبلاغته فدعاهم للمبارزة والتّحدي في آيات كثيرة كالآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3] ومن جهة أخرى فقد تكرّرت دعوة التّحدي، فلم تكن مرة أو مرتان حتّى ينساها العرب، فقد طالت مدة التّحدي وتمادى زمان الاستنهاض، ومع تسلطهم في اللّغة لم يستطيعوا تسكين ما يثير حميتهم ويطفئوا ما يوقد نار الأنفة والعصبية عندهم، فوقفوا عاجزين حيال دعوة القرآن، وقد مضت القرون ولم يأتِ بما يناظره آت، ولم يعارضه أحد بشيء إلّا أخزى نفسه وافتضح[4] فقد

---

١. البقرة: الآية ١٠٦.

٢. راجع: الميزان، ج١، ص٦٦.

٣. هود: الآية ١٣.

٤. راجع: الميزان، ج١، ص٦٨.

عارض مسيلمة الكذّاب سورة الفيل قائلاً: «الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل».[١] وبعد ذلك ذكر العلّامة الطّباطبائي إشكالين ثمّ أجاب عنهما فقال:

١. كيف يمكن أن يبلغ التّأليف الكلامي مرتبة تعجز الإنسان مع أنّ الكلام والجمل إنّما هي من صنع ذهن الإنسان نفسه، وكيف يمكن أن يترشح من قريحة الإنسان ما لا تحيط به، والفاعل أقوى من فعله ومنشأ الأثر محيط بأثره؟

٢. ثمّ إنّ التّراكيب الكلاميّة لو فرض أنّ بينها تركيباً بالغاً حد الإعجاز كان معنى ذلك أنّ كلّ معنى من المعاني المقصودة ذات تراكيب كلامية تتفاوت في الكمال والنّقص أرقاها تلك الّتي لا تسعها الطاقة البشرية، وهو التّركيب المعجز وأدناها مرتبة الكلام العادي، ولازم ذلك أن يكون في كل، معنى تراكيب إعجازي واحد مع أنّ القرآن كثيراً ما يورد في المعنى الواحد بيانات مختلفة وتراكيب متفرقة، فإن كانت تراكيبه معجزة فلا يوجد منها في كلّ معنى مقصود إلّا واحد، كما هو الحال في القصص.[٢]

وفي الإجابة على هذين الإشكالين قال: في الكلام الفصيح لابدّ من ملاحظة ثلاث جهات فمن الممكن أن تجتمع العناصر الثلاثة في الكلام فيصبح الكلام فصيحاً، وربّما يفقد الكلام واحداً من العناصر الثلاثة فينزل عن مرتبة الكلام الفصيح، والعناصر الثلاثة هي:

١. الإحاطة باللغة، فربّما يحيط الإنسان بلغة من اللغات لكنّه لا يستطيع الاستفادة منها.

٢. قدرة البيان، فمن الممكن أن يمهر الإنسان في البيان وسرد الكلام لكن لا علم له بالمعارف والمطالب، فيعجز عن التّكلم فيها بكلام.

٣. قوة الفكر ودقة الذوق، فربّما تبحّر الإنسان في معارفه ومعلوماته ويستطيع جعلها في قوالب جميلة، وربّما اتصف بلطافة الذّوق، ولكنّه لايستطيع الإفصاح عن كلام جذاب لعدم امتلاكه ناصية المعارف السّاميّة. يقول العلّامة الطّباطبائي: ما يرجع إلى قريحة الإنسان هو الأول، أمّا الثّاني والثّالث فلا علاقة لها بقريحته؛ لأنّها ليست بقدرته ولا علاقة لها بقريحته، بل هي مراحل عالية ربّما يعجز الإنسان عنها في بعض المراحل، ومن الممكن أن يأتي ببعض الكلمات الّتي يعجز الذّهن عن نسخها، ومن هنا يقول العلّامة: إنّ استناد وضع اللغة إلى

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص٦٩.

إلانسان لا يقتضي أن لا يوجد تأليف كلامي فوق ما يقدر عليه الإنسان الواضع له، وليس ذلك إلّا كالقول بأنّ القين الصانع للسيوف يجب أن يكون أشجع من يستعملها.[١]

ثمّ أكّد: إنّ البلاغة ترجع للألفاظ، والأخرى للمعاني فكلّ من يتمتع بمعاني ألطف يمكنه أن يبيّن الألفاظ والمعاني اللطيفة على شكل معجزة إن كانت في موضوع وقصّة واحدة، وهذا الأمر يكون تحت اختيار الله سبحانه، فعلى سبيل المثال كرّرت قصّة نوحعليه السلام عدّة مرات، وفي كلّ مرة جاءت على مستوى عال من البلاغة والذّوق، فقد تبيّن أنّ أمر البلاغة المعجزة لا يدور مدار اللفظ حتّى يقال إنّ أبلغ التّركيبات المتصوّرة، هي تركيب واحد لا أكثر تتعلق بالألفاظ والمعاني الواضحة والكاملة حيث يمكن أن يتقولب الموضوع بقوالب مختلفة من الألفاظ، ومن هنا يقول العلّامة:

> فإنّ أمر البلاغة لا يدور مدار اللفظ حتّى يقال إنّ الإنسان هو الواضع للكلام، فكيف لا يقدر على أبلغ الكلام وأفصحه وهو واضع أو يقال أن أبلغ التّركيبات المتصوّرة تركيب واحد من بينها، فكيف يمكن التّعبير عن معنى واحد بتركيبات متعدّدة مختلفة السّياق، والجميع فائقة قدرة البشر، بالغة حدّ الإعجاز، بل المدار هو المعنى المحافظ لجميع جهات الذّهن والخارج.[٢]

آية الله الخوئيرحمه الله

زعيم الحوزة العلميّة في النجف آية الله السّيد أبو القاسم الخوئي، الأصولي والمفسّر، صاحب كتاب «البيان في تفسير القرآن» ذكر مباحث مهمّة في إعجاز القرآن، حيث يعتقد أنّ الإعجاز لا يختص بوجه خاصّ، بل القرآن معجزة من جهات متعدّدة، وكذلك يرى أنّ دين الإسلام هو دين خالد؛ ولذلك لا بدّ أن تكون معجزته خالدة أيضاً، ولذلك فإنّ القرآن معجزة جميع الأعصار والقرون[٣] ولذا فإنّه يعتبر أكبر معجزة، لأنّ النبيّصلى الله عليه وآله كان لديه معاجز أخرى ولكن لا تصل إلى مرتبة القرآن.[٤]

إنّ الإعجاز البلاغي هو أكثر وجوه الإعجاز رواجاً في صدر الإسلام، كما يرى السّيد الخوئي؛ لأنّ العرب في ذلك الزّمان كانوا يبرعون في البلاغة، ومن الطّبيعي أن يخص كلّ

---

١. الميزان، ج١، ص٧٢.
٢. الميزان، ج١، ص٧٣.
٣. راجع: البيان في تفسيرالقرآن، ص٥٤.
٤. المصدر السابق، ص١١٧.

نبيّ بمعجزة تشابه الصّنعة المعروفة في زمانه، حتّى تكون أكثر فائدة وأسرع للتصديق، ولذلك فإنّ إعجاز القرآن يكمن في بلاغته، ثمّ استشهد بكلام الإمام الرّضاعليه السلام الّذي يقول فيه: «وإنّ الله بعث محمّداًصلى الله عليه وآله في وقت كات الغالب على أهل عصره الخطب والكلام»[1] وعندما فكرت العرب في بلاغة العرب أذعنت له، وفازوا بشرف الإسلام، وأثار البعض طريق العناد فظهر عجزهم عن الإتيان بمثله.

ثم قال رغم أنّ الإعجاز البلاغي جانب مهم من جوانب الإعجاز، ولكن الإعجاز لا ينحصر في ذلك؛ لأنّ القرآن معجزة ربانيّة لجميع العصور، قال: «وإذا قد عرفت أنّ القرآن معجزة إلهيّة في بلاغته وأسلوبه فاعلم أنّ إعجازه لا ينحصر في ذلك، بل هو معجزة ربانية، وبرهان صدق على نبوة من أنزل إليه من جهات شتى»[2] ذكر السيّد الخوئي الوجوه المعروفة للإعجاز وهي:

القرآن والمعارف

عدّ آية الله الخوئي معارف القرآن فوق قدرة البشر، وقد صرّح الله سبحانه وتعالى في آيات عديدة أنّ النبيّصلى الله عليه وآله كان أميّاً لم يتعلم عند أحد، ومع ذلك فقد أتى في كتابه بما أبهر العلماء، وإذا فرضنا أنّ النبيّصلى الله عليه وآله لم يكن أميّاً، ولم يتلق من علماء عصره، أو ليس من اللازم أنّه قد اكتسب معارفه من مثقفي عصره الّذي نشأ بينهم، مع أننا نرى أنهم من الأعراب الجاهليين وثنيين يعتقدون بالأوهام ويؤمنون بالخرافات.[3]

وإذا فرضنا أنّ النبيّ قد أخذ معارفه وعلومه من كتب العهدين في ذلك الوقت، ألا يجب أن تكون معارفه القرآن صدى وانعكاساً لما ورد في كتاب العهدين، مع أننا نرى أن معارف القرآن تخالف العهدين، يقول آية الله الخوئي: «ونحن نرى مخالفة القرآن للكتب العهدين من جميع النواحي، وتنزيهه لحقائق المعارف عن الموهومات الخرافية، الّتي ملأت كتب العهدين».[4]

---

١. أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، الرواية ٢٠، ج١، ص٢٤.
٢. راجع: البيان، ص٥٦.
٣. المصدر السابق، ص٥٧.
٤. المصدر نفسه.

ثمّ ذكر نماذجاً من معارف القرآن وقارنها مع كتب العهدين ليثبت استحالة اعتقاد أنّ معارف القرآن انعكاساً لكتاب العهدين، ومن جملة ذلك صفات الله في القرآن المنزه من كلّ نقص، كما جاء في الآية: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[1] والآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾،[2] ثمّ تعرّض إلى بعض الآيات في وصف الأنبياء ومقارنتها مع العهدين؛ ليثبت أحكام المعارف القرآنية، وليخلص إلى القول بأنّ العهدين لا يمكن أن تكون مصدراً لعلم ومعارف النبيّ ﷺ قال: «وهل يمكن أن يحكم أن محمّداً قد اقتبس معارفه، وأخذ محتويات قرآنه العظيم من هذه السخافات».[3]

القرآن وابتعاد معارفه عن التناقض (الاستقامة في البيان)

من الوجوه الأخرى الّتي ذكرها آية الله الخوئي هي سلامته من التناقض؛ لأنّ الّذي يبني أمره على الكذب والافتراء لابدّ أن يصدر منه التناقض والاختلاف، مع أنّ القرآن بعيد عن ذلك، فالقرآن ومن أجل هداية البشر تعرّض لشؤون مختلفة للبشر. فوصف الموجودات السّماوية والأرضيّة مع ذلك لا تجد فيه أدنى تناقض، بل تراه في أقصى درجات الانسجام والتلاؤم، أمّا كتب العهدين ففيها الكثير من الأمور المتناقضة والتهافت.[4]

القرآن ونظام التّشريع

اعتبر آية الله الخوئي نظام القرآن وتشريعاته فوق الطاقة البشرية، فقد كان العرب في ذلك الزمان يعيشون الهمجيّة والانحطاط فكلّ إنسان يريد أن يضع القانون الّذي يلائم رغباته، مع أنّ معرفته محدودة لا يستطيع أن يضع قوانين كاملة، ولكن الله سبحانه وتعالى قد طرح أفضل نظام للتشريع في القرآن الكريم وعندما أشرقت شمس الإسلام في مكة عمّت قوانينه العالم في ذلك العصر، وفاق جميع الكتب السّماوية فشق للبشر طريقاً مستقيماً، فأمن للبشرية السعادة

---

١. البقرة: الآية ١١٦.
٢. الانعام: الآية ١٠٣.
٣. راجع: البيان، ص٦٧.
٤. المصدر السابق، ص٦٨.

الدّينية والدّنيوية[1] بوضع البرامج والتي من ضمنها رفع منزلة الإنسان حيث قال: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ...﴾[2] والآية الشريفة: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾[3] ثمّ قال السّيد الخوئي: إنّ القرآن بين «كلمة التوحيد» و«توحيد الكلمة» ودعا إلى طريق السّعادة والجنّة، ومن هنا فإنّ القرآن كتاب قانون، ومن هذا المنطلق يعتبر معجزة.[4]

القرآن واتقان المعاني

ومن الوجوه الأخرى للإعجاز عند السّيد الخوئي، هو اتقان المعاني المبنية على الحقائق الّتي لا يمكن القدح بها؛ لأنّها فوق مستوى البشر، ولا يتطرق إليها الفساد والنقد، مع كثرة المواضيع الّتي تعرّض لها القرآن. وقد تعرّض القرآن إلى علوم كثيرة، ومواضيع متعدّدة من الإلهيات، المعارف، المبدأ، المعاد، الفلك، الملائكة، إبليس، الجن، الأرض والسّماء، التّأريخ، الأنبياء، حوادث الأمم، الاحتجاجات، الأخلاق، الحقوق العائلية، السّياسة والحكومة، القضاء والقدر، الجبر والاختيار، العبادات، المعاملات، الحدود والقصاص و... وكان ما أتى به من مطالب منطقيّة ومقبولة عند جميع المتخصّصين، فلم يشكل عليها أي عالم في مجال تخصّصه.[5]

القرآن والأخبار عن الغيب

ومن وجوه الإعجاز الأخرى عند السّيد الخوئي، هي تنبؤ بعض آيات القرآن بالغيب، والّتي ثبتت صحتها فيما بعد، وهي أخبار لا يمكن للبشر الحصول عليها إلّا عن طريق الوحي والنّبوّة، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ

---

١. المصدر السابق، ص٧٢.
٢. الحجرات: الآية ١٣.
٣. الزمر: الآية ٩.
٤. راجع: البيان، ص٦٦.
٥. راجع: المصدر السّابق، ص ٨٠.

ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1] فقد وقعت معركة بدر خلافاً لرغبة المسلمين، فانتصروا انتصاراً كبيراً، فهذه الآية تتحدّث عن هذه المعركة عندما وعد الله المؤمنين بالنصر مع قلّة عددهم، فالآية تحكي حال المسلمين ووضعهم.[2] وكذلك الآية ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾.[3]

فهذه الآية تخبر عن النصر الإلهي وأنّ النبيّ ﷺ سوف يحفظ من شر المشركين، وقد ذكرت هذه الأخبار في وقت لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انكسار شوكة قريش وضعف سلطانهم. ومن الآيات الأخرى الّتي تتنبأ بالغيب الآية ٤٤ من سورة القمر[4] والآية التاسعة من سورة الصف.[5][6]

القرآن والمطالب العلميّة

ومن الجهات الأخرى الّتي ذكرها الخوئي، هو اشتمال القرآن على مسائل علميّة تثير الإعجاب لا يمكن معرفتها في ذلك الوقت إلّا عن طريق الوحي، ورغم أنّ بعض المعارف العلميّة كانت معروفة لليونانيين إلّا أنها كانت غريبة عند العرب، وغير معروفة لديهم في ذلك الزّمن؛ لبعدهم عن العلم، وقد تبينت صحة تلك المعارف بمرور الزّمان وتقدّم العلم، مع أنّ القرآن قد أشار إلى ذلك صريحاً، أو عن طريق الإشارة[7] ويمكن الإشارة إلى بعض النماذج:

١. قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾[8] تشير هذه الآية إلى الجبال الثابتة وأن كلّ ما ينبت في الأرض له وزن خاص، أي أن كلّ نوع

---

١. الانفال: الآية ٧.
٢. راجع: البيان، ص٨٢
٣. الحجر: الآيتان ٩٤، ٩٥.
٤. ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولن الدبر﴾.
٥. ﴿هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون﴾.
٦. راجع: البيان، ص٨٣
٧. راجع: المصدر نفسه، ص٨٤
٨ الحجر: الآية ١٩.

من أنواع النّبات يتركب من أجزاء خاصّة على وزن مخصوص، بحيث لو زاد في بعض أجزائه، أو نقص لكان ذلك مركباً آخر.

٢. قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ...﴾[١] وهي تشير إلى التلقيح عن طريق الرّياح.

٣. ﴿...وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ...﴾[٢] والآية تشير إلى الزّوجية في النّباتات أمّا الآيات الأخرى، الّتي تشير إلى حركة الأرض وكرويتها، إيلاج الليل في النّهار، وجود المشرقين والمغربين و.. فإنّ حقيقتها لا تزال غير واضحة للبشر. ثمّ يشير السّيّد الخوئي في نهاية وجوه إعجاز القرآن الى أنّ تصديق الإمام علي عليه السلام -الّذي كان على درجة عالية في الفصاحة والبلاغة والمعارف الإلهية وسائر العلوم - لإعجاز القرآن هو بنفسه دليل على أنّ القرآن وحي إلهي ممّا يدلّ على أنّ هذا الكتاب في درجة عالية من الإعجاز، ولا بدّ من بذل جهود كبيرة لإدراكه.[٣]

الإمام الخميني قدس سره

مؤسس الجمهورية الإسلامية، كان عالماً وعارفاً بالقرآن وله نظرية جديدة في مسألة الإعجاز فمع إبدائه احتراماً لنظريات العلماء المسلمين السّابقين في هذا الموضوع أكّد على رأيه في هذا الأمر. في البداية أكّد على الوجوه الشّائعة في الإعجاز بين المسلمين، والّتي تتضمن الإعجاز في: الفصاحة والبلاغة، الأخبار عن الغيب، اتقان المعاني، سعة مواضيع القرآن، الجامعيّة، نزوله على نبيّ أمي و... يقول الإمام: إنّ حسن التّركيب ولطف البيان، غاية الفصاحة، نهاية البلاغة، كيفية الدّعوة، الأخبار عن المغيبات، أحكام الأحكام، اتقان تنظيم الأسرة، وأمثال ذلك كلّ واحد منهما يعتبر وجهاً من الوجوه الإعجازيّة بصورة مستقلة.[٤]

ثمّ أكّد على أهميّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله فقال: إنّ تلك المعارف الّتي انتشرت في العالم ببركة بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله يعلم المطلعون على تلك المعارف وإلى الحدّ الّذي ندركه أنّ تلك

---

١. الحجر: الآية ٢٢.
٢. راجع: البيان، ص٩١.
٣. راجع: البيان، ص٩١.
٤. راجع: آداب الصلاة، ص٢٦٤.

المعارف خارجة عن حدّ البشرية، فذلك الإعجاز هو فوق إدراك البشر. إنّ الإنسان الّذي ولد وترعرع في الجاهليّة لم‌يكن يعرف مثل هذه المسائل قط.[١]

فالإمام يعتقد أنّه على الرّغم من أن الفصاحة والبلاغة تعتبر من وجوه الإعجاز، ولكنه يرى أنّ شهرة الإعجاز بهذه المسائل؛ لأنّ العرب في صدر الإسلام كانوا متخصصين في هذا الفن وكانوا يدركون هذا العلم فقط، ولكن القرآن له وجوه أخرى في الإعجاز.

وكذلك يؤكّد الإمام الخميني على جامعيّة القرآن باعتباره كتاب «معجزة» وهو الكتاب الوحيد الّذي يجمع المطالب الحياتيّة للبشر، يقول: إنّ سبب شهرة القرآن بالفصاحة، وإنّ هذا الإعجاز كان معروفاً بين النّاس دون بقية وجوه الإعجاز؛ لأنّ العرب كانوا يعرفون هذا الفن فقط، ولا يدركون إلّا هذه الجهة من الإعجاز،[٢] ثمّ أكّد الإمام على جامعيّة القرآن وأنّه كتاب معجز يجمع بين دفتيه جميع ما يحتاجه النّاس في حياتهم، فقال: كتاب يتضمن المصالح الشّخصية الاجتماعيّة، المصالح السّياسيّة وجميع الأشياء الأخرى،[٣] القرآن يشمل جميع المعارف وما يحتاجه البشر. القرآن المجيد والسّنّة تتضمن جميع الأحكام الّتي يحتاجها البشر للوصول إلى السّعادة، وهناك باب في الكافي يختص ببيان أنّ جميع حاجات النّاس في القرآن والسّنّة، وأنّه (الكتاب) «تبيان لكلّ شيء».[٤]

ومن وجوه الإعجاز عند الإمام أيضاً هو تهذيب النّفوس وبناء الإنسان، فهو يتميز عن الكتب الأخرى في هذا المجال إلى حدّ الإعجاز يقول: «ومن مقاصد القرآن المجيد وأهدافه الأخرى تهذيب النّفوس وتطهير الباطن من أرجاس الطّبيعة، وتحصيل السّعادة، وتوضيح كيفيّة السّير والسّلوك إلى الله»[٥] ويقول أيضاً: الإسلام يجمع كلّ تلك المعاني وجميع الجهات الماديّة والمعنويّة والغيبيّة والظّاهريّة؛ لأنّ الإنسان فيه جميع تلك المراتب والقرآن كتاب بناء الإنسان.[٦]

---

١. راجع: صحيفة نور، ج١٦، ص٧٨.
٢. راجع: صحيفة نور، ج١٨، ص٢٥٧.
٣. راجع: المصدر نفسه، ج ٢٠، ص٨٢
٤. راجع: ولايت فقيه، ص٢١.
٥. راجع: آداب الصلاة، ص١٨٦.
٦. راجع: صحيفة نور، ج١، ص٢٤٢.

وبعد أن سلّم الإمام بالوجوه الأخرى للإعجاز، قال إنّ أهمّ وجوه الإعجاز هو الإعجاز في «المعاني العرفانيّة السّاميّة» وبسبب المنهج العرفاني الّذي كان يتميّز به يقول في هذا الخصوص:

نزل هذا الكتاب في محيط وعصر يعتبر من أحلك الفترات ظلاماً... ويتضمن هذا الكتاب معارف وحقائق ليس لها سابقة في هذا العصر فضلاً عن عصر النزول، وأنّ أكبر معجزة له هو اشتماله على المسائل العرفانية الكبرى، الّتي لاوجود لها عند اليونان وفلاسفتهم، والتي عجز فلاسفة ذلك العصر كافلاطون وأرسطو (أكبر فلاسفة ذلك العصر) عن الوصول إليها.[1]

وكذلك يقول في قيمة اللطائف والحقائق العرفانيّة للقرآن:

القرآن الكريم جامع للطائف التّوحيد وأسراره ودقائقه إلي درجة تحار بها عقول أهل المعرفة، وفي الحقيقة فإنّ هذا هو الإنجاز الأكبر لهذه الصّحيفة السّماوية النّورانيّة.[2]

يعتقد الإمام الخمينيقدّس سرّه أنّ من قرأ القرآن بنظرة عرفانيّة يدرك إعجازه من هذه الزاوية، أمّا إذا لم يكن من أهل ذلك فلا ينظر، إلّا إلى الفصاحة اللفظية، يقول:

في عصرنا الحاضر ترى أنّ المشركين لا يفهمون من القرآن سوى التركيبات اللفظيّة والمحسنات البديعيّة والبيانيّة وأمّا العارفون بأسرار المعارف ودقائقها العالمون بلطائف التّوحيد والتّجريد، فإنّ وجهة نظرهم في هذا الكتاب الإلهي وقبلة آمالهم في هذا الوحي السّماوي، هي ذات هذه المعارف ولا يهتمون كثيراً بالجوانب الأخرى، وكلّ من ينظر في العرفان القرآني وعند عرفاء الإسلام الّذين اكتسبوا معارفهم من القرآن يدرك أنّ الأصل في المعارف الإسلاميّة والقرآنيّة.[3]

كذلك يؤكّد الإمام أنّ القرآن هو كتاب لجميع العصور وجميع مراحل الحياة، حيث يقول: إنّ الواضع والمشرّع لهذا القانون الإسلامي هو الله، الله المهيمن على جميع العصور فالقرآن هو كتابٌ لجميع العصور.[4]

وقد ذهب الإمام إلى أن جميع مطالب القرآن ذات أسرار ونكات عرفانيّة يقول:

مع أنّ القرآن معجزة مع ذلك يوجد فيه تكرار وبالطّبع هناك مسائل جديدة في كلّ آية مكرّرة، وبما أنّ القرآن جاء لبناء الإنسان وهدايته فلا يمكن أن تطرح المسائل دفعة واحدة، بل لابدّ أن تُكرّر تلك المطالب.[5]

---

١. راجع: جلوه‌هاى رحمانى، ص٢٤.
٢. راجع: آداب الصلاة، ص٢٦٣.
٣. راجع: المصدر نفسه، ص٢٦٤.
٤. راجع: صحيفة نور، ج٧، ص١٢١.
٥. راجع: المصدر نفسه، ج٩، ص١٥٣.

ولهذا السبب أي بسبب الإعجاز العرفاني للقرآن يشعر البشر بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن، وإذا ما استطاع الإنسان الإتيان بمثل القرآن فإنّ ذلك يعني أنّ المسلمين يرفعون أيديهم عن القرآن، يقول في هذا الخصوص:

> القرآن الكريم صرّح في عدّة أماكن بأنّه معجزة لجميع البشر، وفي جميع الأزمنة ذاكراً عجز البشر، بل جميع الجن والإنس عن الإتيان بمثله، وما زالت تلك المعجزة الإلهية في أيدي المسلمين فيمكنهم أن يتحدّوا بها كلّ شخص في هذا العالم، عالم العلم والمعرفة وبكلّ ثقة أمّا نحن فقد سلّمنا له، ورجعنا إلى أحكامه.[1]

١. راجع: كشف الأسرار، ص٤٧.



٤
إعجاز القرآن عند علماء السنّة

قام علماء السنّة ببحوث ودراسات كثيرة حول إعجاز القرآن ووجوهه، بل إنّ بعضهم قام بتخصيص كتب مستقلة، أو باب مستقل من كتابه بهذا الأمر. وسوف نتعرّض هنا إلى أهمّ الآراء المعروضة في هذا المجال منذ القرن الرّابع وحتّى القرن الرابع عشر.

الخطابي

وهو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، الخطابي البستي (المتوفى ٣٨٨هـ). كان من الرّواد في بيان وجوه الإعجاز، فقد كان أديباً ماهراً، كتابه تحت عنوان «بيان إعجاز القرآن» وكان يرى أنّ النّبيّ ﷺ دعا جميع العرب إلى الإتيان بمثل القرآن، فعجزوا عن ذلك مع أنّ قوم النبيّ (قريش) كانوا يمتازون بمكانة عالية من حيث الفصاحة والبلاغة في الكلام، وكان بينهم فصحاء وشعراء معروفين، فإذا كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن فإنّهم لا يتوانون في ذلك، ولم يتوسّلوا بالحرب والقتال مع النبيّ ﷺ[1] وبعد أن ذكر الخطابي الأقوال والآراء في وجوه الإعجاز اعتبر الرأي الّذي ذهب إليه غالب علماء العصر هو الأصح، وهو الرّأي الّذي يقول بـ«الإعجاز البلاغي» ثمّ قال: إنّ هناك اختلاف في وجهات النّظر في الإعجاز البلاغي،[2] وطبقاً لرأي الخطابي فإنّ عجز الإنسان عن الإتيان بمثل القرآن يكمن في محدوديّة علم البشر الّذي لا يستطيع أن يحيط بجميع اللغات، الّتي هي أدوات البناء للمعاني، أضف

---

١. ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، للرماني والخطابي والجرجاني.
٢. المصدر السّابق، ص٢٤.

إلى ذلك أنّ تراكيب النظم في الجملة وكيفيّة الانسجام والارتباط بينها ليست تحت اختيار الإنسان.[١]

يعتقد الخطابي: إنّ كلّ كلام يتضمن ثلاث أركان: «الألفاظ» و«المعاني» و«الربط» بينها وتلك الصفات الثلاثة جاءت في القرآن بمنتهى الكمال، بحيث لا يوجد كلام أفصح وأبلغ يحلّ محلها.

ولا توجد معاني أسمّى وأكثر معقولية وانسجاماً من معاني ونظم القرآن، وفي غير الكلام القرآني ربّما نجد أحد الأركان الثلاثة.[٢] يقول الخطابي: اعلم أنّ القرآن معجزة؛ لأنّه يتضمن أفصح الألفاظ في أجمل قوالب الجمل ويشتمل على أكمل وأصح المعاني[٣]. ولا شكّ أنّ كلام الخطابي في بيان إعجاز القرآن البلاغي كلام متين، وأنّ بلاغته بالنظر لشرائط عصره تدلّ على عظمة القرآن، غير أنّ الإعجاز لا يقتصر على الإعجاز البلاغي، بل هناك وجوه أخرى، ورغم أهميّة الإعجاز البلاغي، ولكنه يختص ببعض الأفراد فقط، ولذلك فإنّ تخصيص الإعجاز بالوجه البلاغي ليس بصحيح.

الرّاغب الأصفهاني رحمه الله

وهو أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفهاني (المتوفى ٤٠٢هـ) من العلماء الكبار. تعرّض في مقدّمة كتاب «جامع التّفاسير» لدراسة بعض المباني والآراء القرآنية من جملتها كيفية إعجاز القرآن. يمتاز الرّاغب بآراء خاصّة في مجال إعجاز القرآن، فقد قسم المعجزات إلى قسمين حسّيّة وعقليّة، فكان لبعض الأنبياء معجزات حسّيّة، والآخرين معجزات عقليّة[٤] معتبراً معجزة نبيّ الإسلام حسّيّة وعقليّة، صامتة وناطقة[٥] في آن واحد، ثمّ ذهب إلى أنّ الإعجاز يمكن تصوّره على وجهين، قال: إعجاز القرآن على وجهين، الوجه الأوّل يختصّ بنظم القرآن. والثّاني يتعلق بإنصراف النّاس عن الإتيان بمثله «القول بالصّرفة».[٦]

---

١. المصدر نفسه، ٢٧.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه، ٢٧.
٤. راجع: الاعلام، الراغب الأصفهاني.
٥. مقدمة جامع التفاسير، ص١٠٢.
٦. المصدر نفسه، ١٠٣.

وفي بيان الوجه الأوّل يرى أنّ النّظم المخصوص للقرآن لا يرتبط بعناصر اللفظ والمعنى، قال: «فأمّا الإعجاز المتعلق بالفصاحة فلا يتعلق بعنصره الّذي يشمل اللفظ والمعنى؛ لأنّ ألفاظه ألفاظهم.[1] وطبقاً لرأي الرّاغب فإنّ ألفاظ القرآن ليست ألفاظا جديدة، بل هي الكلمات والحروف العربيّة، وقد استدلّ على ذلك بالآية: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا...﴾[2] فهو يرى أنّ الآية الشّريفة تدلّ على أنّ لغة القرآن هي اللغة العربيّة، أي اللغة الّتي يستفيد منها العرب في محاوراتهم، فحروف وكلمات القرآن هي الحروف والكلمات المتداولة بين العرب، يقول الرّاغب في معاني القرآن:

«لا يتعلق أيضاً بمعانيه، فإنّ كثيراً منها موجود في الكتب المتقدّمة».[3]

إنّ كثيراً من معاني القرآن موجود في الكتب المتقدّمة طبقاً لرأي الرّاغب وقد استدلّ على ذلك بالآيه الشّريفة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[4] فالضمير (إنّه) يرجع إلى معاني القرآن وهو يرى أنّ إعجاز القرآن يتعلق بنظام خاصّ يختلف فيه القرآن عن الكتب الأخرى، كما أنّ الشّعر له نظام خاصّ يختلف به عن النثر، يقول: «فاذا بالنظم المخصوص صار القرآن قراناً، كما أنّه بالنظم المخصوص صار الشّعر شعراً».[5]

فالرّاغب الأصفهاني يرى أن القرآن يتشكّل من قسمين: ١. العناصر؛ ٢. الصورة.

فعناصر القرآن تتكون من اللفظ والمعنى، وصورته نظمه الخاصّ، يقول: فالنّظم صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره.[6][7]

وفي توضيح النّظم المخصوص للقرآن يقول: في تأليف الكلام هناك خمسة مراحل، هي:

١. صنع الألفاظ من خلال اتّصال الحروف.

٢. تشكيل الجمل من خلال الألفاظ.

٣. انضمام الجمل بعضها مع البعض الآخر، بحيث يكون للكلام بداية ونهاية.

---

١. المصدر نفسه، ١٠٤.

٢. الصرفة تعني: إنّ الله صرف عقول النّاس عن الاتيان بمثل القرآن. راجع: التمهيد، ج٤، ص١٣٨.

٣. مقدمة جامع التفاسير، ص١٠٥.

٤. الشعراء: الآية ١٩٦

٥. مقدمة جامع التّفاسير، ص ١٠٦

٦. المصدر السّابق.

٧. يمكن أن يكون كلام الرّاغب إشارة إلى قول الفلاسفة الّذين يقولون أنّ: شبه الشيء بصورته لا بمادته.

٤. اشتمال الكلام على القافية والسجع.
٥. اشتمال الكلام على الوزن وعندها يسمّىٰ الكلام بالشعر.[١]

فالكلام إمّا أن يكون «نثراً»، أو «نثر منظوم»، أو «نظم مع سجع»، أو «نظم موزون»،[٢] والكلام المنظوم كذلك إمّا أن يكون محاورة فتُسمّى «الخطابة»، أو مكاتبة فتسمّى «الرّسالة»، وجميع أنواع الكلام له نظم خاصّ وكلّ واحد منها يتميّز عن الآخر، ويعتقد الرّاغب الأصفهاني أنّه على الرّغم من أنّ القرآن يتضمن جميع محاسن الكلام من الخطابة، رسالة وشعر، إلّا أنّ نظم القرآن يتسامى عن باقي الكلام؛ ولذا لا يمكن أن نطلق عليه كتاب محاورة، أو رسالة أو شعر و...[٣] وقد اعتبر الرّاغب الوجه الثّاني للإعجاز هو الإعجاز المتعلق بـ«الصرفة»[٤] فهو يرى أنّ الإتيان بمثل القرآن ليس أمراً محالاً، ولكن الله منع المعارضين من ذلك يقول: لا يخفى على ذي لب أنّ صارفاً إلهياً يصرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن تكون كافة البلغاء مخيرة في الظّاهر، أن يعارضوه ومجبرة في الباطن عن ذلك.[٥] إنّ ما ذهب إليه الرّاغب من أنّ القرآن يتضمن وجهين للإعجاز وما «النّظم المخصوص» و«الصّرفة» لا يخلو من النقد وسوف نتعرض هنا لدراسة «النظم المخصوص» ثمّ نعرِّج على مسألة «القول بالصّرفة».

مناقشة ودراسة نظرية النّظم الخاص للرّاغب

يرى الرّاغب أن الإعجاز البلاغي والفصاحة يتعلق بنظم القرآن الخاصّ، وهو نظام لا مثيل له في قوالب الكلام الأخرى؛ ولذا فإنّ هذا الإعجاز لا يرجع إلى ألفاظ ومعاني القرآن:

أ ـ نظم القرآن من جملة وجوه الإعجاز، ولكن لا دليل أنَّ الإعجاز ينحصر في وجه خاصّ، كالفصاحة في الألفاظ أو النّظم أو علو المعنى و... لأنّ التّحدي هو لجميع المخاطبين أعم من الإنس والجن، وفي جميع الوجوه فالقرآن قد تحدى النّاس بالإتيان بمثله يقول

---

١. مقدمة جامع التّفاسير، ص١٠٧.
٢. جاء في قاموس اللغة معين أنّ النّثر: هو الكلام غير المنظوم الّذي لايشبه الشّعر. أمّا النّظم فهو الكلام الموزون. والسّجع هي الكلمات المتشابهة الّتي تكون في آخر الجملة والسّجع في النّثر يأخذ حكم القافية في النّظم. فرهنك معين، ج٢، ص١٨٣٩، ج٤، ص٤٦٢٤، ٥٠١٩.
٣. مقدّمة جامع التّفاسير، ص١٠٨.
٤. من كبار نظريّة الصّرفة أبو اسحاق المعتزلي (المتوفى ٢٣١هـ)، الملل والنحل، ج١، ص٥٦.
٥. مقدمة جامع التفاسير، ص١٠٩.

تعـــالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[1] فالآية المذكورة والآيات الأخرى في التّحدي[2] تدعو النّاس لأن يأتوا بمثله فلم يكن التّحدي في هذه الآيات بالفصاحة، النّظم الخاصّ، الأخبار عن الغيب و... لوحده فالتّحدي بمثل القرآن، يعني كتاب يتضمن جميع صفات القرآن من الفصاحة، النّظم، المحتوى و... جنباً إلى جنب؛ ولذا فإنّ الباحثين أرجعوا تحدي القرآن إلى جميع الوجوه.[3]

أمّا العلّامة الطّباطبائي فهو يعتقد أنّ إعجاز القرآن يرجع إلى جميع الجهات ولا ينحصر بالعرب أو وجه خاصّ منه.[4]

ب ـ الإعجاز في الفصاحة أمر بديع في حدّ ذاته وإن كانت ألفاظه تحت اختيار العرب، إلّا أنّ اختيار الألفاظ المناسبة من بين المترادفات تُظهر عظمة القرآن، وقد سلّم الباقلاني بهذه المسألة.[5]

يعتقد الخطابي أنّه لا يوجد في الكلام أفصح من ألفاظ القرآن،[6] ولذلك يعتقد جمع من العلماء أنّ إعجاز القرآن يكمن في الألفاظ، فلا يمكن أن يكون هناك أفصح من تلك الألفاظ، ولذلك فلا يمكن استبدال ألفاظ القرآن بالمترادفات، سواء كانت تلك الألفاظ مستخدمة في القرآن، أم في غيرها. ومثل هذا الأمر يؤدي إلى وهن القرآن؛ ولذلك لا يمكن أن نستبدل الآية: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[7] بـ«ذلك الكتاب لا شك فيه» وسوف نكتفي بنقل كلام بعض العلماء:

١. يقول الشّيخ الطّوسي: بعضهم ذهب إلى أنّ إعجاز القرآن يكمن في فصاحته دون الأخذ بنظر الاعتبار نظمه[8] والزركشي يقول: من جملة وجوه إعجاز القرآن هو تأليفه الخاصّ وألفاظه.[1]

---

١. الإسراء: الآية ٨٨

٢. هود: الآيتان ١٣ ـ ١٤، يونس: الآية ٣٨، البقرة: الآيتان ٢٣ ـ ٢٤؛ الطّور: الآيتان ٣٢ ـ ٣٣.

٣. البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٠٧.

٤. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٩.

٥. اعجاز القرآن، ص٥٧.

٦. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٢٠٧.

٧. البقرة: الآية ٢.

٨ التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص٥٨.

ج- إنّ انعكاس معاني القرآن في الكتب السّماوية السّابقة يشهد له القرآن؛ لأنّ الله تعالى يقول في الآيات التالية:

١. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.[٢]

والمقصود من «هذا» كما يقول بعض المفسّرين: إنّ ذلك إشارة إلى الآيات الأربعة الّتي أنزلت قبل القرآن، فقد ذكر فيها فلاح المصلي والمتزكي وإيثار الحياة الدّنيا على الآخرة؛ لأنّها من أهمّ تعاليم الأنبياء، وهناك من قال إنّ المراد من ذلك جميع محتوى السّورة، الّتي تبدأ بالتوحيد وتختم بالنّبوة والبرامج العمليّة. والمقصود من الصحف اللوح، أو الكتاب الّذي يكتب عليها المطالب.[٣]

٢. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ...﴾.[٤]

يستفاد من هذه الآية إنّ ما جاء في شرائع جميع الأنبياء موجود في شريعة النبيّ ﷺ، وأنّ ما جاء في القرآن ينسجم ولا يتعارض مع بقية الشّرائع الأخرى. وقد أشير في هذه الآية إلى خمسة من الأنبياء، وهم أنبياء أولي العزم، أصحاب الشّريعة، رغم أنّه لا يمكن إنكار وجود معاني القرآن في الكتب السّماوية السّابقة، ولا بدّ أن يكون بمستوى تلك الكتب باعتبار أصلها الواحد. ولكن لا بدّ من الإشارة إلى نقطتين:

١. إنّ معاني القرآن أكمل وأكثر سعة من بقية الكتب السّماوية الأخرى خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أميّة النّبيّ ﷺ[٥] لأنّه قد تجاوزَ زمانه في التّوحيد والنّبوّة فقام ببيان فروع كثيرة في الأخلاق، المعارف، الفقه و... تنسجم فيما بينهما. وكان في مستوى عال، بحيث أنّ بعض الباحثين عدوا سعة معاني القرآن أحد الوجوه الخاصّة للإعجاز، يقول الخطابي في هذا الشأن: القرآن من حيث المعجزة هو أفصح الألفاظ وأهمّ النّظم وأفضل المعاني.[٦] وكذلك

---

١. البرهان في علوم القرآن، ص٢، ص٩٥.
٢. الأعلى: الآيتان ١٨ ـ ١٩.
٣. مجمع البيان، ج٨ ص٧٢٢، الميزان، ج ٢٠، ص ٢٧٠.
٤. الشورى: الآية ١٣.
٥. البيان في تفسير القرآن، ص٤٥.
٦. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٢١.

يقول القرطبي: من جملة وجوه الإعجاز هي الأحكام العالية، الّتي لايمكن أن تصدر من إنسان عادي؛ لكثرتها ومحتواها.[١]

يقول الزّركشي: إنّ تحدي القرآن هو في نظمه وصحة معانيّه،[٢] وكذلك يقول البلاغي:

خاض القرآن الكريم في فنون المعارف والإصلاح ممّا يتخصّص فيه الممتازون بالرقي في أبواب الفلسفة والسياسة والخطابة والإصلاح من علم اللاهوت أو الأخلاق أو التّشريع المدني و... بأحسن أسلوب وأقوم منهج.[٣]

٢. الظاهر إنّ استدلال الرّاغب بالآية الشّريفة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٤] على أنّ معاني القرآن كانت في الكتب السّابقة غير صحيح؛ لأنّ ضمير «إنّه» لا يرجع إلى معاني القرآن طبقاً لقول المفسّرين،[٥] غير أنّ تناسب الموضوع مع الآيات السّابقة في سبب نزول القرآن يدلّ على أنّه إشارة إلى نزول القرآن كما ذكر بعض المفسّرين، يقول الزّمخشري: «وإنّه لفي زبر الأولين لكون معانيه فيها».[٦]

ويقول الطّبرسي: إنّ ذكر القرآن وخبره في كتب الأوّلين على وجه البشارة.[٧]

وكذلك يقول العلّامة الطّباطبائي: «الضمير للقرآن أو نزوله على النبيّ ﷺ والمعنى أنّ خبر القرآن، أو خبر نزوله عليك في كتب الماضين من الأنبياء»[٨] فإذا قيل أنّ الضمير «إنّه» يرجع إلى المعارف القرآنيّة، فالجواب إنّ المشركين ما كانوا يؤمنون بالأنبياء وكتبهم، حتّى يحتج عليهم بما فيها من التّوحيد،[٩] والمعاد، وغيرهما، وهذا بخلاف ذكر خبر القرآن ونزوله على النّبيّ ﷺ في كتب الأوّلين، فإنّه حينئذ يكون ملحمة تضطر النفوس إلى قبولها.

وثانياً: أنّه لا يلائم الآية التّالية: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[١٠]

---

١. الجامع لأحكام القرآن، ج٢١، ص٥٢.
٢. البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٩٧.
٣. آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص١٢.
٤. الشعراء: الآية ١٩٦.
٥. جاز في تفسير شبر: إنّه: أي ذكر القرآن. تفسير شبر، ص٥٦٨.
٦. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣، ص٣٣٥.
٧. مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٠.
٨. الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص٣٢٠.
٩. المصدر السّابق.
١٠. الشعراء: الآية ١٩٧.

فالضمير في كلمة «يعلّمه» هو خبر عن القرآن ونزوله على النبيّ ﷺ فإذا كان الضمير في الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يرجع إلى المضمون والمحتوى، فإنّ ذلك لا يتلاءم مع الضمير في كلمة «يعلّمه» في الآية التالية مع أنّ الآيتين متابعتان، وتتحدثان عن موضوع واحد، والضمير فيهما يرجع إلى شيء واحد؛ ولذا قال المرحوم الطّبرسي إنّ ضمير «يعلّمه» يتعلق بمجيء النّبيّ ﷺ، يقول: «أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل بمجيئه على ما تقدّمت البشارة دلالة على صحة نبوّته».[1]

مناقشة نظريّة الصّرفة

ذهب الرّاغب الأصفهاني في أحد آرائه إلى القول بالصّرفة، وهو القول الّذي قال به النّظام (المتوفّى ٢٣١) أوّل مرّة، وبالرّغم من شيوع هذه النّظريّة في القرن الرّابع بين علماء المسلمين، إلّا أنّه لم يذهب إلى هذه النظريّة أحد منذ ذلك التأريخ، وحتّى الوقت الحاضر.

ولم يذهب المشهور إلى ذلك[2] أيضاً يقول الشّيخ الطّوسي (المتوفى ٤٦٠هـ)، من علماء القرن الخامس:

> إنّ أكمل وأتمّ الأقوال عندي هو القول أنّ إعجاز القرآن يتعلق بفصاحته... لا القول بالصّرفة... فإذا كان وجه الإعجاز يتعلق بسلب العلوم (القول بالصّرفة) فإنّ لازم[3] ذلك نفي كمال العقل.[4]

يرى الشّيخ الطّوسي أنّ القول بالصّرفة يعني إنّ الله سبحانه قد سلب العلوم والمعارف الخاصّة عن المخاطبين حتّى لا يتحدّوا القرآن، ومن ذلك الألفاظ والمعاني و.. وأنّ نفي تلك العلوم البشريّة يعني نفي كمال العقل، فإذا سلب الله العلوم والوسائل اللازمة للرشد العقلي، فلا بدّ من تسجيله في التأريخ، وبما أنّ ذلك لم يثبت وأنّ العلم عند العرب لم يتغير قبل الصّرفة وبعدها، فعندها يمكن القول أنّ الله سبحانه لم يسلب العلوم البشريّة، وأن مسألة الصّرفة ليست مسألة صحيحة.[5]

---

١. مجمع البيان، ج٤، ص٣٢٠.
٢. التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص١٣٦.
٣. التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٣٨.
٤. المصدر نفسه، ص٥٨ نقلاً عن كتاب الإقتصاد في اصول «الإعتقاد»، ص١٦٦ ـ ١٧٤.
٥. يمكن القول أن القول بالصرفة لا يستلزم سلب العلوم، بل أن الله سبحانه يمنع الاستفادة منها لكي لا يستطيع الإنسان تحدي القرآن كما هو الحال عندما يمنع الله سبحانه شخصاً من تذكر شيئاً ما دون أن يسلب قوة الحافظة.

إنّ المقصود من القول بالصّرفة، هو إمّا زوال قدرة الإنسان، أو سلب البواعث أو سلب العلوم الّتي بواسطتها يستطيع البشر تحدي القرآن[1] وهذه النظريّة تواجه عدّة إشكالات[2] من أهمّها:

أ ـ في حالة القبول «بالصّرفة» فإنّ ذلك يعني تجريد القرآن من صفة الإعجاز؛ لأنّ ذلك يعني أنّ الإنسان لا يعجز عن الإتيان بمثل القرآن، بل لديه القدرة على تحديه غير أنّ الله سبحانه سلبه هذه القدرة، فحيث أننا نعتقد بالصّرفة، فهذا يعني أنّ الإتيان بمثل القرآن شيء مستحيل، وفي غير تلك الحالة فإنّ البشر يتمكن من الإتيان بمثل القرآن، ومن هنا فإنّ القول بالصّرفة يعني أنّ القرآن لا يتمتع بصفة الإعجاز، وأن ألفاظه ومعانيه لا تختلف عن بقية الكتب الأخرى، بل أقصى ما نقول فيه أنّه من أفضل الكتب والآثار الإنسانيّة لا الإلهية.

ب ـ إنّ القول بالصّرفة لا ينسجم مع التّحدي؛ لأنّ التّحدي إنّما يقوم على أساس اختيار الإنسان.

ج ـ يرى الراغب أنّ الإعجاز القرآني يتمثل في الإعجاز بالفصاحة، ومن جهة أخرى دافع عن القول بالصّرفة، مع أنّ الاثنين لا يمكن الجمع بينهما، بل إنّ الاعتقاد بأحدهما يعني طرد الآخر، فإذا ما قبلنا القول بالصّرفة فإنّ ذلك يعني أنّ القرآن لوحده لا يكون خارقاً للعادة في الفصاحة، النظم و... وأنّ التّحدي بالفصاحة أمر نادر.[3] وسوف يكون حاله حال بقية الكتب الأخرى، إلّا إذا قلنا أنّ الراغب يعتقد أنّ الإعجاز يكمن في فصاحته، وأنّ الله قد صرف عقول النّاس عن الإتيان بمثله، وأنّ الإنسان لا يمكن أن يأتي بما يشبه القرآن في فصاحته، وأنّ «الصّرفة» هي علّة الإعجاز.

الباقلاني

وهو أبوبكر محمّد بن الطيب الباقلاني (المتوفى ٤٠٣هـ) من كبار المتكلمين الأشاعرة في زمانه. كتب «إعجاز القرآن» في وجوه إعجاز القرآن، وقد خصّص فصلاً من كتابه بأصل الإعجاز بواسطة النبيّ ﷺ، ثمّ تعرّض إلى وجوه إعجاز القرآن معتبراً أنّ وجوه الإعجاز تتمثل في ثلاثة مجالات: الأخبار عن الغيب، المطالب العلميّة من نبيّ أمي، إضافة إلى البلاغة والفصاحة.

---

١. التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٣٨.
٢. سوف يأتي مناقشة القول بالصّرفة ونقدها تفصيلاً في باب مناقشة وجوه إعجاز القرآن.
٣. التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٣٨.

ثُمّ نسب الباقلاني فكرته إلى الأصحاب وعلماء عصره،[1] وبيّن الوجوه الثلاثة معتقداً أنّ الوجه الأوّل من وجوه إعجاز القرآن هو أخباره عن الغيب. وهو ما ليس في قدرة البشر، ثمّ ذكر بعض الآيات في بيان الأخبار عن الغيب مشيراً إلى أنّ هناك نماذجاً كثيرة في القرآن من ذلك.[2]

وفي الوجه الثّاني من الإعجاز ذهب الباقلاني إلى أنّ القرآن صدر من شخص أمي لم يدرس عند أحد، وليس لديه خبر عن الماضين، مع أنّه بين أهمّ المطالب من خلال قصص الأنبياء، والمسائل العلميّة والمعرفيّة، ومن المعلوم أنّ مثل هذه المعلومات لا تقبل من هذا الشخص إلّا إذا كانت معجزة إلهية، ولهذا ورد في القرآن:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.[3][4]

الوجه الثّالث للإعجاز في نظر الباقلاني، فهو النظم البديع والتأليف السّاحر، الّذي جعل القرآن في أوج البلاغة ما جعل الإنسان يعجز عن تحدي القرآن، ثمّ تعرّض إلى نظم القرآن معتبراً أنّ قسماً منه متعلقاً بالنّظم الّذي لا يوجد له مثيل في النّصوص السّابقة.[5] يعتقد «الباقلاني» في الفصل الأخير بأنّ أقل مقدار معجز من القرآن هي سورة واحدة، لأنّ التّحدي لم يتعلق بأقل من سورة.[6] وفي تشخيص بلاغة القرآن يعتقد أنّ البلاغة لها عشرة أنواع جميعها موجودة في القرآن، وهي: الإيجاز، التّشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التّصريف، التّضمين، المبالغة وحسن البيان[7] ثمّ تعرّض لكلّ من هذه الأمور ذاكراً أمثلة عديدة لكلّ منها:

١. الايجاز، والمقبول منه هو ألا يكون هناك إخلال في المعنى، والإيجاز يعني ألفاظ قصيرة تحمل معاني كثيرة كالآية: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ...﴾.[8]

٢. التشبيه، وهو تشبيه شيء بشيء آخر، كما في الآية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ

---

١. إعجاز القرآن، ص٥٧.
٢. المصدر نفسه، ص٥٨.
٣. العنكبوت: الآية ٤٨.
٤. اعجاز القرآن، ص٥٨.
٥. المصدر السّابق، ص٥٩.
٦. المصدر نفسه، ص٢٦١.
٧. المصدر نفسه، ٢٦٨، فصل في وصف وجوه عن البلاغة.
٨. يوسف: الآية ٨٢

أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ...﴾.[1]

٣. الاستعارة: كالآية: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.[2]

٤. التلاؤم، أي الإنسجام، وتعديل الحروف في الجمل بحيث لا يكون هناك تنافر في حروفها، وتحدث إنساً ولذة عند الاستماع إليها، مثل كلّ آيات القرآن.

٥. الفواصل، والمقصود بها الحروف الموزونة، الّتي تتشابه فيما بينها في مقاطع الآيات.

٦. التّجانس، وهو بيان أنواع الكلام الّذي يجمعه أصل واحد.

٧. التّصريف، أي تصريف الكلام في المعاني، وعرض معاني كثيرة في قضية واحدة.

٨ التّضمين: وهو حصول معنى من غير ذكره له باسم في قضية معينة، كالتّضمين في الآية: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأنّه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور بأسمه.

٩. المبالغة، وهي الدّلالة على كثرة المعنى.

١٠. حسن البيان، وهو على أربعة أقسام: الكلام، الحال، الإشارة والعلامة، وكل منهما له دور مؤثر في مجال العبارة،[3] يقول الباقلاني في خاتمة كتابه:

> فالقرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه، من تعديل النّظم، وسلامته، وحسنه، وبهجته، وحسن موقعه في السّمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوّره تصوّر المشاهد.[4]

الجرجاني

وهو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفّى ٤٧١هـ) مؤسس علم المعاني والبيان، اعتبر البلاغة ونظم القرآن من أهمّ وجوه الإعجاز، ثمّ تعرّض لبيان إعجاز القرآن في كتابين من كتبه، وهما: دلائل الإعجاز في علم المعاني وأسرار البلاغة، ثمّ تعرّض إلى إعجاز القرآن معتقداً أنّ نظم الكلام وتأليفه له مراتب وطبقات، ثمّ بيّن (الجرجاني) أنّ القرآن عندما دعا معارضيه العرب إلى التّحدي تبيّن للعرب من خلال استماع آياته أنّ القرآن ليس كلاماً

---

١. ابراهيم: الآية ١٨.
٢. الفرقان: الآية ٢٣.
٣. إعجاز القرآن، ص٢٦٨ ـ ٢٧٥.
٤. المصدر نفسه، ص٢٧٧.

عادياً، وعندما أبدوا معارضتهم له أدركوا قلّة بضاعتهم، وأنّهم لا يستطيعوا تحديه، أو حتّى الإقتراب من ذلك.

ثم إنّ أهمّ وجوه الإعجاز هو الإعجاز في النظم والتّأليف لا بالمعاني يقول:

إنّ تحدي القرآن يكمن في أن يأتي المخالفون بألفاظ مثل ألفاظ القرآن في نظم وإن اختلفت مع القرآن في المعنى؛ لأنّ القرآن يقول: ﴿...فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ...﴾ وأنّ شرف القرآن يكمن في نظمه وبلاغته (وإن كان معناه موضوع)[1] لأنّه لم يدعو إلى التّحدي في المعنى.[2]

وهذا الكلام غير مقبول بالنسبة للآخرين؛ لأنّ معاني القرآن معجزة أيضاً، وعبارة «مثله» عامّة شاملة لمثل القرآن في ألفاظه ومعانيه وخصائصه الأخرى.

يعتقد الجرجاني أنّ النظم في الكلام له مراتب ودرجات ربّما نجد نظماً أفضل وأكمل في كلّ مرتبة، وأنّ تأليف وتراكيب الكلام له مراتب من الشدّة والضعف، وهناك أجل وأفضل من هذا التّأليف والتّركيب، وأنّ معرفة غاية ذلك ونهايته في غاية الصعوبة، لأنّ جميع خيوط ذلك ليست بيد الإنسان، أمّا بالنسبة إلى القرآن فإنّ كلّ متمعن في تأليف ونظم القرآن وعارفاً به يدرك أن القرآن يتميّز بأرقى نظم، وأن الإنسان يعجز عن الإتيان بما يناظره.[3]

الفخر الرّازي

وهو أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (المتوفّى ٦٠٦هـ) صاحب التفسير الكبير، المتكلم والمفسّر، كان يعتقد في مسألة الإعجاز أنّ القرآن في غاية الفصاحة والبلاغة، ويشمل جميع الفنون وأنّ إثبات إعجاز القرآن في رأيه يثبت من خلال طريقين لا غير:

١. مقارنة القرآن مع بقية الكتب الأخرى والخطب، في تلك الصورة فإنّ القرآن إمّا أن يكون مساوياً لكلام فصحاء العرب، أو زائداً عليها، وله خصوصية، وفي حال كونه أفضل، فإنّ هذه ألافضلية إمّا أن تكون بدرجة لا يكون فيه القرآن معجزاً وخارقاً للعادة، أو يصل إلى مرتبة كونه خارق للعادة، وفي الحالة الأولى، يتساوى القرآن مع باقي الكلام الفصيح،

---

١. ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات...﴾ هود: الآية ١٣.

٢. ثلاث وسائل في إعجاز القرآن، ص١٢٩.

٣. دلائل الاعجاز، ص٢٧.

والقول الثّاني، أي كونه أفضل من بقيّة الكلام إلّا أنّه لا يصل إلى كونه خارقاً للعادة، وكلا الأمرين غير صحيح عند مقارنة القرآن مع بقية الكلام، ولذا لا بدّ أن يكون القول الثّالث صحيحاً، لأنّه لا يمكن أن يتصوّر كلاماً آخر.[١]

ثمّ ذهب إلى بطلان القول الأوّل والثّاني من حيث أنّه إذا كان القرآن مساوياً للكلام الفصيح، أو أقل من ذلك بقليل ولم يكن خارقاً للعادة، فلا بدّ أن يتمكن العرب من الإتيان بما يشبه القرآن، سواء كان ذلك بصورة فردية أو جماعيّة، وسواء تمكنوا من الإتيان بسورة واحدة أم أكثر، مع أنّ ذلك لم يحصل في التّأريخ البشري أضف إلى ذلك أنّ العرب كانوا سادة القوم في البلاغة والفصاحة وكانت لديهم الأسباب والدوافع الّتي تحفزهم على القيام بذلك العمل. فعندما يعجزوا عن تحدي القرآن مع توفر الدّواعي يثبت أنّ القرآن لا يشبه بقيّة الكلام، وأنّ هناك تفاوتاً كبيراً بينه وبين بقية الكلام، بحيث لا يمكن مقارنته مع بقية الكلام.

٢. ثمّ تعرَّض إلى إثبات إعجاز القرآن في مجال الفصاحة والبلاغة عن طريق الحصر، فقال: إنّ شأن القرآن لا يخرج عن حالتين، فهو إمّا أن يكون في أوج الفصاحة، وفي حدّ المعجزة، أو لا يكون كذلك، فإذا ذهبنا إلى الوجه الأوّل ثبت إعجاز القرآن، أمّا إذا ذهبنا إلى الثّاني فهذا يعني إمكانية معارضته وتحديه، فإذا انتفى ذلك مع افتراض كون ذلك ممكناً وتوفر الدّواعي، فيثبت كونه معجزة وأمراً خارقاً للعادة.[٢]

وقد اختار الفخر الرّازي الطريق الثاني أي كونه في أوج الفصاحة، وهو أنسب الوجوه؛[٣] إذ يعتقد أنّ الأفضلية في الفصاحة وبلاغة القرآن هي مورد قبول عند مقارنته مع الكتب الأخرى والخطب، وأنّ فصاحة الكلام والخطب تكمن في الأمور العاديّة، أمّا فصاحة القرآن، فهي في أعلى مرتبة، ثمّ بيّن قمة الإعجاز في الفصاحة، بأنّه يوجد في القرآن خصائص تقتضي عند النّظرة السّطحية النّقص في مرتبة الإعجاز في الفصاحة، مع أنّ تلك الخصائص ترتقي بالقرآن إلى أوج الفصاحة والبلاغة. والخصائص المذكورة، هي[٤]:

---

١. التفسير الكبير، ج٢، ص١١٥.
٢. المصدر السّابق.
٣. الجدير بالذكر أنّ الطريق الثّاني الّذي يذهب إلى أنّ القرآن إما أن يكون في قمة الفصاحة أو لا، وإذا كان الثّاني فإنّ عدم الإتيان في حدّ ذاته يعتبر أمراً خارقاً للعادة، هذا الشّكل ينسجم مع القول بالصّرفة الّذي لا يحظى اليوم بالقبول عند العلماء وربّما يكون الطريق الأوّل أكثر انسجاماً.
٤. التّفسير الكبير، ج٢، ص١١٥.

١. عدم وصف المشاهدات

غالباً ما يكون موضوع بلغاء العرب هو وصف مشاهداتهم لبعض الأمور كالجمل، الجارية، الحسان، الملوك، الحروب، ويعتبرون ذلك نوعاً من الفصاحة والبلاغة، مع أنّ القرآن قد ابتعد عن مثل ذلك وفي الوقت نفسه يعتبر في قمة الفصاحة والبلاغة.

٢. مراعاة الصّدق

اختار القرآن طريق الصّدق مبتعداً عن الكذب والخديعة، أمّا شعراء العرب فإذا أرادوا أن يبتعدوا عن الكذب والمبالغة، فهذا يعني في نظرهم فقدان شعرهم وكلامهم للفصاحة، ولذلك نرى أنّ قصائد «لبيد» و«حسان بن ثابت» قبل الإسلام مختلفة عن قصائدهم بعد الإسلام، ولذا قيل في الشعر إنّ: «أحسنها أكذبها».

٣. عموميّة الفصاحة

غالباً ما يتحقق الكلام الفصيح في عبارة أو عدّة أبيات ولا تتوفر هذه الفصاحة في جميع أبيات القصيدة، أمّا القرآن فإنّ صفة الفصاحة والبلاغة تتوفر في الجميع، بحيث أنّ الإنسان لا يستطيع أن يأت بما يشابهه في أي سورة.

٤. تكرار عبارات القرآن

مع أنّ بعض عبارات القرآن متكرّرة نجد أنّ كلّ منها تعتبر في قمة الفصاحة والبلاغة، مع أنّ الشاعر إذا أنشد قصيدة فصيحة وكرّر الموضوع في قصيدة أخرى، فإنّ القصيدة الأخرى تفقد بلاغتها، فالتّكرار يؤدي إلى الملل.

٥. اهتمام القرآن في بيان الواجبات و...

أكّد القرآن على بيان الواجبات، المحرمات، التأكيد على الأخلاق، الابتعاد عن الدّنيا الزّهد فيها، وذكر العالم الآخر. إنّ التعرّض لهذه المسألة يؤدي إلى الإخلال في مسألة الفصاحة، مع أنّ ذلك لم يحدث في القرآن، فإذا ما توفرت هذه الصفات في كلام العرب وقصائدهم، وتضمنت أمور من قبيل الأمر والنهي و... فإنّها تفقد عنصر الفصاحة.

٦. شمولية القرآن

الشّاعر الفصيح والخطيب النحرير تراه يُبدع في مجال خاصّ، فيسمو ويحلّق في عباراته

وكلامه، بحيث لا يستطيع التكلّم في غير ذلك المجال، فكلّ مُبدعٍ تراه فصيحاً وبليغاً في مجال تخصّصه.

فمثلاً قيل: إنّ (امريء القيس) له القدح المعلّى في شعره، عندما وصف الطرب والنّساء والجيش، و(النّابغة) في بيانه للخوفَ والرعب، و(الأعشى) في وصف الحاجة الخمر، وكذلك شعر (زهير) في وصف الرّغبة والأمل و...

وعلى هذا النّحو فإنّ كلّ شاعر له شهرة في جنبةٍ خاصّة من شعره الفصيح، ولا يُستساغ شعره في الموارد أخرى.

أمّا القرآن فبالرّغم من المجالات الواسعة والكثيرة الّتي خاضها، لكنّك تلاحظ إنّ الفصاحة والبلاغة مهيمنة على جميع موضوعاته .

٧. مصدريّة العلوم

القرآن أصل ومنشأ الكثير من العلوم، لأنّ العلوم أمثال علم الكلام والفقه، أصول الفقه، النّحو، اللغة، الأخلاق و... كلّها تستقي معارفها من القرآن، والكتاب العلمي لا يمكنه أن يحتفظ بحالة الفصاحة والبلاغة، لأنّه مضطرّ لبيان بعض القوانين والقواعد، الّتي لا تتناغم مع الفصاحة والبلاغة عند بيانها.

ورغم أنَّ القرآن مرجع لكثير من العلوم والمفاهيم، مع ذلك تراه في قمة الفصاحة والبلاغة.[1]

أمّا الموارد الّتي بيّنها الفخر الرّازي فيمكن التأمّل فيها، لأنّ كلّ واحد منها يمكن أن يكون موضّحاً لجانب من جوانب الإعجاز البلاغي للقرآن، رغم أنّ بعض الموارد يمكنَ إدغام بعضها مع البعض الآخر.

على كلّ حال، فإنّ اهتمام (الفخر الرّازي) بأمر الإعجاز البلاغي للقرآن أمر مقبول وجدير بالاهتمام، ولكن يجب أن يُعرف بأنّ تخصيص إعجاز القرآن بالجانب البلاغي غير صحيح، ويجب أن نبحث عن الجوانب الإعجازيّة الأخرى.

بالطّبع اهتمام (الفخر الرّازي) بالجانب البلاغي بالنّسبة لإعجاز القرآن، وإشتهار القرآن بذلك المورد، كان معروفاً في القرنين السّادس والسّابع.

---

١. المصدر نفسه، ص١١٦.

الزملكاني

كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (المتوفّى ٦٥١هـ) صاحب كتاب البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تناول فيه إعجاز القرآن، ثمّ أشار إلى كلمات وأقوال الماضين حول إعجاز القرآن، وقام بنقد آرائهم مبيّناً أنّ إعجاز القرآن إمّا أن يكون مرتبطاً بالكلمات، أو بعوارض الكلمات، كالحركات، أو بمدلولها الّذي يرجع إليها، أو بالتّأليف، أو بأمر خارج عن القرآن.

أمّا إعجاز الكلمات وعوارضها، فإنّه أمر غير مقبول، لإنّ الكلمات والحركات تحت تصرّف جميع البشر، وأمّا مدلول القرآن فإنّه ليس من صنع البشر، ولا يستطيع الإنسان أن يأتي بمفاهيم لا دخل لها في حياته. أمّا أن يكون أمراً خارجاً عن القرآن فباطل أيضاً؛ لأنّه يرجع إلى أمر (الصّرفة)؛ لذا فإنّ إعجاز القرآن مرتبط بالتأليف الخاصّ: تأليف فيه كلمات معتدلة من حيث التركيب والوزن، كذلك الألفاظ الّتي يتألف منها القرآن تعتبر في مراتب عالية.[1]

لهذا فإنّه يؤكّد على أنّ مهمّة (علم البيان) هي البحث عن توافق الكلمات فيما بينها، ثمّ قال: لماذا يرجع الإعجاز إلى النظم وليس للأخبار عن الأمور الغيبيّة، رغم إنّها ليست في متناول الإنسان أيضاً؟

في الإجابة على هذا السؤال يمكن القول: رغم أنّ بعض العظماء قالوا بأنّ إعجاز القرآن يكمن في المغيبات، غير أنّ الإعجاز غير منحصر فيه، بل إنّ نظم القرآن الخاصّ هو إعجاز يشمل كلّ سور القرآن الكريم.

والقرآن أيضاً قال بالتّحدي من خلال الإتيان بسورة من مثله تحكي التّنظيم الخاصّ في السّور، مع أنّ الغيب لا يشمل جميع سوره، حتّى يكون التّحدي بسور القرآن صحيحاً.

ثمّ استشهد على كلامه بالآية الشّريفة: ﴿...فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ...﴾ مجيباً على قول القائل: إنّ المقصود من كلمة (مثله) في الآية ربّما يكون هو الله سبحانه، يعني آتوا بسورة تشبه السّور الإلهيّة، وفي هذه الحالة تكون العبارة عامّة وغير مختصّة بنظم السّور، فأجابهم بالقول: إنّ كلمة (مثله) يعود معناها للسّورة بقرينة الآية الشّريفة ﴿...فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾،[2] الّتي يعود معناها للسّور، حيث إنّ كلتيهما تستفيدان من سياق واحد.[3]

---

١. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ص٥٤.

٢. هود: الآية ١٣.

٣. البرهان الكاشف عن الإعجاز، ص٥٦.

وأجاب أيضاً على الإشكال الّذي يقول أنّه: ربّما يأتي أحد الأفراد بقصيدة أو خطبة يعجز غيره عن الإتيان بمثلها، كخطب الإمام عليعليه السلام وكلام قيس و...)، قال: «التفاوت كبير، ولا يمكن لأي خطبة أو كتاب مهما بلغ من قوة وشأن في زمانه أن نقيسه مع القرآن».[1]

القرطبي

محمّد القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ) صاحب التفسير المسمّى «الجامع لأحكام القرآن» يعتقد بالوجوه العشرة[2] لإعجاز القرآن، وأهمّ تلك الوجوه حسب رأيه أوّلها، القائل أنّ النّظم البديع المخالف لكلّ نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأنّ نظمه لايشبه نظم الشّعر، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ...﴾.[3]

وفي صحيح مسلم إنّ (أنيساً) أخا أبي ذر قال لأبي ذر: «لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أنّ الله أرسله، قلت: فما يقول النّاس؟ قال يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشّعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنّه شعر، والله إنّه لصادق وإنّهم لكاذبون».[4]

٢. والوجه الثّاني من وجوه إعجاز القرآن عند القرطبي (أسلوب الكلام)؛ لأنّ كلّ كلام إنّما يُصَب في قوالب وأساليب خاصّة كأسلوب الإيجاز، الإطناب، المساواة، الإبهام، الاستخدام، الإطراد، الإنسجام، وإنّ القرآن يختلف تمام الاختلاف عن هذه الأساليب.

٣. والخصوصيّة المرموقة الأخرى للقرآن، (الجزالة)، الفخامة، الصّلابة والثّبات القرآني، في طرح المطالب الّتي لا يمكن أن تصدر من مخلوق، كما جاء في الآية:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾،[5] فمثل هذه الجزالة لا تصحّ من أعظم ملوك الدّنيا، فكيف يمكن للآخرين ذلك، كذلك الآية الشريفة الأخرى: ﴿... لمن

---

١. نفس المصدر السّابق.
٢. الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص٥٢ ـ ٥٤.
٣. يس: الآية ٦٩.
٤. الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص٥٢.
٥. ق: الآيتان ٦، ٧.

الملك اليوم لله الواحد القهار﴾،[١] قال القرطبي نقلاً عن ابن الحصار: وهذه الثلاثة من: النّظم، والأسلوب، والجزالة، ملازمة لكلّ سورة، بل لكلّ آية، وبمجموع هذه الثلاثة تتميّز كلّ آية، وكلّ سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التّحدي والتعجيز.

٤. ومن وجوه الإعجاز الأخرى، التصرّف في لسان العرب على وجه لايستقلّ به عربي، فمع مجيء القرآن تحولّت وتغيّرت كثير من الكلمات والألفاظ العربية، وصار لها اعتبار خاصّ، فالقرآن هو الّذي جعل اللغة العربيّة تفتخر، ويعلو شأنها، وترتفع هامتها.

٥. الإخبار عن الأمم السّابقة، منذ القدم وحتّى وقت نزوله، من أمي ماكان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطّه بيمينه، فأخبر عن قصص الأنبياء، والقرون الخالية فكيف يمكن لشخص (أمي) كمحمدﷺ أن ينقل أخبار صادقة عن الأمم السّابقة، الحقيقة أنّهُ لا تفسير لهذا إلّا أن يكون هذا الأمر من المعاجز، وأنّه مرتبط مع السّماء ووحيها.

ومن جانب آخر فإنّ النبيّﷺ كانت له سابقة مشرقة قبل البعثة ـ فقد كانوا يسمّونه الصادق الأمين ـ فلم يتهموه بالكذب بما جاء من أخبار عن الأمم السّابقة، وما ذلك إلّا أمر خارق للعادة.

٦. الإخبار عن المغيبات في المستقبل، والتي لا يطلّع عليها أحد إلّا بالوحي، فمن ذلك ما وعد الله نبيهﷺ أنّه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ...﴾.[٢]

٧. الوفاء بالوعد، وهي من المعجزات الأخرى للقرآن الكريم، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى وفّى بما وعد به رسوله الكريمﷺ في صدر الإسلام، كالوعد بالنصر والغلبة في الغزوات، وإخراج الّذين أخرجوه من وطنه، وهي من الوعود العامّة الّتي مصداقها الآية الشّريفة ﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ...﴾[٣] والآية الكريمة الأخرى ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.[٤]

---

١. غافر: الآية ١٦.
٢. الفتح: الآية ٢٨.
٣. الطلاق: الآية ٣.
٤. الطلاق: الآية ٢.

٨. محتوى الآيات، تعتبر من علوم القرآن؛ لأنّ الآيات مبّينة للأحكام الحقوقيّة، الإجتماعيّة، السّياسيّة، وغيرها، والمعتمدة على المسائل العلميّة.

٩. الحكم البالغة، الّتي تعتبر أحد أبعاد المعجزة القرآنيّة الشّاملة للمواعظ والإرشادات الدّقيقة والواسعة، والّتي لا يمكن أن تصدر من بشر، فمن الطّبيعي أن تكون صادرة من الله سبحانه.

١٠. والوجه الأخير للإعجاز القرآني، عند (القرطبي)، التناسب في جميع ما تضمنه القرآن ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

فربّما تكون آية واحدة هي خبر وإنشاء، أمر ونهي، مع ذلك يكون كلّ واحد من هذه الأمور في محلّه من دون أن يتضاد مع الآخر.[١]

إنّ رأي القرطبي الّذي هو أحد أعلام القرن السّابع، يمتاز بشمولية واسعة بالنسبة لإعجاز القرآن قياساً لمن سبقه من العلماء. ومع مرور الزّمان ربّما استجدّت وجوه جديدة للإعجاز عند العلماء، ولا يقتصر الأمر على الإعجاز البلاغي. وكما فعل القرطبي حينما نقل القول عن (ابن حصار) قائلاً: الخصوصيّات الثّلاث الأولى، يعني: النّظم، الأسلوب، الجزالة، لها أهميّة أكبر من غيرها في وجوه الإعجاز.

الزّركشي

بدرالدين محمد بن عبد الله الزّركشي (المتوفى ٧٩٤هـ) من علماء أهل السّنة في العلوم القرآنيّة، دوّن كتاباً مبسوطاً اسماه (البرهان في علوم القرآن).

كتب في إعجاز القرآن تحت عنوان (النّوع الثّامن والثّلاثون) في كتابه، ذاكراً أحد عشر قولاً من أقوال أصحاب التّحقيق في هذا المجال، مع تأييد أقوالهم[٢] ثمّ أبدى رأيه قائلاً:

١. قول (النّظام): إنّ الله صرف العرب عن معارضته وسَلَبَ عقولهم، وكان مقدوراً لهم، وأضاف الزركشي، إنّ هذا: قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ

---

١. الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص ٥٤.

٢. بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز، وقد اختلف فيه على أقوال، أرجع للبرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٩٣ ـ ١٠٦.

ظَهِيرًا﴾[١] فهذه الآية لا تتناسب مع هذا الرّأي.[٢]

٢. إنّ وجه الإعجاز يرجع إلى التأليف الخاصّ بالقرآن، لا مطلق التأليف، تأليف يحكي الاعتدال والإنسجام الخاصّ بين حروفه وكلماته.

٣. الإخبار بالغيب، أي الإخبار عن الغيوب المستقبلية، فلم يكن من شأن الأشخاص العاديين أن يذكروا هكذا إخبار عن الغيب، كآية الرّوم ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ الّتي تحققت فعلاً فيما بعد.

غير أنّ (الزّركشي) لا يعدها كافية في إعجاز القرآن؛ لأنّ هكذا إعجاز لا عمومية له، بل له ارتباط بآيات خاصّة فقط.[٣]

٤. الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدّمين، وكأنّه شاهدها، وهذا الوجه مثل سابقه، لا عمومية فيه.

٥. الإخبار عن الضمائر وما يكنّه الأفراد في نفوسهم، كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا...﴾[٤] المرتبطة بغزوة أحد وفشل مجموعة من الأوس والخزرج.

٦. كلام (ابن عطية) حيث قال: إنّ التّحدي القرآني إنّما وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه... ولم يتكفّله إنسان.

٧. كلام (الفخر الرازي) الحاكي: إنّ وجه الإعجاز، الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسّلامة من جميع العيوب، وغير ذلك مقترناً بالتّحدّي.

٨ كلام القاضي أبو بكر الّذي حاصله: إنّ الإعجاز يكمن في نظم وتأليف وتركيب العبارات القرآنيّة، الخارجة عن جميع وجوه النّظم المعتاد في كلام العرب.

٩. كلام السكّاكي القائل: إنّ إعجاز القرآن أمر ذوقي قابل للإدراك، ولكن لا يمكن وصفه من جميع زواياه، كالملاحة والصّوت الجميل للقرآن، يمكن إدراكهما ولكن لا يمكن توصيفهما وبيانهما من خلال اللغة.

---

١. الإسراء: الآية ٨٨

٢. البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٩٣.

٣. نفس المصدر، ص٩٦.

٤. آل عمران: الآية ١٢٢.

١٠. قول (حازم) حيث قال: إنّ إعجاز القرآن يكمن في استمرارية فصاحته وبلاغته، في كلّ زمان، أمّا كلام العرب فإنّه كان فصيحاً في برهة زمنية، لكنه لم يستمر حتّى النهاية، بل تغيرّت الأهواء والأذواق فتدهورت معه الفصاحة، بعكس القرآن الّذي كان بليغاً ولا زال.

١١. كلام (الخطّابي) حيث صرّح أنّ وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة، لأنّ الكلام له مراتب مختلفة، وكلّ واحدة من تلك المراتب تتفاوت مع المرتبة الأخرى في الفصاحة، فبعضها فصيح والآخر أفصح، أمّا القرآن فإنّه كلام في أوج الفصاحة.

١٢. قول أهل التّحقيق الّذين يعتقدون أنّ إعجاز القرآن يرتبط بكلّ الأمور الّتي ذكرت سابقاً، يعني: إعجاز القرآن غير محصور بأمر أو موضوع خاصّ، بل الوجوه المذكورة كلّها تتظافر في بيان إعجاز القرآن، وليس كلّ واحدة على حدّة؛ لأنّ كلام الفصحاء يمكن أن يتجلى في أحد الموارد المذكورة، ولا يمكن لفصيح أن يأتي بكتاب يحوي جميع الوجوه المذكورة مجتمعة بعضها إلى البعض الآخر.

لذلك ترى القرآن دائماً غضّاً طرياً ينبض بالحياة والحركة، وصار الإعجاز صفة له.

وقد اختار بدر الدّين الزّركشي القول الأخير وتبّناه، واعتبره من أصحّ النّظريات الواردة حول إعجاز القرآن، وهو الرأي المنسوب لأهل التّحقيق والرأي.

والظّاهر أن رأي (الزّركشي)، من علماء القرن الثامن الهجري، في مباحث إعجاز القرآن يُعتبر من البحوث الأكثر تكاملاً من الآخرين في هذا المجال.

لكن لا يجب أن نغفل عن أن الوجوه المذكورة حول الإعجاز لا تشكّل كلّ وجوه إعجاز القرآن، بل هناك وجوه أخرى مهمّة سوف نبحثها في القسم الأخير من هذا البحث.

السّيوطي

جلال الدّين السّيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، من علماء القرن العاشر الهجري، ومن المحقّقين ومفسّري القرآن الكريم له كتاب في إعجاز القرآن اسمه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) بين فيه خمسة وثلاثين وجهاً في إعجاز القرآن.[١] وقد استشهد على كلّ وجه بآية قرآنية. وسوف نشير إليها باختصار:

١. العلوم والمحتوى: وهو أول وجه من وجوه الإعجاز، والذي يمكن من خلاله استنباط

---

١. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج١، ص١٢ ـ ٣٨٧.

العلوم من القرآن الكريم؛ لأنّه يحتوي على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.

وأضاف السّيوطي أنّه قد استلهم هذا المطلب من القرآن نفسه، حيث قال الله سبحانه: ﴿...مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ...﴾[1] وأيضاً قوله سبحانه ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ...﴾.[2] ونقل (ابن مسعود) إنّ كلّ من أراد أن يطلع على علوم عصره، يجب عليه مراجعة القرآن؛ لأنّ القرآن شامل لكلّ العلوم.

ويستمر (السّيوطي) في كلامه قائلاً «ان القرآن يحوي كلّ العلوم حتّى الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة و...».

٢. صيانة القرآن من التّحريف: أي من الزيادة والنقصان في آياته؛ لأنّ القرآن قد حُفظَ عبر الزمن فلم يضف إليه شيء، ولم ينقص، بخلاف سائر الكتب الّتي امتدت اليها يد التغيير، فزادت ونقصت فيها.

وقد استلهم (السّيوطي) هذا المطلب من آية الحفظ الشّريفة، حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.[3]

٣. حُسن التأليف: القرآن يستعمل الكلمات الجميلة والعبارات الجذابة المتناسقة بعضها مع البعض الآخر ممّا أضفى عليه مسحة الفصاحة، وقد خرق في أسلوبه عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

ويضيف (السّيوطي) أنّه لم يكن في قدرة أحد قط أن يأتي بمثل عبارات القرآن، ولهذا نرى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً كاملاً، ثمّ ينظر فيها ويغير، حتّى تكتمل في نظره، ولن تكتمل. مع أن القرآن لو رفعنا منه كلمة واحدة ما استطعنا أنْ نضع بديلاً عنها؛ لأنّ الفصاحة سوف تختل في ذلك المكان، وكلّ عبارة قد جاءت في محلها الحقيقي، وثبتت فيه وصارت تستلهم فصاحتها من وجودها في ذلك المكان المناسب.

٤. مناسبة الآيات والسّور: وارتباط بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة

---

١. الأنعام: الآية ٣٨.
٢. النحل: الآية ٨٩
٣. الحجر: الآية ٩.

المعاني، منتظمة المباني.

(علم مناسبة الآيات)، يعتبر من العلوم الّتي قلّما اعتنى بها المفسّرون أمثال، الفخر الرّازي) الّذي قال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في التّرتيبات والرّوابط، وهذه الترتيبات لها أسباب مثل : المضادة،[١] التنظير،[٢] الاستطراد[٣] و...

٥. افتتاح السّور وخواتمها: مثل افتتاح بعض السّور بالتسبيح لله، والحروف المقطعة، والنداء، والجمل الخبرية، والقَسَم، والشّرط، والأمر والاستفهام، والدّعاء و...، وكلّ واحدة منها تحوي لطائف خاصّة بها.

٦. تشابه الآيات، في بعض الأحيان نشاهد القصّة الواحدة تَردُ في سور شتّى، وفواصل مختلفة، ففي بعض الأحيان تأتي العبارة في مقدّمة الآية، وأخرى في نهايتها كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿...وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ...﴾.[٤]

﴿...وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ...﴾[٥]

﴿...قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ...﴾[٦]

﴿...قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ...﴾[٧]

---

١. المضادة: هي علاقة بين شيئين، مثل صفة الإيمان والكفر، كما في أول سورة البقرة والّتي تبدأ في مسألة الإيمان حيث يقول سبحانه ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل...﴾ ثم جاء بعدها البحث في الكفر فقال سبحانه ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم...﴾.

٢. لتنظير: المقصود من التنظير هو أن هناك موضوعان متشابهان فيلحق أحد الموضين بالآخر، كما في الآية الشريفة ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق...﴾ (الأنفال: ٥) جاءت عقب قوله في الآية ٤ ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ حيث أمر تعالى رسوله ان يمضي لأمره في الغنائم على كره من اصحابه، فمع ان المسلمين كانوا كارهين وغير راضين عن لتقسيم غنائم بدر، لكنهم رضوا فيما بعد، فكذلك خروجكم من مكة كنتم كارهين ولكن تبين فيما بعد ان فيه النصر والظفر والغنيمة وعز الاسلام.

٣. الاستطراد: يذكر مطلباً خاصاً ثم يقوم يتبيينه في مورد عام كما في الآية الشريفة ﴿يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾ (الأعراف: ٢٦) حيث انتقل البحث من اللباس الظاهري إلى اللباس الباطني والتقوى.

٤. البقرة: الآية ٥٨.

٥. الاعراف: الآية ١٦١.

٦. البقرة: الآية ١٢٠.

٧. آل‌عمران: الآية ٧٣.

٧. الآيات الّتي ظاهرها متعارض: رغم أنّ هذه الآيات قد تبدو متعارضة ابتداءً، لكنها مترابطة بعضها مع البعض الآخر ومتّفقة، مثل: آية نفي السؤال في يوم القيامة، حيث نفى عنهم السؤال يوم القيامة في الآية الأولى، وفي آية أخرى عدّه لازماً، وإليك الآيات:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[1]

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[2]

نقل عن (ابن عباس)، إنّ عدم السؤال مرتبط بما قبل النفخة، أمّا سؤال بعضهم لبعض فإنّه يكون بعد النفخة الثانية.

٨ وجود النّاسخ والمنسوخ. ومن الخصوصيات الأخرى لإعجاز القرآن وجود النّاسخ والمنسوخ، حيث يُعدّ من خصوصيات القرآن، إذ أن بعض آيات القرآن تنسخ الأخرى، وليس ذلك إلّا من أجل التيسير على الأمّة.

٩. الآيات المحكمة والمتشابهة؛ ووجود هذه الآيات يعتبر من علوم الآيات القرآنية أيضاً، وتنقسم الآيات المتشابهة إلى ثلاثة أقسام.

أـ آيات لا طريق لمعرفتها أصلاً، كالآيات الّتي تتناول الزّمان والقيامة.

ب ـ آيات أخرى يمكن للإنسان أن يفهمها، كالألفاظ الغريبة والأحكام المُغلقة.

ج ـ مجموعة مردّدة بين الأمرين، يعني أنّ الرّاسخين في العلم يطلّعون عليها و يخفى على من دونهم.

١٠. اختلاف حروف القرآن: وهذا أيضاً يعتبر من معجزات القرآن من جانب القراءة، حيث إنّ للقرآن قراءات سبع، وقراءات أخرى يمكن أن نتلفظ بها، أمّا الكتب الأخرى فليست كذلك.

١١. تقدّيم وتأخير الألفاظ؛ فمرّة السّياق يقتضي التّقديم والتّأخير، وأخرى للتفنّن في الفصاحة. وإليك بعض علل التقدّيم:

أـ التّبرك، كتقدّيم اسم الله في الآية: ﴿...فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ...﴾.

ب ـ التّعظيم، كقوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ...﴾.

---

١. المؤمنون: الآية ١٠١.

٢. الصّافات: الآية ٢٧.

ج ـ زيادة الشّرف، كتقديم الذّكر على الانثى ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ...﴾.

د ـ المناسبة، كما في قوله ﴿...يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾.

هـ ـ السّبق الزّماني، حيث قدّم الليل على النهار، وآدم على نوح.

و ـ السببّية، ﴿كتقديم العزيز على الحكيم﴾.

ز ـ الكثرة، مثل ﴿...فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ...﴾ لأنّ الكفار أكثر.

١٢. إفادته للحصر والاختصاص، حيث يعتبر من خصوصيات إعجاز القرآن، مثل: انحصار صفة الإلوهية بالله وحده كما في الآية الشّريفة ﴿...لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ...﴾.

١٣. احتوائه على جميع لغات العرب، إنّ احتواء القرآن على جميع لغات العرب، بل وحتّى اللغات غير العربية، كالفارسيّة، والروميّة و.. تعتبر من خصوصيات إعجاز القرآن.

ورغم أنّ القرآن، نزل باللغة العربية، كما أشار نفس القرآن لذلك المعنى بقوله ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾ إلاّ أنّ هذا لا ينافي وجود كلمات غير عربية في القرآن.

لذا فإنّ البعض يعتقد أنّ القرآن يشتمل على خمسين لغة، مثل لغة: قريش، هذيل، كنانه، جرهم، مدين، هوازن، عطفان، نصر، الفارسيّة، الروميّة و...

١٤. عموم بعض آياته وخصوص بعضها، فوجود هذه الصفة في القرآن تُعَدّ من المعجزات أيضاً، لذلك فإنّ العامّ في القرآن على ثلاثة أقسام:

أ ـ العامّ الّذي يراد به الخاصّ، كقوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ...﴾[1] يعني رسول اللهﷺ، لجمعه ما في النّاس من خصال حميدة.

ب ـ العامّ الّذي خُصّص، مثل ﴿...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ...﴾،[2] حيث إنّ الهلاك خُصّص بالنّسبة إلى الله سبحانه.

ج ـ العامّ الباقي على عموميّته، كقوله تعالى ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3] فإنّ علم الله أبدي ومن جميع الجهات.

---

١. النساء: الآية ٥٤.

٢. القصص: الآية ٨٨

٣. المجادلة: الآية ٧.

١٥. الإجمال والتّبيين في القرآن. هناك آيات في القرآن الكريم وردت مجمله، وقد رُفع إجمالها بآيات أخرى، كما في الآيات المجملة التّالية:

أ ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾[1] فالفعل (عسعس) مشترك بين الإقبال والإدبار؛ لذا صارت الآية مجملة.

ب ـ ﴿...وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ...﴾[2] فعندما يُحذف حرف (في) أو (عن) تصبح الآية مجملة.

ج ـ ﴿...إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ...﴾[3] صارت الآية مجملة نتيجة لاختلاف مرجع الضّمير في (يرفعه) فهل هو الله أم العمل؟

أمّا الآيات المبينّة، وهي:

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾،[4] والّتي فُصِّل معناها بالآية الشّريفة ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ...﴾.[5]

١٦. الاستدلال بالمفهوم أو بالمنطوق للآيات، فالاستدلال (بالمنطوق) وظاهر الآيات كما في قوله تعالى في ذيل الآية الواردة بخصوص الحجّ ﴿...فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡ...﴾[6] هذه الآية تبيّن أنّ الحاج الّذي لا يستطيع أن يذبح هدياً، عليه صيام عشرة أيام، ثلاثة منها أيام الحجّ، وسبعة أيامٍ أذا رجع إلى وطنه.

أمّا الاستدلال (بالمفهوم) كما في الآية الشريفة ﴿...فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ...﴾[7] أي يجب عليك أن تحترم أبويك احتراماً تامّاً، ولا تَنهرهما حتّى في كلمةِ (أفّ)، فيحرم الضرب من خلال المفهوم.

---

١. التكوير: الآية ١٧.
٢. النساء: الآية ١٢٧.
٣. فاطر: الآية ١٠.
٤. القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.
٥. الأنعام: الآية ١٠٣.
٦. البقرة: الآية ١٩٦.
٧. الإسراء: الآية ٢٣.

١٧. التنوع في الخطاب، فهو أيضاً من وجوه إعجاز القرآن... لأنّ الخطاب أحياناً يخصّ شخص الرّسولﷺ كما في قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾،[1] وأحياناً أخرى غير الرّسولﷺ كما في الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾.[2] وثالثة يكون الخطاب عامّ، أي: للرّسولﷺ وغيره ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ...﴾.[3]

بعض الخطابات القرآنية تشمل الخطاب العامّ، الجنس، النّوع، المدح، الذّم، الكرامة، التّعجيز، التّحفيز و...

١٨. إخباره بالمغيبات؛ يشتمل القرآن الكريم على آيات وأخبار غيبية، كخبر دخول المسلمين إلى مكة، كما في قوله تعالى ﴿...لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ...﴾[4] حيث أخبرت الآية الشّريفة عن خبر غيبي، وهو فتح مكة في المستقبل.

١٩. الإخبار عن الأمم البائدة والقرون السّالفة، مثل قصص الأنبياء، علماً أنّ النبيّﷺ كان رجلاً أميّاً، يعني لم يدرس عند أحد؛ لذا قال الله سبحانه ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ...﴾.[5]

٢٠. التأثير في المخاطب؛ فالإنسان تعتريه الهيبة والخشية عند سماع التّلاوة.

٢١. السّامع لا يَملّ القرآن، وإن تكرّرت عليه التّلاوة.

٢٢. حفظ القرآن: يتميز حفظ آيات القرآن بالسّهولة واليسر، خلافاً للكتب الأخرى عند مقارنتها مع القرآن.

لقد استلهم (السّيوطي) أهميّة حفظ القرآن من الآية الشّريفة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾،[6] وأنّ القرآن ميسر حفظه حتّى للغلمان، حيث بادرَ الكثير منهم لحفظه.

---

١. المائدة: الآية ٦٧.

٢. التحريم: الآية ٧.

٣. البقرة: الآية ١٨٣.

٤. الفتح: ٢٧ الآية.

٥. المائدة: الاية ١٥.

٦. القمر: الاية ٢٢.

٢٣. الحقيقة والمجاز؛ فقد استفاد القرآن منها بشكل مناسب.

٢٤. التّشبيهات والاستعارات؛ وهي من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها.

٢٥. الكنايات في القرآن، وكذلك الإيجاز والإطناب، تُعتبَرَ من أقسام البلاغة فيه، حيث استفاد منها كثيراً، وهناك أقسام أخرى من البلاغة تعد من امتيازات القرآن، أمثال الإيهام، والاستخدام، والالتفات و...

٢٦. أنواع الأخبار والإنشاء، استفاد القرآن كثيراً من أنواع الأخبار والإنشاء، كالتعجب، والوعد والوعيد، والنّفي، والإنكار، والتّوبيخ، والتّهديد، و...

٢٧. القَسَم في القرآن؛ ومن معاجز القرآن الأخرى، ذكر القَسَم القرآني، فقد أقسم الله سبحانه بنفسه وبمخلوقاته مثل، الشّمس، والقمر، والليل، و...

٢٨. البرهان في القرآن، الّذي يشتمل على أنواع البراهين، كالاستدلال على وجود الله عن طريق برهان التّمانع في الآية الشريفة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾.[1]

وهناك استدلالات أخرى من هذا القبيل.

٢٩. وجود الأمثال في القرآن؛ هناك أمثال متنوعة استعملها القرآن، سواء كانت ظاهرة أم مضمرة، وهي من عجائب القرآن، كالآية الشّريفة ﴿...وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً﴾[2] الّتي جاءت في مورد الصّلاة، وهذه الآية تدلّ على المثل المعروف (خير الامور أوسطها).

٣٠. سعَة الآيات القرآنية؛ فإنّه يشتمل على آيات العدل الإلهي، الرّجاء الإلهي، الخوف الإلهي و... ووجودها جنباً إلى جنب تدلّ على سعة القرآن أمثال الآية الشريفة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.[3]

وكذلك شمول القرآن من جهة وجود أسماء الأشياء المختلفة، مثل: الملائكة، الألقاب، الأسماء، القبائل، البلاد، الكواكب، الجبال و...، ومثل: يأجوج ومأجوج، عاد،

---

١. الأنبياء: الآية ٢٢.

٢. الإسراء: الآية ١١٠.

٣. الزلزلة: الآيتان ٧، ٨.

ثمود، قريش، الرّوح، الدّين، الشّمس، الشّعر، الفردوس، الكوثر، السّلسبيل، السجّين، ادريس، آزر، أحمد و...

وقد أشار (السّيوطي) معتمداً على آراء الآخرين إلى مجموعة من وجوه إعجاز القرآن، وقال إنّهم غفلوا عن بقية الوجوه الّتي سوف أشير لها فيما بعد، ومن جانب آخر فإنّه يمكن جمع بعض الوجوه المذكورة مع البعض الآخر، كما أنّ هناك خلاف في بعض الوجوه كالوجه العاشر الّذي أشار إلى اختلاف حروف القرآن من حيث القراءة، لأنّ كثيراً من القراءات ربّما لا تكون مورداً للتأييد، ثم إنّ القرآن له قراءة واحدة، وهذا ما أشير إليه في بحث القراءات حيث توصلوا إلى أنّ القرآن له قراءة واحدة لا أكثر.[1]

عبد الله دراز

محمد عبد الله دراز، أحد المعاصرين من أصحاب الرّأي في المسائل القرآنية، ومؤلف كتاب (النّبأ العظيم) الّذي يحوي نظريّات جديدة حول القرآن.

وقد نظر لإعجاز القرآن من زاوية جديدة، وهي تأليفه الصّوتي في شكله وجوهره، معتقداً إنّ كلّ من يستمع للقرآن، وإن لم يكن عارفاً باللغة العربيّة، سوف يترك أثراً في قلبه ونفسه، وعندما يقرأ القرآن فإنّ السّامع يلتذ بسماعه؛ لأنّه يرى الإنسجام التّام بين كلماته وحروفه،[2] ويضيف: إنّ النظام الصّوتي للقرآن غريب لا نظير له، جذّاب ومتلائم مع الفطرة .

لذا فإنّ التكرار في أي نظام صوتي يورث الملل والضجر، حتّى في مراحله الأولى، لكن القرآن ذو نظام صوتي خاصّ، لا يورث الملل، بل إنّ استماعه في كلّ مرّة له لذّة خاصّة.

وطبقاً لرأيه، فإنّ خصوصيّة النّظام الصّوتي للقرآن يجعل القرآن غضاً طرياً، ولا شك أنّ هذا الأمر ناشيء من القدرة الإلهية، الّتي أودعت في القرآن.

فإذا أردنا أن ندرك الإعجاز الصّوتي للقرآن ونلمسه بشكل واضح، ما علينا إلّا أن نبدل بعض كلمات القرآن بكلمات أخرى غير قرآنيّة، أو نجري تغييراً على الكلمات القرآنيّة، فسوف نعرف الفرق الّذي يزيل الإعجاز الصّوتي عن القرآن الكريم، يقول دراز في هذا المجال:

> إنّ أحداً لو حاول أن يدخل عليه شيئاً من كلام النّاس، من السّابقين منهم، أو اللاحقين، من الحكماء أو البلغاء أو النّبيين والمرسلين، لَأفْسَدَ بذلك مزاجه في فم كل قاريء،

---

١. نزول قرآن ورؤياى هفت حرف، قراءة واحد، ص٢٦٣.

٢. النبأ العظيم، ص١٠١ ـ ١٠٣.

ولجعل نظامه يضطرب في أذن كلّ سامع، وإذاً لنادى الداخل على نفسه بأنّه واغلٌ دخيل، ولنفاه القرآن عن نفسه كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد.[١]

ويضيف الكاتب:

إنّ هناك مزية أخرى للقرآن مرتبطة بخطابات القرآن حيث عدّها من معجزات القرآن؛ لأنّ الخطابات القرآنيّة رغم أنّها عامّة لكنها معطوفة على أفراد خاصّين، وترى لها تفوق خاصّ بالنّسبة للخطابات الأخرى.

ومن الطبيعي لا يمكن الجمع بين خصوصية الخطاب الخاصّ وخصوصية الخطاب العامّ في خطاب واحد بالنسبة للبشر؛ لأنّ الخطاب العامّ الموجّه للعموم، يجب أن يحوي كلمات وعبارات واضحة مع شرح لتفاصيلها، في حين أنّ الخطاب الموجّه للخواص إذا كان مع الرّمز والإشارة يكون مفيداً.

ومن هنا فإنّ الكلام الموجّه للخواص إذا كان مفصّلاً فإنّه يبعث على الملل، وهكذا لو كان الخطاب موجّه للعموم، لكنّه رمزيّاً وإشاريّاً ومجملاً، فالكلام يكون مبهماً ولا يحقق الهدف.

أمّا الخطابات القرآنيّة فإنّ لها خصوصيّات تجعلها مفيدة للعوام والخواص؛ ولذلك ترى الخطابات القرآنيّة مفيدة للكبار والصّغار أيضاً، وللنساء والرّجال، والعلماء والمختصين في الفن، والباحثين عن العلم، كلّ أولئك يمكنهم الإستلهام من القرآن، فيأخذ كلّ واحد منهم بما يتناسب وظرفيته. مع أنّ الكتب العاديّة قد أعدّها أصحابها لطبقة خاصّة من النّاس.[٢]

فالقرآن يشبع قوة التفكير عند الإنسان، وكذلك قوة العاطفة والإحساس أو ما تسمّى (بالوجدان)، وكلّ واحدة منهما تختلف عن الأخرى.

يعني: إنّ القرآن قد اهتم بقوة الفكر، وقوة الوجدان معاً، أمّا في كلام الآخرين يكون الاهتمام بأحدى القوتين دون الأخرى.[٣]

الرافعي

مصطفى صادق الرّافعي من العلماء المعاصرين، صاحب كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة)، وقد رتّبه في عدّة فصول، ذكر في الفصول الأولى، تأريخ القرآن، قراءة القرآن، لغة القرآن، تأثير القرآن في اللغة، و...

---

١. نفس المصدر، ص١٠٥.
٢. نفس المصدر ص١١٣.
٣. نفس المصدر.

وقد أفرد فصلاً خاصاً تناول فيه (إعجاز القرآن، وذكر فيه أقوال الماضين من العلماء، ثمّ قام بتحليلها، قال في بداية الفصل إنّ إعجاز القرآن قائم بشيئين:

أوّلاً: ضعف القدرة الإنسانيّة في معارضة القرآن رغم أنّ محاولاتهم جدية في ذلك المجال.

وثانياً: استمرار هذا الضعف منذ ذلك الوقت حتّى الوقت الحاضر، وعجز الإنسان في كلّ عصر من العصور كاف لاثبات معجزة القرآن.[1]

يعتقد (الرافعي) إنّ إعجاز القرآن لا حدود له، بل إنّ الإعجاز يكمن في البلاغة، الأسرار اللغوية، الكشف عن المقاصد، تأليف الكلام و...، وأعلموا إنّ القرآن معجزة من وجهة النّظر التّأريخيّة، وأيضاً لاشتماله على الحقائق العلميّة، فقد كان القرآن ولا زال معجزة، ولكن أهم إعجاز للقرآن يكمن في بعده البياني والأدبي.[2]

وتبرز عظمة القرآن وأهميّته، في أنّه نزل في عصر بلغ العرب فيه مبلغاً من الفصاحة لم يعرف في تأريخهم من قبل، فأنّه نزل في ذلك العصر فبذّهمْ وتفوّق عليهم، فلا يمكن أن يكون القرآن وليد ذلك الفكر العربي، أو أنّه ولد من رحم تلك الفصاحة السّائدة آنذاك؛ لأنّه تجاوزها ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثل كلامه.

ويعتقد الرّافعي أنّ اللغة العربيّة قد وصلت إلى كمالها ورشدها حين نزول القرآن الّذي كان له ذوق خاصّ عند نزوله، وأنّ العرب كانت بمنزلة أمّة واحدة في الفصاحة والبلاغة، ففي ذلك الوقت نزل القرآن بأبلغ وأفصح عبارة لكي يجاري ذلك العصر في الوحدة اللغويّة والبيان للغة العربيّة.[3]

ثمّ أضاف (الرّافعي): إنّ التحدي عند العرب قبل نزول القرآن كان في القصائد الشّعرية الشّائعة آنذاك، حيث كانوا يتّخذونها وسيلة للشهرة والتّفاخر بينهم، والرّسول ﷺ تحدّاهم بالقرآن وأثبت عجزهم في التّحدي، حيث قال تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[4]

---

١. إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص١٣٩.
٢. نفس المصدر، ص١٥٦.
٣. نفس المصدر ص١٦٤.
٤. البقرة: الآية ٢٤.

وطبقاً لرأي (الرّافعي) إنّ أسلوب القرآن هو أساس الإعجاز، حيث يظهر فيه حسن النظم، وحسن تركيب الحروف والكلمات؛ لأنّ أسلوب القرآن لم يكن رائجاً عند العرب قبل ذلك، ومن هنا فإنّ مرجع معرفة الخطاب من ناحية الفصاحة والبلاغة هو الشّعور الفطري المستند إلى الذوق، وقد وصل العرب إلى تلك المرحلة العالية من الذّوق، فعندما نلقي نظرة على القرآن نشاهد أنّه قد وصل إلى أعلى مراحل الفطرة، وقد عجز العرب عن الإتيان بمثله. بالخصوص أنّ القرآن كان يطرح موضوعاً واحداً بعبارات مختلفة في سور متعددة، لكي يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثل تلك التّعابير المتعددة في موضوع واحد.

لذا فإنّ سرّ تكرار الآيات يكمن في هذا الأمر، اما ما ذهب إليه الجاحظ فغير صحيح، حيث يعتقد أنّ سرّ التكرار للآيات له ارتباط بتكرار المخاطبين.

وقد بيّن خصائص الكلام الفصيح، حيث قال: إنّ الكلام الفصيح هو الكلام الّذي فيه ألفاظ سهلة، ومعان نادرة، تبعث في روح السّامع السّرور والإعجاب؛ لأنّه ينفذ إلى القلب، ويستقر في النفس.[١]

وقد أفرد (الرّافعي) في كتابه فصلاً مستقلاً أسماه (نظم القرآن الكريم)، حيث ابتدأ كلامه بأننا عاجزون عن درك حقيقة القرآن؛ لأنّه خارج عن قدرتنا، لأنّ القرآن سرّ حياة اللغة العربيّة، وهو بمنزلة الرّوح بالنّسبة لها.[٢]

ثمَّ أضاف أنّ تركيب الكلام يشتمل على ثلاثة أجزاء:

حروف ناتجة من الأصوات، وكلمات ناتجة من الحروف، وجمل تحصل من خلال الكلمات. وقد رأينا سرّ الإعجاز في نظم القرآن يكمن في هذه كلّها، يقول: عندما نقرأ القرآن فإنّ حروفه وكلماته وجمله لها تركيب لا سابق له وله وقعٌ موسيقي خاصّ، وهذا النظم عينه الّذي صفّى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولى تربية الذّوق الموسيقي اللغوي عندهم، فتعرّفوا على نظم الكلمات، ولذلك مهما قرأت القرآن لا يصيبك الملل والضجر.[٣]

---

١. إعجاز القرآن، ص٢٠٤.
٢. نفس المصدر، ص٢٠٩.
٣. نفس المصدر، ص٢١٤.

وطبقاً لرأي (الرّافعي): القرآن له ثلاثة أصوات: (النفس، العقل، الحس) وكلّ واحد من هذه الثلاثة يعتبر معجزة بحد ذاته، وهذه الأصوات هي:

أ ـ صوت النّفس: وهو الصّوت الموسيقي الحاصل من تنظيم الحروف والكلمات ومخارجها، بحيث تُظهر ارتباط المعاني بشكل متناسب.

ب ـ صوت العقل: وهو عبارة عن تلك المعاني النّاتجة عن سلسلة من الكلمات يكتشفها المخاطب من خلال تلك التّعابير والكلمات.

ج ـ صوت الحس: وهو عبارة عن تعبيرات مختلفة ومعاني تفصيليّة استخدمت فيها وجوه البيان، فبُيِّنَت المعاني بشكل دقيق فنّي. وهو أبلغهن شاناً، لا يتأتى إلّا من دقّة التصوّر المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب، ومجاذبة النّفس مرّة وموادعتها أخرى.

وأنّ أهمّية كلّ كلام يكمن في صوت الحس، وكلما روعي هذا الجانب في الكلام ترتفع بلاغة الكلام، وتتقوّى بناه التّحتيّة، وهو بمنزلة روح الكلام وأساس إعجازه.

وعلى ذلك فإنّ القرآن في قمة الإعجاز وفي مرتبته العليا، بحيث إنّ الإنسان لا يستطيع أن ياتي بما يشابه القرآن، وقد أدرك العرب ذلك المعنى رويداً رويداً حتّى خضعوا للقرآن، فعلى الرغم من كونهم متخصصين في صوت الحس، غير أنّهم كانوا يعلمون أنّ رتبته الكاملة ودرجته العالية بيد الله سبحانه.[1]

---

١. نفس المصدر، ص ٢٢٠.

٥

وجوه إعجاز القرآن

سعة وجوه الإعجاز

لا خلاف بين علماء المسلمين في أنّ القرآن معجزة إلهية، إلّا أنّ هناك تفاوتاً في الآراء حول الجهة الّتي وقع فيها الإعجاز، فكلّ عالم بحث الإعجاز من جانب مختلف، فمنهم من بحث تلك الوجوه من خلال المباحث الكلاميّة والتفسيريّة، والّتي قمنا بدراسة بعضها في الفصول السّابقة. حيث قمنا ببيان آراء العلماء بخصوص ذلك، ومن خلاله أشاروا إلى السّير التأريخي الّذي مرّ به الإعجاز، وكيف أن العلماء قاموا بتوسيع البحث، والأدوار الّتي مر بها .

ولا زالت نظريّات الإعجاز في توسع وتكامل مستمر، وذلك للأهميّة الّتي يحظى بها هذا المبحث، ولا نتوقّع أن يقف التّوسّع في بحث الإعجاز، فكلّما تقدّم الزّمن ظهرت وجوه جديدة للإعجاز؛ لأنّ هذا المبحث له أرضيّة خصبة للتوسّع، والمستقبل كفيل في كشف وجوه جديدة للإعجاز.

أهمّ وجوه الإعجاز

سوف نتناول في هذا القسم أهم وجوه إعجاز القرآن مع المناقشة دون الالتفات إلى أصحابها.

أمّا أهمّ الموارد الّتي طرحت حول إعجاز القرآن:

الصّرفة

من الوجوه الّتي حضيت بسابقة تأريخية طويلة في تناولها لإعجاز القرآن، الاعتقاد بالصّرفة، والّذي يعتقد أنّه أوّل الوجوه المطروحة بين علماء المسلمين، حيث نال الكثير من النّقد

والبحث، وهذه النّظريّة تعتبر من أشهر النّظريات المطروحة في القرن الرّابع والخامس الهجري،[١] حيث سادت فترة طويلة ثمّ تعرّضت للتشكيك من قبل بعض العلماء.

وسوف نقوم بطرح نظريّة (الصّرفة)، طرحاً واقعيّاً منصفاً.

(الصّرفة) لغة هي «الصّرف هو ردّ الشّيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره».[٢]

والغالب استعمالها في انصراف أحد عن تصميمه، مثل قوله تعالى في القرآن:

﴿... صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[٣] أو في الآية الأخرى: ﴿...فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا...﴾.[٤]

يقول (الطّبرسي) في تعداده لمعاني الصّرفة: (صَرَفَ) بمعنى المنع من إبطال الآيات،[٥] المعتقدين بالصّرفة يقولون: إنّ الله سبحانه قد صرف النّاس عن معارضة القرآن وَمَنَعَهُم عن ذلك، رغم أنّه سبحانه تحدّى النّاس أن يأتوا بمثل القرآن أو عشر سور مثله، أو حتّى بسورة واحدة، إذا كانوا متردّدين في حقّانية القرآن، ومع ذلك لم نلاحظ أي إجابة لهذا التّحدي من جانب المخالفين ولم يتحقق شيء من جانبهم في الإتيان ولو بسورة واحدة؛ لأنّ الله سبحانه صَرَفَهم عن هذا العمل.[٦]

وهذا يعني إنّ عدم معارضة المخالفين وعدم تمكنهم من الإتيان بمثل القرآن لم يكن في الواقع نتيجة لفصاحة القرآن وبلاغته ولا للوجوه الأخرى للإعجاز، بل السبب الرّئيسي لذلك هو أنّ الله سبحانه صَرَفَ النّاس عن الإتيان بمثل هذا العمل، وسلب قدرتهم على ذلك.

لذا فإنّ الله سبحانه تدخل من أجل أن يبقى القرآن سالماً من المعارضة، فصرفهم عن الإتيان بمثل القرآن، أو حتّى التّفكير في ذلك في المستقبل، فقد صَرَفَهم عن ذلك، وهناك

---

١. أوّل من طرح هذه النّظريّة هو نظام المعتزلي (المتوفى ٢٣١هـ ق) وهو من قادة مذهب الاعتزال. انظر: المعتزلة، الزاهدي، حسن، ص١٢٠. أبو إسحاق الاسفراييني من كبار علماء أهل السنّة وهو من الأشاعرة أيضاً (المتوفى ٤١٨هـ ق) كان يعتقد بالصّرفة، انظر: شرح المواقف للجرجاني، ج٨، ص٢٩٤.

السيّد المرتضى، علم الهدى (المتوفّى ٤٣٦هـ ق) وهو من مشايخ الشّيعة، أو من المعتقدين بالقول بالصّرفة. انظر: الذّخيرة في علم الكلام، السيّد المرتضى، ص٣٧٨.

٢. مفردات الرّاغب، ص٢٨٧.

٣. التّوبة: الآية ١٢٧.

٤. الفرقان: الآية ١٩.

٥. مجمع البيان، ج٤، ص٧٣٥، ذيل الآية ١٤٦ من سورة الاعراف

٦. التمهيد في علوم القرآن، ج٤ ص١٤٠، الإتقان، ج٤، ص٧.

تفاوت في الآراء حول كيفيّة الصّرف، وبعبارة أخرى، كيف كانت الصّرفة؟

هناك تفاوت كبير بين أصحاب الرأي حول هذا المورد، يمكن تقسيمه، كما يلي:

١. سلب الدّواعي: فالبعض يعتقد أنّ الله تعالى سلب الدّواعي عن هذا العمل، بحيث مسخ عقولهم وأفكارهم عن المعارضة، فلم يفكروا في هذا الأمر.[١] أسباب توفر الدّواعي في حقّهم كانت حاصلة مع التّقريع بالعجز، والاستنزال عن المراتب العالية والتّكليف بالانقياد والخضوع، ومخالفة الأهواء.

في الواقع إنّ الله سبحانه قد أثّر في أفكار المخالفين وإرادتهم، حتّى أبْعَدَ الفكرة عن أذهانهم، بحيث إنّهم لم يفكروا بالإتيان بمثله في أي زمان ومكان، فلم تخطر هذه الفكرة في ذهن أي شخص، مع أنّ القرآن دائماً وأبداً يتحدّى أولئك؛ لأنّ الدّاعي موجود عندهم، ولكن الله أبعدهم عن تنفيذه.

فالقرآن خَطّأ أفكارهم الجاهلية، وأشار إلى عجزهم، وليس هذا إلّا إنّ الله سبحانه صرف ومنع أولئك عن التّفكير بتلك الدّواعي للمعارضة.[٢]

٢. سلب العلوم: وهناك مجموعة أخرى يقولون: إنّ الله سبحانه قد سلب العلوم من المعارضين وجعلهم يعرضون عن الإتيان بمثل القرآن ويترَكُوا التّحدي؛ لأنّهم إذا أرادوا أن يأتوا بمثل القرآن، عليهم أن يستفيدوا من العلوم المختلفة، الّتي بواسطتها يمكنهم الإتيان بمثله، لكن الله بَدلاً من أن يصرفهم عن دواعيهم قام بسلبهم العلوم والوسائل الّتي توصلهم إلى الإتيان بمثل القرآن، كي لا يستطيعوا أن يبادروا إلى مثل هذا العمل.

في الواقع إنّ العرب بما لديهم من علوم، يمكنهم أن يأتوا بما يشابه فصاحة وبلاغة القرآن، لكنّ الله سبحانه أطفأ تلك الشّعلة في أذهانهم، أو أنّه سبحانه لم يوفقّهم للوصول إلى تلك العلوم وأبقاهم عاجزين.[٣]

٣. سلب القدرة: وهناك مجموعة أخرى تعتقد إنّ الصّرفة لا ترجع إلى سلب الدّواعي، ولا سلب العلوم البشريّة، لأنّ المعارضين كانت لهم دواعي كافية لذلك العمل، وعلومهم لم تتغير بعد نزول القرآن، لكن الصّرفة مرتبطة بسلب قدرة المعارضين يعني: إنّ الله سبحانه

---

١. التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٣٨.
٢. نظام أبو اسحاق الاسفراييني، هكذا كانوا يعتقدون. راجع شرح المواقف، ج٩، ص٢٤٦.
٣. هذا القول منسوب إلى المرحوم السيّد المرتضى علم الهدى. راجع الذخيرة ص٣٨٠.

سلب الإمكان والقدرة عن أولئك المعارضين، حالهم حال الّذي أراد أن يذهب إلى داره فمُنع، رغم أنّه يملك الدّاعي للذهاب، ويملك القدرة على ذلك، لأنّ قدميّه سالمتان، لكنه سلب القدرة على الحركة وبقي متوقفاً في مكانه لا يزول عنه.[1]

والمعقول من هذه التّفاسير الثلاثة المذكورة آنفاً، هو القول الثّاني، إذا قلنا بصحة الصّرفة.[2]

لأنّ القول الأوّل، يعني: سلب الدّاعي، لم يتحقق لأنّ ديمومة التّحدي تؤدي إلى وجود الباعث، وإنّ المخالفين كان لديهم الدّاعي ولازال موجوداً، بل هو في إزدياد. القول الثالث: لا يختلف عن القول الثّاني لأنّ أحد مصاديق سلبالقدرة، هو سلب وصرف العلوم، وأنّه يرجع إلى سلبالقدرة. وعلى هذا فأنّ القول الثّاني هو أكمل الأقوال، وأنّ المتبنين للصّرفة في الشّكل الثّاني، يعني سلب ومنع العلوم، يرون أنّ القرآن يجب أن لا يختلف عن بقية الكتب من حيث اشتماله على الحروف والكلمات والعبارات؛ لأنّ الإنسان يأنس ويعرف تلك الحروف، وكلّها واقعة تحت اختياره.

لذا فأنّ البشر يمكنهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، ولكنّ الله سلب منهم تلك (العلوم) الّتي يحتاجونها في الإتيان بمثل عبارات القرآن وقوالب ألفاظه ومعانيه الخاصّة به.

ففي الواقع إن إعجاز القرآن هو حفظه من الخارج، بحيث لا يمكن أن يستتب الأمر لأحد في الإتيان بمثله.

ثمَّ إنَّ (الصّرفة) غير مختصة بالبشر، بل تشمل كلّ الموجودات، وأنّ الله قد سلب ومنع كلّ الموجودات الأخرى أن تأتي بمثل القرآن الكريم، أمثال الجن والإنس والملائكة و... لكي يكون القرآن معجزة لكافة الموجودات. لذلك فإنّ (الصّرفة) لا تختص بالإنسان، بل هي عامّة تشمل الجميع.

وقد أجيب عن هذه الشّبهة بأنّ عجز البشر لا يكفي لإثبات إعجاز القرآن؛ لأنّه من المحتمل أن يتمكن الأخرون الإتيان بمثل القرآن، كالجن، ومن هنا قيل أن الصّرفة لا تختص بالإنسان، بل هي عامّة وشاملة، وأنّ الله سبحانه قد سلب القدرة عن الكلّ، لكي يبقى القرآن بلا شبيه ينازعه.

---

١. الطّراز عن وجوه الإعجاز، ج٣، ص٣٩١.

٢. التّمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٤٠.

دراسة القول بالصّرفة

وصل القول بالصّرفة إلى أوجه في القرنين الرابع والخامس، ثمَّ بدأ بالأُفول شيئاً فشيئاً، وبدأ المخالفون يشكّكون في صحة القول بها. ولإثبات ذلك أوردوا عليها عدّة إشكالات.

وعلى الرّغم من أنّ المعتقدين بالصّرفة على علم بموارد الضّعف فيها، وأجابوا على بعض موارد الضّعف، لكن تلك الرّدود لا ترقى إلى مستوى إقناع المخالفين للصّرفة.

وسوف نشير إلى بعض تلك الإشكالات الّتي وردت على القائلين بالصّرفة:

١. نفي إعجاز القرآن: إذ لم يرجع إعجاز القرآن إلى الفصاحة والبلاغة والوجوه الإعجازية الأخرى، بل يرجع إلى (الصّرفة) ومَنْع الله سبحانه من أن ياتوا بمثله، لصارت المعجزة للصّرفة لا للقرآن، وأصبح القرآن غير معجز ولا خارق للعادة، ولا ربط له بالنص!! وصار القرآن كتاباً عاديّاً، بل أكثر ما نستطيع قوله أنّ القرآن يماثل الكتب القيّمة، بعبارة أخرى: إنّ له مثيل، لكنه أفضل الكتب وأرقاها.

بينما يَعتقد المُسلمون أنّ نص القرآن، هو المعجزة، كما جاء في آيات القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ...﴾[1] فهذه الآية تذكر أنّ القرآن له امتياز خاصّ، لا يمكن أن يتحداه أحد، وتعبير الآية (لا يأتون) ظاهرة في عدم تمكّن الإنسان والجن من ذلك، لا بمعنى أنّهم يمكنهم ذلك، ولكن الله سبحانه وتعالى صرفهم عنه ومنعهم من إنجازه.

ورغم تسليم المعتقدين بالصّرفة بالإشكال المذكور، لكنّهم يقولون: صحيح أنّ الإتيان بمثل القرآن قد سُلبَ من الناس، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، لكن في الواقع إنّ الصّرفة هي سبب ذلك الإعجاز.

٢. لغويّة التّحدي العام: عندما نتأمل في آيات التّحدي الواردة في القرآن الكريم، نصل إلى الحقيقة القائلة بعلوّ مرتبة القرآن من حيث الفصاحة والبلاغة، وجماليّة ألفاظ القرآن، بحيث إنّ الإتيان بمثله خارج عن طاقة الإنسان، وإذا لم يكن القرآن كذلك لصار التحدّي الّذي يشمل الجن والإنس لا قيمة له.[2]

---

١. الإسراء: الآية ٨٨

٢. بيان إعجاز القرآن، ص٢٣.

في حين أنّ الله سبحانه وتعالى قد بيّن أهمية القرآن ومرتبته من خلال التّعبير المذكور، حيث قال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[١]

ورغم خطور الإشكال المذكور في الذّهن، إلّا أنّه يمكن للقائلين بالصّرفة الردّ عليه، كما يلي: إنّ الآية المذكورة أهتمّت كثيراً ببيان عجز الإنس والجن، كي تصل إلى القول بأنّ هؤلاء لا يمكنهم أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن أين تكمن العلّة، الآية الشّريفة ساكتة عن ذلك ولم تصرح به، وربّما تكون علّة الإعجاز هي (الصّرفة).

٣. تحيّر فصحاء العرب في مواجهة القرآن: إذا أرجعنا معجزة القرآن إلى (الصرفة)، فلازم ذلك أن يكون فصحاء العرب في العصور الّتي تلت نزول القرآن، بمقدورهم أن يأتوا بمثل القرآن، لا أقلّ مثله في الفصاحة والبلاغة، في حين أننا نشاهد فطاحل العرب وفصحائهم وشعرائهم، عندما تقرع الآيات القرآنية أسماعهم يقفون متحيرين مبهوتين، أمثال (الوليد بن المغيرة)، (لبيد)، (كعب) (النابغة) و.. فقد طأطؤا الرّؤوس إجلالاً للقرآن الكريم وآياته، فسلّموا أنّه أعلى وأسمّى من الفصاحة والبلاغة المتداولة في عصرهم.

لذلك لم يَدَّعِ أحد منهم أنّه يمكنه الإتيان بمثل القرآن. بل لم يَدَّعِ أحد منهم أن كلامه يشبه كلام القرآن.[٢]

يقول أحد المعتقدين بالصّرفة رداً على الإشكال: ليس هناك ترديد في علوّ مرتبة القرآن في الفصاحة والبلاغة، وهو أمر لا شك فيه ولا ريب، لكن العلاقة بين الكلام الّذي هو في قمة الفصاحة كالقرآن، وكلام فصيح آخر أدنى مرتبة منه، ليست كالعلاقة بين المعجزة وغير المعجزة؛ لأنّ الكلام الّذي في قمة الفصاحة يمكن للعرب أن يأتوا بمثله، لكنه غير معجز، وهو في مقدور البشر.

ولكن يظهر أنّ هذا الجواب غير كاف؛ لأنّ ذلك الكلام الّذي في أوج الفصاحة والبلاغة، والّذي يشبه القرآن، إمّا أن يكون البشر عاجزون على أن يأتون بمثله، وليس بوسعهم ذلك أصلاً (لأنّه ليس من صنع البشر كي يكون مورداً للتعجب والإعجاز، ولا ارتباط

---

١. الإسراء: الآية ٨٨
٢. الذخيرة، ص٣٨٥.

له بالصّرفة). وإمّا أن يكون الإتيان بمثله مقدوراً، فإذا كان كذلك فسوف يترتب عليه أن يكون ذلك الكلام الّذي هو في قمة الفصاحة والبلاغة، مقدوراً للإنسان، ويمكنه أن يأتي بمثله؛ لأنّه في حدود استطاعته. غاية ما نستطيع قوله إنّ القرآن يكون ضمن أفضل الكتب وأنّ هناك أفراد متميزين يمكنهم أن يأتوا بمثله، ولازم ذلك أيضاً أن لا يكون نص القرآن معجزاً ولا خارقاً للعادة، وهذا ما لم يذهب إليه كبار فصحاء العرب، حيث قالوا: إنّ القرآن كلام فوق الكلام المعتاد وخارقٌ للعادة.

٤. ضرورت وجود شبيه للقرآن، قبل الصرفة: إذا أرجعنا إعجاز القرآن للقول بالصّرفة، فسوف يلزم من ذلك، أنّه بعد نزول القرآن والتّحدي ووجود الصّرف الإلهي، لم يَستطع العرب أن يأتوا بمثله وصاروا مقيّدين من قبل الله سبحانه، وهذا هو القول بالصّرفة بعد نزول القرآن، أمّا قبل نزوله فلا وجود للصّرفة، بعبارة أدق: هناك عبارات وكلمات مشابهة للقرآن قبل أن ينزل، وكان يمكنهم أن يعارضوا القرآن بها، مع أنّنا لم نجد في التأريخ أي شاهديدلّ على أنّ العرب قد عارَضَت القرآن بكلام وأشعار قبل وجود الصّرفة.[1]

ورغم أنّ الإشكال المذكور استهدف بداية الصّرفة، وقبل ذلك لم يكن هناك صرف، حيث قال المستشكل يمكن أن يكون هناك كتاب مشابه للقرآن في ذلك العصر الّذي سبق الصّرفة،ويمكن القول بأنّ ذلك الكتاب الشّبيه للقرآن لو ظهر باعتباره معارضاً للقرآن ومصداقاً للتّحدّي فإنّ حال الصّرفة سوف يشمله وأنّ الله سبحانه قد منع المعارضين من إظهاره أيضاً.

٥. عدم اعتراف العرب بسلب القدرة: الصّرفة إذا كانت من الله تعالى يترتب عليها أن يكون العرب قد سُلبوا القدرة على قول الشّعر الفصيح والخطب الفصيحة، وذلك عندما تحدّاهم القرآن، كما يجب أن يكون هذا السّلب قد استمر حتّى يومنا هذا، بحيث أثر في كلام العرب قبل الصّرفة وبعدها، خصوصاً الشّعراء والفصحاء منهم، في حين أننا لم نشاهد مثل هذا الاعتراف، وأنّ العرب أنفسهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن قبل التّحدي وبعده.[2]

---

١. شرح المواقف، ج٨، ص٢٤٩.
٢. شرح المواقف، ج٨، ص٢٤٩.

٦. حدود الصرفة: إذا كان إعجاز القرآن منحصر بالصّرفة، يلزم من ذلك عموميّة الصّرفة، بحيث تشمل كلّ العرب حتّى شخص الرّسول محمّدﷺ، فبناءً على ذلك تكون شخصية الرّسولﷺ فيها نقص وعيب، لأنّ قدرته على عمل معين قد سلبت، مع أنّ الله سبحانه لا يسلب القدرة من نبيّه في سبيل النبوّة والإعجاز، إلّا أنّ نقول إنّ الله سبحانه قد استثنى رسولهﷺ من سلب القدرة، وبهذا يلزم أن يكون شخص النبيّ له القدرة على الإتيان بمثل القرآن، فيبطل التّحدّي القرآني القائل بعدم إمكانية الإتيان بمثل هذا القرآن، ويصير القرآن بذلك كتاباً له مثيل.[1]

وفي الإجابة على هذا الإشكال، يمكن القول إنّ الصّرفة عندما تتحقق يكون الشّخص في مقام المعارضة، فيدفعه الله عن ذلك الفعل ويمنعه منه، أمّا شخص الرّسول محمّدﷺ فليس في مقام معارضة، لذلك لم تسلب منه القدرة، ولم ينقص من منزلته شيء، بل إنّ شخصيته النبويّة على حالها.

٧. الجبر وعدم ملائمة الصّرفة مع عظمة القرآن: إذا كانت الصّرفة صحيحة، يلزم من ذلك الجبر؛ لإنّ الله سبحانه أجبر المعارضين في عدم تمكنهم من الإتيان بمثل القرآن، فيلزم من الصّرفة القول بالجبر، وأنّ الّذين يريدون تحدي القرآن قد سلب منهم ذلك الاختيار وصاروا مجبورين على عدم الإتيان بمثله. في حين أنّ الإنسان لا يشعر بمثل ذلك الجبر، بل هو فعلاً عاجز وغير قادر على الإتيان بمثل القرآن، وليس أنّه قادر على الإتيان، ولكن حالت دونه قوة خارجيّة.

ومن جانب آخر فإنّ التّحدّي القرآني مبتني على الافتخار والاعتزار بالقرآن، وهذا الافتخار لا يتناسب والقول بالصّرفة والجبر في مقابل المخالفين.

نظريّة (الصّرفة) الّتي لها أشكال متعدّدة، اهتمّت بألفاظ القرآن الكريم، وحصرت ذلك في الفصاحة فقط، مع أنّ إعجاز القرآن غير منحصر بالفصاحة والبلاغة، بل إنّ هناك وجوه مهمّة كثيرة طرحت في إعجاز القرآن تدلّل على سعة الإعجاز القرآني.

فلو اهتم القائلون بالصّرفة بالجوانب الأخرى مثل المحتوى، عدم التّناقض، علو المعنى وسعته، الإخبار بالغيب و... لما صرّحوا بالاعتقاد بالصّرفة؛ لأنّ هذه الأمور الّتي ذكرناها ليست

---

١. النكت في إعجاز القرآن، ج٣، ص٣٩٥.

باختيار أحد، ولم نرَ أحداً قد جمع كل تلك الأمور حتّى نقول إنّه تحدى القرآن.

أضف إلى ذلك أنّ القرآن الكريم يعتني بالمحتوى أكثر، ويعرّف نفسه أنّه كتاب هداية، وهي إحدى معجزاته.

الإعجاز البياني

أحد أعظم معاجز القرآن الإعجاز البياني أو الفصاحة والبلاغة القرآنيّة، الّتي تعتبر أهم وجوه الإعجاز، وهي مطروحة منذ عصر النبيّ ﷺ (الذي يعتبر عصره قمة الفصاحة والبلاغة) حتّى العصر الحاضر، وأنّه معجزة كلّ عصر، وقد اتفق كلّ العلماء أنّ الإعجاز البياني هو أبرز وجه من وجوه الإعجاز القرآني.

نزل القرآن في زمان كان العرب فيه قد وصلوا القمة في الأدب العربي والخطابي، حتّى إنّ الأشعار الجاهلية بقيت الى الآن مورد احترام الأدباء.

والقرآن تجاوز الكلام الأدبي العربي في الفضل، بل إنّ أصحاب الفن كانوا يتعجبون منه، ويقولون إنّه أفضل كلام سَمِعَتْه العرب؛ لذا فإنّ الإعجاز البياني وبلاغة القرآن أمر قد أجمع عليه جميع علماء الإسلام في الماضي والحاضر، لذلك فقد حاول كلّ منهم إبراز الإعجاز البياني.[1]

وسوف نتناول في هذا القسم معنى (البلاغة) وأقسامها:

البلاغة

ابن فارس عرَّف البلاغة نهاية الوصول للمعنى وإكماله.[2]

ويقول (الرّماني): «البلاغة تعني وصول المعنى بأحسن القوالب للألفاظ»[3] أمّا (الخطابي) فقد كتب: «إنّ عمود هذه البلاغة، هو وضع كلّ لفظ في موضعه الخاص به، بحيث اذا أبدل مكانه غيره فإنّ المعنى سوف يتغير أيضاً، وربّما يؤدي إلى فساد الكلام، أو ذهاب رونقه وبالتالي سقوط البلاغة».[4]

---

١. مثل كتاب بديع القرآن لابن أبي الأصبع (م / ٦٥٦) الّذي يعتبر من أفضل الكتب الّتي تناولت إعجاز القرآن.

٢. معجم مقاييس اللغة، ج١ ص٢٠٢.

٣. إعجاز القرآن البياني، ص٣٧.

٤. إعجاز القرآن، ص٢٩.

وقال «الأمير العلوي الزّيدي» صاحب كتاب (الطراز عن وجوه إعجاز القرآن،[1] أنّ بلاغة القرآن تشتمل على وجوه الاستعارة أمثال التّشبيه، الفصل، الوصل، التّقديم، التّأخير، الإضمار والإظهار و... وقد عَنْونَ الإعجاز البياني بشكل مختصر بأشكال ثلاثة:

أ ـ الفصاحة في الألفاظ الّتي تحمل معنى معين خال من الالتواء والثقل، ألفاظ سهلة جاريّة على الألسن.

ب ـ البلاغة في المعنى الّتي تعرض المعنى في أفضل سياق، مثل: الأمثال، الخبر، القصّص، الأوامر، النّواهي، و.. وفيها خصوصية في علوّ المعنى.

ج ـ نظَم القرآن طبقاً لأفضل أنواع النّظم الموجود.

كما إنّ العلّامة الطّباطبائي[2] جعل الإعجاز البياني في ثلاثة أقسام:

١. معرفة اللغة، ومفرداتها.
٢. القدرة البيانية.
٣. قدرة التّفكير ولَطافَة الذّوق.

ومن أجل تبيين الإعجاز البياني للقرآن نرى أنّه من المفيد أن نبحث في الموارد التّالية:

التعابير الخاصّة بالقرآن

التّعابير القرآنية سواء كانت حروفاً أو كلمات، لها مكانة خاصّة وموزونة، بحيث لو أردنا ان نغيّر أحد هذه التّعابير بتعبير آخر، أو بتعبير مشابه، أو نحاول حذفه، اختلت فصاحة وبلاغة القرآن، حتّى إنّ أصحاب الرّأي يعتقدون إنّنا إذا حذفنا لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم، ثمّ تأملنا مليّاً في وضع كلمة مناسبة تساوي الكلمة المحذوفة، ما وجدنا بديلاً لها أبداً.[3]

أضف إلى ذلك إنّ الميزة الّتي امتاز بها القرآن لا تجدها في الكتب الأخرى، وهي إنّ كلّ كلمة، وكلّ عبارة في القرآن، قد أخذت موقعها الحقيقي هناك، بحيث إنّ أي تغيير أو تحريف في القرآن يؤدي إلى اختلال الفصاحة والبلاغة، لذلك تُعتبر ألفاظ القرآن من أفصح الألفاظ، خصوصاً أنّ القرآن إستَعمل الألفاظ في معاني جديدة، وإنّها وضعت في محلها بدقة

---

١. إعجاز القرآن، ص٢٩.
٢. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧١.
٣. الإعجاز البياني للقرآن، ص١٢٣.

لتوصيل المعنى للمخاطبين، بحيث لا يمكن أن نأتي بعبارات أو كلمات تعوّض لنا ذلك المعنى المراد توصيله.

بعض علماء البيان يعتقدون إنّ كلّ معنى له لفظ يتناسب معه، لا يقوم مقامه لفظ آخر في ايصال المعنى، لفظ يجذب الأسماع، وهذه الخصوصية تجدها في مرتبتها العليا في القرآن الكريم.[1] وهو عملٌ عجَزَ الإنسان عن الإتيان بمثله؛ لأنّه لا يمكن للأنسان الإحاطة بكافة الألفاظ بهذه الصّورة.

إنّ انتخاب الألفاظ والعبارات المناسبة من أجل تبيين المفاهيم المراد توصيلها للمقابل من الأهميّة بمكان، بحيث إذا انتُخِبَت بشكلٍ صحيح ووضعت في محلها، يكون الكلام ساحراً جذّاباً.

وقد اختيرت الألفاظ بعناية فائقة في القرآن، بحيث لو حرّكنا بعض الألفاظ عن مكانها لأختل نظم القرآن؛ لأنّ كلّ تعبير من تعابير القرآن قد وضع في محله المناسب، وتغييره عن مكانه المناسب له يؤدي إلى فساد المعنى أو ذهاب رونق الكلام وجاذبيته،[2] حتّى لو جئنا بكلمات مرادفة لتلك الكلمة في معناها، فسوف يختل كلام القرآن في فصاحته وبلاغته.

نفي المترادفات في القرآن

إذا استعملنا ألفاظاً متعددّة لمعنى واحد، نقول إنّ تلك الألفاظ (مترادفة): مثل، السّيف، الصّارم، الحسام،[3] و...

وقد اختلف العلماء في وجود المترادفات في القرآن، فالراغب الأصفهاني يعتقد بوجود مترادفات في القرآن.[4] وهناك مجموعة كبيرة من المحققين لا يعتقدون بوجودها في القرآن وينكرونها، من جملتهم (ابن فارس)[5] الّذي يعد من فقهاء اللغة و(أبو هلال العسكري) في كتابه (الفروق اللغوية).[6] وهؤلاء يعتقدون إنّ كلّ لفظ في القرآن جاء في مكانه الحقيقي ولا يمكن الاستعاضة عنه بلفظ آخر.

---

١. البرهان في علوم القرآن ج٢، ص٩٧ والتمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص٣٢.
٢. ثلاث رسائل إعجاز القرآن، ص١٢٩ وإعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، ص١٥٦.
٣. فرهنك معين، ج٣ ص ٣٨٠٠، التّمهيد في علوم القرآن، ج٥، ص٤٦.
٤. مفردات الراغب، مقدمة المؤلّف.
٥. معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٣ وص٣٩ (مقدمة النّاشر).
٦. معجم الفروق اللغوية، ص٣.

ويعتقدون إنّ الإعجاز البياني للقرآن، الّذي هو على شكل تعابير وألفاظ، قُدّر بشكل دقيق وموزون، بحيث لا يمكن أن تكون كلمة مرادفة لكلمة أخرى، فإذا وضعنا الكلمة المرادفة فسوف تختل الفصاحة والبلاغة في ذلك الجزء من القرآن، حتّى لو كانت تلك الكلمة قد استعملت في آية أخرى، لا يمكن أن نأتي بتلك الكلمة ونضعها مكان هذه الكلمة، وإليك أمثلة على ذلك من القرآن الكريم:

١. (أفتوني في حلمي ان كنتم للحلم تعبرون) لا يمكن أن تحل محل الآية الشريفة ﴿...أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾.[١]

٢. (لا تقصص حلمك على أخوتك) لا يمكن أن تحل محل ﴿...لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا...﴾.[٢]

٣. (انـي أبـصرت نـاراً) لا تحـل مكـان الآيـة ﴿...إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ...﴾.[٣]

٤. (يقسمون بالله إنّهم لمنكم) لا تحل مكان الآية: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.[٤]

٥. (يقسمون بالله ما قالوا) لا تحل مكان الآية:﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ...﴾.[٥]

٦. (لرأيته خاشعاً متحطماً) لا تحل مكان الآية: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا...﴾.[٦]

---

١. يوسف: الآية ٤٣.
٢. يوسف: الآية ٥.
٣. طه: الآية ١٠.
٤. التوبة: الآية ٥٦.
٥. التوبة: الآية ٧٤.
٦. الحشر: الآية ٢١.

٧. (لا يَصدَعَنكم سليمان) لا يمكن أن تحل مكان الآية: ﴿...يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.[1] و...

فعند التّدقيق والتّدبر في الآيات المذكورة، نشاهد إنّ الكلمات الموضوعة لا يمكن أن تكون بديلاً عن ألفاظ القرآن، فلا يمكن أن نضع كلمة (حلم) مكان (الرؤيا)، ولا (أبصرت) مكان (آنست)، (يقسمون) بدل (يحلفون)، (متحطماً) بدل (متصدعاً)، (لا يصدعنكم) بدل (لا يحطمنكم) و... لأنّ كلّ واحد من تلك الألفاظ له معنى خاصّ به، ورد في مكانه المناسب.

ولا يمكن أن يحل بدله لفظ آخر، سواء كان ذلك اللفظ استعمل في القرآن، أم لا، لأنّه غير مناسب.

اللغة العربية واسعة جداً، والتّرادف في اللغة لا يعني أنّ المعاني المترادفة واحدة، إلّا في بعض الكلمات الّتي يكون فيها المعنى قريب للآخر، والتي يمكن أن نطلق عليه معنى التّرادف.

لذلك لا يمكننا أن نعبّر عن الآية الشّريفة ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2] بالقول (ولكم في القتل حياة...) لأنّ التّعبير بالقتل غير كاف ولا واف للمعنى المقصود.

ولذا فإنّ عبارة: أكثروا القتل ليقل القتل. أو عبارت: القتل أنفى للقتل، الّتي كانت رائجة آنذاك، لا تعطي معنى ومفهوم كلمة (القصاص) الّتي جاءت بتعبير القرآن في الآية ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

وهكذا عبارت (تتلو) الّتي جاءت في الآية الشّريفة ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ...﴾[3] لا يمكن أن يحل محلها كلمة (تقرأ) . وكلمة (لا شك) مكان كلمة (لا ريب) في الآية الشّريفة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.[4]

---

١. النمل: الآية ١٨.
٢. البقرة: الآية ١٧٩.
٣. عنكبوت: الآية ٤٨.
٤. البقرة: الآية ٢.

ولو تكرّرت ألفاظ القرآن، أو استفيد من لغات وعبارات كثيرة، فإنّ هذا لا يخدش في فصاحة القرآن، ولا في بلاغته، ولا يقلّل من الإعجاز البياني له، لأنّ التّكرار والإستفادة من لغات القبائل الأخرى هو استعمال في محله ومورده، وهناك سرٌّ في كلّ تكرار أو استعمال لكلّ لغةٍ، بحيث لا تخرج عن الفصاحة والبلاغة.

وإليك بعض الأمثلة على التكرار في القرآن، فمثلاً آية ﴿...نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴾[1] (الانعام، ١٥١) وآية ﴿...نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾[2] والتي جاءت في سورة الأنعام عبارت ﴿...مِّنْ إِمْلَٰقٍ...﴾ هكذا جاءت ﴿...وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴾،[3] وجاءت في سورة الإسراء عبارت (خشية إملاق): ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾.[4]

الاستفادة من اللغات الأخرى في القرآن، مثل:

١. ﴿...قَوْمًا بُورًا﴾ بدل: (هلكاً) والّتي هي لغة عمان.[5]

٢. ﴿...وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً...﴾ بدل (مغيرة) في لغة هذيل.[6]

٣. ﴿...أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ...﴾ بدل كلمة (الكتاب) في لغة الرّوم.[7]

٤. ﴿كَبُرَ مَقْتًا...﴾ بدل (بغضاً) في لغة قريش.[8]

٥. ﴿...أَعْجَازُ نَخْلٍ...﴾ بدل كلمة (أجذاع) في لغة حمير.[9]

١.الأنعام: الآية ١٥١.
٢. الإسراء: الآية ٣١.
٣. الأنعام: الآية ١٥١.
٤. الإسراء: الاية ٣١.
٥. الفرقان: الآية ١٨.
٦. الحجّ: الآية ٥.
٧. الكهف: الآية ٩.
٨ الصّف: الآية ٣.
٩. الحاقة: الآية ٧.

عذوبة الألفاظ وسلاسة العبارات

ومن الموارد الأخرى المثيرة للدهشة في الإعجاز البياني للقرآن، علاوة على الاستفادة من الألفاظ المناسبة، هي «سلاسة الألفاظ»، وهذا الأمر ينطبق على جميع الألفاظ، رغم أنّ القرآن أستفاد من لغات قبائل أخرى فيها لغات متعدّدة، لكنك تراها تجري بسهولة على الألسن، وكذلك الحال بالنّسبة إلى النّحو والصّرف والإعراب تراه في غاية السّلاسة.[1]

إنّ الألفاظ والتّعابير القرآنيّة الّتي تتميّز بخاصية الإعجاز، يجب أن يكون لها خصوصية، حتّى الألفاظ الّتي يعتقد إنّها ثقيلة على السّمع، عندما تأتي في محلّها المناسب في القرآن، تكون جميلة ومناسبة، ولها ذلك القدر من الإعجاز البياني، وإليك الأمثلة التالية:

١. كلمة (لَيَستَخلِفَنّكم) في الآية الشّريفة ﴿...لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.[2] الّتي تتكون من عشرة أحرف.

٢. كلمة (فَسَيَكْفيكَهُمَ) في الآية الشريفة ﴿...فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ...﴾[3] والّتي تتكون من تسعة أحرف.

إنّ الألفاظ المستخدمة في القرآن بالنّسبة إلى اشتقاقها لم تكن ثقيلة؛ لأنّ اللفظ (الخماسي) الّذي يتكون من خمسة أحرف أصلية لم يستعمل في القرآن؛ لأنّه يفتقد إلى عنصر العذوبة والسّلاسة، إلّا ما كانت الأسماء شائعة مثل: إبراهيم أو اسماعيل وطالوت، وجالوت، ونحوها ...[4]

وهناك كلمات مفردها ليس عذباً ولا سلساً مثل (الكوب) استعمَلها القرآن بلفظ الجمع؛ لأنّه أرقّ في النطق، فجاء بها بلفظ الجمع، وقد وردت لفظ أكواب أربع مرات في القرآن الكريم، كالآية: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ...﴾.[5] وكذلك لفظ (أرجاء) الّتي جاءت في القرآن جمعاً وذلك في الآية الشّريفة ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا...﴾ و...[6]

---

١. التمهيد في علوم القرآن ج٥ ص١٥٠.
٢. النّور: الآية ٥٥.
٣. البقرة: الآية ١٣٧.
٤. التّمهيد في علوم القرآن، ج٥، ص١٥٣.
٥. الواقعة: الآيتان ١٧ ـ ١٨.
٦. الحاقة: الآية ١٧.

بعض الألفاظ لها اشتقاقات يكون بعضها سلساً وبعضها صعباً ثقيلاً، مثل كلمة (ابلعي) و(ابتلعي) حيث جاءت في القرآن ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ...﴾[1] ولم يقل (ابتلعي ماءك)، لأنّ كلمة (ابلعي) أكثر سلاسة من الثانية، أمّا الابتلاع بمعنى البلع بمشقة، فلم يستعملها القرآن بل استعمل (الإبلاع) الّذي تكمن فيه القدرة الإلهية.

وهناك ألفاظ غريبة جداً إذا جاءت بمفردها إلّا أنّها استخدمت في القرآن بمنتهى السّلاسة مثل كلمة ضيزى في قوله تعالى ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾[2] ومع ذلك فإنّ حُسنها في نظم الكلام هنا من أغرب الحسن وأعجبه».[3]

الأسلوب والنّظم الجديد للقرآن

جاءَ القرآن بأسلوب جديد، فهو لا يشبه النّثر ولا يشبه الشّعر، بل له أسلوب خاصّ به خارق للعادة، وهذا الأسلوب يحوي محاسن النثر والشّعر، ورغم أنَّ القرآن كلام الله سبحانه، لكنّه يتناغم مع كلام البشر إلّا أنّه كلام حيّر العقول وجذب القلوب.

فالتّعابير القرآنيّة من سنخ الحروف والكلمات البشريّة، الّتي أثارت أعجاب الآخرين؛ لأنّه ليس له سابقة، ولم يستطع السّامعون له أن يأتوا بما يشابهه. قال (الوليد)، الشّاعر والمتضلع في اللغة العربي العربية:

> فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا رجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الّذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله الّذي يقول هذا حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو وما يُعلى.[4]

ثمَّ إنّ التّعابير القرآنيّة ليست بشعر ولا نثر ولا سجع، لكنه يتضمن مزايا الشّعر والنّثر، في قالب جديد وتعابير جديدة لها امتيازات خاصّة .

المتخصّصون في علم البلاغة قسّموا الكلام الفصيح إلى ثلاثة أقسام وكلّ قسم منها له أثر في فصاحة الكلام يليق به، وهي عبارة عن:

---

١. هود: الآية ٤٤.
٢. النّجم: الآية ٢٢.
٣. التّمهيد في علوم القرآن، ج٥، ص١٥٣.
٤. مستدرك الحاكم، ج٢ ص٥٠٧.

١. الإيجاز: بيان حقّ المعنى في إلفاظ قصيرة ومختصرة، لكنّها تفي بالمعنى.

٢. الإطناب: بيان المعنى بألفاظ طويلة من أجل لمصلحة خاصّة.

٣. المساواة: بيان المعنى بألفاظ متساوية مع المعنى.

وقد استخدم القرآن أساليب خاصّة كالاستعارات، التّشبيهات، الكنايات و... في محله المناسب، بحيث أعطى جمالية و رونقاً خاصاً، ومن هذه الأساليب:

١. الشّروع بواو القسم، مثل: والضحى، والفجر، والنجم، والعاديات و....

٢. فعل القسم بعد النفي، مثل: لا أقسم بيوم القيامة، لا أقسم بالنفس اللوامة، لا أقسم بهذا البلد، فلا أقسم برب المشارق والمغارب...

يقول الرّماني (المتوفي عام ٣٨٦هـ):

القرآن نَقَضَ العادة الموجودة عند العرب، وجاء بكلام ليس له قالب الشّعر ولا السّجع ولا الخطب ولا الرّسائل و... لأنّ القرآن أظهَرَ طريقة جديدة فيها ما يشبه الشّعر في وزنه.[1]

ومن الخصوصيات الأخرى للأسلوب، والنظم الجديدة للقرآن، هي استفادته من الوجوه والنظائر، كما في بعض الألفاظ الّتي انحرفت عن معناها الأصلي واستعملت في معنى آخر، فصارت جميلة إلى درجة أنّها صارت معجزة في هذا المجال.

ويتوسّع (التفليسي) (المتوفى ٥٥٨هـ) وآخرون في توضيح هذا الموضوع، حيث ذكروا له مئات النماذج.[2]

إنّ تعابير القرآن وأسلوبه ونظمه، لها أبعاد كثيرة أخرى مثل: انسجام الحروف والمعاني، تناسب الآيات، التّشبيهات، الاستعارات، الكنايات و...، الّتي سوف نتناولها فيما بعد كلٌّ على حدّة.

إنسجام حروف ومعاني القرآن

من خصائص القرآن في الفصاحة والبلاغة هو التّنسيق والإنسجام بين الحروف والمعاني، وإنّ اللحن المنتظم للحروف جعل القرآن يؤثر في كلّ من يستمع إليه، فاذا كان القرآن يتحدّث عن كرامة الإنسان و رفع شأنه تراه يستعمل عبارات رقيقة، وإذا تحدّث عن آيات

---

١. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص١٠٢.

٢. وجوه القرآن، ص٣ ـ ٢٨٠.

العذاب تراه يستعمل الألفاظ الغليظة الشّديدة.

فعندما نسمع هذه الآية الشّريفة، ندرك العذاب الإلهي من خلال سماعها: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ * تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ * فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.[1]

فالألفاظ المذكورة متناسبة مع معنى العذاب الّذي ذكره القرآن، فكلّ من يتدبر في الآيات المذكورة، يدرك من خلالها العذاب وشدّته وغلظته.

وكذلك في الآيات التّالية:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ * وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ * ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ * وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ * تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾.[2] (الصاخة) بمعنى صيحة يوم القيامة، وسمّيت بالصّاخة، لأنّها تصك سمع الإنسان.

ومن الألفاظ الأخرى (الطامّة) في الآية الشّريفة:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾.[3]

هذه الآية تبيّن شدّة العذاب، وقد أختير اللفظ المناسب لها، حيث إنّ ظاهر اللفظ يشير إلى ذلك، وكذلك حروفها لم تكن من حروف (اللين) بل من حروف (الشدّة).

تناسب الآيات ورعاية الفواصل

كلّ مجموعة من آيات القرآن نازلة في مراحل متفاوتة مكانية وزمانية، لها ارتباط بحادثة خاصّة، إلّا أنّ مجموع الآيات ترتبط مع بعضها وترنو إلى هدف واحد.

فعندما ندقّق في آيات القرآن الكريم، يمكن ملاحظة التّنسيق والتّرابط بين الآيات.

كما يمكن أنّ نلاحظ ذلك التّرابط والتّناسق بين الآيات القرآنيّة من خلال التّدقيق فيها،

---

١. القمر: الآيات ١٩ ـ ٢١.
٢. عبس: الآيات ٣٣ ـ ٤٢.
٣. النازعات: الآية ٣٤.

حتى لو كانت العلاقة بين الآيتين علاقة تضاد، ويوجد في كل سورة وحدة موضوعية يمكن أن تميّزها عن السّور الأخرى، ولكلّ سورة بداية ونهاية جذّابة.[١]

ومن عجائب القرآن أيضاً التناسب بين الفواصل، فإنّ معرفة بداية الكلام والتّعرف على فواصل الآيات يحتاج إلى تدبر؛ لأنّه لا يعتمد على الوقف في نهاية الآية، وفي الواقع إنّ مداخل الكلام ومخارجه من شؤون المفسّر.

تسمّى الفاصلة بين الكلام مقاطع الآيات، وهي تختلف عن السّجع الّذي ينتهي بكلمات غير مأنوسة في استعمالها، ويختلف عن القافية أيضاً؛ لأنّ القافية هي الحرف الأخير من البيت الشّعري.

يقول ابن أبي الأصبع، وهو من الأدباء المشهورين المعروفين، إنّ مقاطع الآيات لها أربعة أشكال[٢]:

١. التّمكين: بمعنى أنّ المتكلم يأتي بمقدّمات ينتهي عندها الكلام، ويكون المعنى تاماً، ويكون مأنوساً غير شاذ، كالآية: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.[٣]

تتحدّث الآية الشّريفة عن الرّسالة، حيث أعدّت الأرضية للتحدّث عن الإبلاغ.

٢. التّصدير: بمعنى: ختم الكلام بعبارات وردت في صدر الآية، وتسمّى أيضاً «ردّ العجز على الصّدر» مثل الآية الشّريفة ﴿...وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾،[٤] حيث إنّ صدر الآية وذيلها افتتح واختتم بـ(هب، وهاب).

٣. التّوشيح: بمعنى أنّ بداية الكلام يبدأ بمعنى وينتهي بمعنى مثل الآية الشّريفة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾،[٥] فمعنى الإصطفاء والاختيار وقع على أفراد هم صنف من العالمين ـ الّذين انتهت بها الآية.

٤. الايغال: بمعنى أنّ المتكلم يريد أن يكمل كلامه قبل الوصول إلى نهايته.

مثل الآية الشّريفة:

---

١. الميزان في تفسير القرآن، الطّباطبائي، ج١ ص١٦.
٢. بديع القرآن، ص١٠٠.
٣. يس: الآيتان ١٦ ـ ١٧.
٤. آل عمران: الآية ٨
٥. آل عمران: الآية ٣٣.

﴿أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[١]

حيث إنّ عبارة (فما ربحت تجارتهم) قد أنهت الموضوع، ولكن جاءت عبارت ﴿...وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ إضافية، لأنّ المعنى قد انتهى عند العبارات الأولى.

أمّا بالنّسبة إلى فواصل القرآن، فإنّ هناك إجماع على أنّ وجودها من لوازم الفصاحة والبلاغة، وهي موجودة بكثرة.

ومن جملة مصاديقها (السّجع) الّذي هو نفسه (مقاطع الكلام) والمبتني على التّوقف في الفواصل القريبة، حيث يتضمن الكلام قافية ونظم خاصّ، في حين هناك من ينكر السّجع في القرآن.[٢]

والحقيقة إنّ السّجع موجود في القرآن وعليه شواهد كثيرة.

أقسام الفواصل

القرآن الكريم راعى الفواصل بأحسن وجه يمكن تصوّره. وأنّ فواصل القرآن من أبلغ الفواصل، والّتي يمكن إجمالها فيما يلي[٣]:

١. الكلام المتوازي: ما توافقت فيه فاصلتان أو أكثر في الوزن وفي حروف السّجع معاً، كقوله تعالى ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾.[٤]

٢. الكلام المطرّف: ما توافقتا في حروف السّجع لا الوزن، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.[٥]

٣. الكلام المتوازن: وهو ماكان فيه التوافق في الوزن والحروف دون السّجع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾.[٦]

---

١. البقرة: الآية ١٦.
٢. التّمهيد في علوم القرآن، ج٥ ص٢٧٤.
٣. البرهان في علوم القرآن، ج١ ص٧٥. التّمهيد في علوم القرآن، ج٥، ص٢٧٩.
٤. الغاشية: الآيات ١٣ ـ ١٥.
٥. نوح: الآيتان ١٣، ١٤.
٦. المعارج: الآيتان ٦، ٧.

٤. الكلام المرصّع: ما توافقتا وزناً وفي حروف السّجع، مع توافق الكلمات نظماً وتأليفاً مثل ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.[1]

٥. الكلام المتماثل: ما توافقتا في الوزن والسّجع والتوازن والتّأليف، وعدد الكلمات جميعاً، مثل ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.[2]

٦. الكلام المتقارب: ما توافقتا سجعاً بالحروف المتقاربة في جميع الأقسام الخمسة المذكورة (الوزن، السّجع، التّوازن، التّأليف، عدد الكلمات) كالآية: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.[3]

فواتح السور

فواتح السّور القرآنيّة، جميلة وجذّابة، وهي بحدّ ذاتها اتّخذت أشكالاً متنوعة نستوحي من كلّ واحدة، منها بلاغة خاصّة، نشير إلى بعض منها:

ألف) الافتتاح بالحروف المقطعة في السّور التّالية:

١. البقرة ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٢. آل عمران ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

٣. الأعراف ﴿الٓمٓصٓ * كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ...﴾.

٤. يونس ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٥. هود ﴿الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ...﴾.

٦. يوسف ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٧. الرعد ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ...﴾.

٨. إبراهيم ﴿الٓر كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ...﴾.

---

١. الغاشية: الآيتان ٢٥، ٢٦.

٢. التكوير، الآيتان ١٧، ١٨.

٣. ق: الآيتان ١، ٢.

٩. الحجر ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾.

١٠. مريم ﴿كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾.

١١. طه ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾.

١٢. الشّعراء ﴿طسٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

١٣. النّمل ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ ...﴾.

١٤. القصّص ﴿طسٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

١٥. العنكبوت ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن ...﴾.

١٦. الرّوم ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾.

١٧. لقمان ﴿الٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

١٨. السّجدة ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ...﴾.

١٩. يس ﴿يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

٢٠. ص ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾.

٢١. غافر ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

٢٢. فصلت ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٢٣. الشّورى ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ...﴾.

٢٤. الزخرف ﴿حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

٢٥. الدّخان ﴿حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

٢٦. الجاثية ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ...﴾.

٢٧. الأحقاف ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

٢٨. ق ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾.

٢٩. القلم ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

في ٢٤ مورد من الموارد المذكورة، جاء ذكر كتاب الله وعظمته بعد الحروف المقطعة، وفي خمس موارد أخرى ورد ذكر الله وعظمته وقدرته.

ب) افتتاح بعض السّور بالحمد والثناء الإلهي، مثل:

١. الفاتحة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٢. الانعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٣. الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ...﴾.

٤. سبأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

٥. فاطر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾.

ج) افتتاح بعض السور القرآنية بالتّسبيح والتّنزيه لله سبحانه، مثل:

١. الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ...﴾.

٢. الفرقان ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ...﴾.

٣. الحديد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٤. الحشر ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

٥. الصف ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

٦. الجمعة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

٧. التّغابن ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

٨. الملك ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ...﴾.

٩. الأعلى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

د) افتتاح بعض السّور بخطاب عموم المكلفين أو عموم المؤمنين، أو خطاب للرّسول ﷺ مع حرف النداء أو عبارت (قُل) كالموارد التّالية:

١. النّساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ...﴾.

٢. الحجّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ...﴾.

٣. المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾.

٤. الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾.

٥. الممتحنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾.

٦. الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ...﴾.

٧. الطّلاق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ...﴾.

٨. التّحريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ...﴾.

٩. المزمل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

١٠. المدّثر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

١١. الجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ...﴾.

١٢. الكافرون ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

١٣. الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

١٤. الفلق ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾.

١٥. النّاس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

هـ) افتتاح السور بالقسم

١. يس: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٢. الصّافات ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾.

٣. الزّخرف ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٤. الدّخان ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٥. ق ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾.

٦. الذّاريات ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾.

٧. الطّور ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾.

٨ النّجم ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

٩. القلم ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

١٠. القيامة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

١١. المرسلات ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾.

١٢. النّازعات ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾.

١٣. البروج ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾.

١٤. الفجر ﴿وَٱلۡفَجۡرِ * وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾.

١٥. البلد ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.

١٦. الشّمس ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾.

١٧. الليل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾.

١٨. الضحى ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

١٩. التّين ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾

٢٠. العاديات ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾.

٢١. العصر ﴿وَٱلۡعَصۡرِ * إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾.

و) افتتاح بعض السّور بالإستفهام والسؤال:

١. الإنسان ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ...﴾.

٢. النّبأ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾.

٣. الغاشية ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾.

٤. الإنشراح ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾.

٥. الفيل ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾.

٦. الماعون ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾.

ز) افتتاح بعض السّور بعبارات شرطية

١. الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾.

٢. المنافقون ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ...﴾.

٣. التّكوير ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾.

٤. الإنفطار ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾.

٥. الإنشقاق ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾.

٦. الزّلزال ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾.

٧. النّصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾.

ج) افتتاح بعض السّور بالتّهديد والوعيد

١. التّوبة ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ...﴾.

٢. النّحل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ...﴾.

٣. الأنبياء ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ...﴾.

٤. محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

٥. القمر ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾.

٦. الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.

٧. المعارج ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾.

٨. الإنسان ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

٩. النّبأ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

١٠. عبس ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

١١. التّكوير ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

١٢. الإنفطار ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾.

١٣. المطفّفين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

١٤. الإنشقاق ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾.

١٥. البيّنة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾.

١٦. الزّلزال ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

١٧. التّكاثر ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

١٨. الهمزة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

١٩. المَسَدَ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

تشبيهات القرآن

التّشبيه، إثبات حكم من (المشبه به) (للمشبه)، وبيان أعقد المطالب في أوضح العبارات[١] بوجود أداة (الكاف)، (كأن) و(مثل) كما في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾،[٢] و﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾،[٣] و﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ

١. الإتقان في علوم القرآن، ج٣ ص١٤٢، بديع القرآن، ص١٥٦.
٢. الفيل: الآية ٥.
٣. الرحمن: الآية ٥٨.

ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.[١]

والتّشبيه قسمان، فمرّة يكون وارداً على جهة (الإنشاء) كما في ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾،[٢] وأخرى يكون وارداً على جهة (الإخبار) مثل ﴿...فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ...﴾.[٣] إلّا أن كلّيهما متساويان في بيان المقصود، وأنّ المقصود في كليهما ـ كيفما كان ـ هو واحدٌ.

والغرض العامّ في كل التّشبيهات بلحاظ الأداة ـ أداة التّشبيه ـ إمّا رفع شأن ومقام المُشبّه، أو تقبيح وتقليل شأنه.[٤] المهم أنّ أهل البيان اعترفوا[٥] ان تشبيهات القرآن تحوي أجمل محاسن البديع، كما في الآية: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[٦] حيث شبّه الليل باللباس؛ لأنّ اللباس يلبسه الإنسان فكذلك الليل. والآية ﴿...وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا...﴾[٧] حيث شبّه الشّيخوخة بالنّار الّتي يأخذ لهبها كلّ المكان، فكذلك العجز والكبر هنا.

وفي هذا القسم سوف نتناول مجموعة من التّشبيهات الواردة في القرآن، كي تظهر بلاغة وفصاحة الإعجاز البياني للقرآن.

١. ترسيم وتشبيه المعاني الذهنيّة والصور الحسيّة، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.[٨]

هذه الآية تبيّن عدم فلاح الكفار وعدم دخولهم الجنّة، فقد شبّه ذلك الأمر بشيء حسي، وهو عبور البعير من ثقب أبرة الخياطة، وبما إنّ هذا الأمر محال، كذلك دخول الكافر إلى الجنّة، محال أيضاً.

---

١. البقرة: الآية ١٧.
٢. الرحمن: الآية ٥٨.
٣. الأعراف: الآية ١٧٦.
٤. التمهيد في علوم القرآن، ج٥ ص٥٨٠.
٥. نفس المصدر ص٥٨٤.
٦. النبأ: الآية ١٠.
٧. مريم: الآية ٤.
٨ الأعراف: الآية ٤٠.

٢. بيان حالات النفس وتشبيهها بالحيوانات، كالآية:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...﴾.[1]

الآية المذكورة تبيّن حال الإنسان الّذي هيأ الله له سبل الهداية، ولكنّه صد وأعرض عنها، وحاله حال الكلب الّذي إن حملت عليه يلهث وإن تركته يلهث.

إنّ مصداق هذا المثال كما ورد في بعض التّفاسير[2] هو (بلعم بن باعور)، حيث شُبّه بالكلب الّذي لا أمل في هدايته، وقيل إنّه كان عالماً مؤمناً، لكنّه شذّ وضل عن الطريق، فوسوس له الشّيطان، فصارت عاقبته كما عبّرت عنه الآية القرآنيّة.

٣. تشبيه الإنسان ضعيف العقيدة بالإنسان المهزوم الضعيف، كما في الآية

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[3] الآية الشّريفة تُبيّن الحالة النّفاقيّة عند بعض الإنهزاميين من العرب، حتّى إنّه كان يُغمى عليهم من الخوف نتيجة ضعفهم وجبنهم، أمّا تعبير القرآن ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾

فالمقصود به المنافقون. والآية تبيّن موقفهم عند الحرب، حيث يضطربون من مجرد ذكر إسمها، ويستوحشون من الجهاد، ويرتجفون خوفاً كأنّما تخرج أرواحهم من أبدانهم، وهذا أقوى تعبير وتشبيه لحال المنافقين الجبناء.[4]

٤. تشبيه أعمال الإنسان الكافر بالرماد في يوم عاصف، كالآية:

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا

---

١. الأعراف: الآيتان ١٧٥، ١٧٦.

٢. مجمع البيان، ج٤، ص٣٩٤، ذيل الآية ١٧٥ من سورة الأعراف.

٣. محمد: الآية ٢٠.

٤. مجمع البيان، ج٩، ص١٦٨.

يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.[1]

بَيّنتَ الآية المذكورة حال أعمال الكفار وسلوكهم وشبهّتهُ بالرّماد الّذي تناثر في يوم عاصف، لا يستطيع أحد أن يجمعه، وهكذا الكفار لا يجدون جزاء الأعمال الّتي قاموا بها؛ لانها تذهب سدى، وهذا هو الضلال.

كذلك الآية الشّريفة الثّانية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.[2]

تُبيِّن حال بعض الأفراد المؤمنين الّذين ينفقون أموالهم، وتنصحهم ألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى.

فإنّ الّذين يبطلون صدقاتهم بالمنّ والأذى، وينفقون أموالهم رياء وسمعة، حالهم حال الّذي ينثر البذور على أرض صلبة عليها طبقة خفيفة من التّراب، فإذا مطرت السّماء انكشفت بذورها، وأخذها الماء، وذهبت هدراً.

الاستعارات في القرآن

عرّفوا (الاستعارة) بأنها: «استعارة من شيء معروف إلى شيء لم يعرف به، وإثبات متعلقات الشيء الثّاني للأوّل بهدف المبالغة».[3]

والإستعارة تشبيه ولكن لا يصرّح به، فيُذْكَر فيها أحد أطراف التّشبيه ويراد به الطّرف الآخر مدّعياً دخول (المشبه) في جنس (المشبه به) عن طريق الدلالة على ذلك بإثباته الخصائص (للمشبه به).[4]

والاستعارة من أنواع المجاز، وهو المجاز العقلي وليس المجاز في الكلمة، والعلاقة

---

١. إبراهيم: الآية ١٨.
٢. البقرة: الآية ٢٦٤.
٣. بديع القرآن، ابن أبي الأصبع، ص١٢٣.
٤. مفتاح العلوم السّكاكي، ص١٧٤.

بينهما هي التّشابه، يقول السّيوطي حول أهميّة الاستعارة:

رغم أنّ أشرف أنواع البلاغة وأعلاها هو التّشبيه، لكن علماء البيان مجمعين على أنّ الاستعارة أبلغ؛ لأنّ الاستعارة مجاز، ولكن التّشبيه حقيقة، والمجاز دائماً يكون أبلغ.[١]

استخدم القرآن الكريم الاستعارات بشكل واسع، والّذي يُبيِّن الإعجاز البياني للقرآن، هو استخدام الاستعارات .

وإليك بعض النّماذج منها:

الاستعارة المجردة والمرشّحة

الاستعارة المجردة، كالآية الشريفة ﴿...فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.[٢]

فقد استعير اللباس في هذه الآية؛ لكي يكون مُناسباً لحالة الذل والهوان الموافق لحال (المستعار له)، أمّا إذا كان اللباس متناسباً مع (المستعار منه) لصارت الآية (كساها الله لباس...).

أمّا (المرشّحة) فهي الّتي تقترن بما يلائم (المستعار منه)، وإنّ المتكلم يأخذ بعين الاعتبار جانب «المستعار منه» كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.[٣]

فقد روعي في هذه الآية، جانب المستعار منه وهو (الشّراء)، لذا فإنّ ألفاظ (الربح والتّجارة) قد أختارها القائل للمناسبة بين الشّراء مع الربح والتّجارة.

الاستعارة التّخييليّة

يعني إثبات خصائص (المشبه به) (للمشبه)، مثل:

﴿...ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾، ففي هذه الآية، اللفظ المستعار هو (الاستواء)، المستعار منه (كلّ جسمٍ مستوٍ)، المستعار له (ذات الحقّ)، والهدف من الاستعارة المذكورة

---

١. معترك الأقران، السّيوطي، ج١ ص٢٨٤.
٢. النحل: الآية ١١٢.
٣. البقرة: الآية ١٦.

هو: أن يتخيّل السّامع عند سماعه العبارة المستعارة، ملكاً له نفوذ واسع يجلس على العرش بشكل مهيب تدلّ على عظمته وهيبته، في حين أنّه لا يوجد عرش محسوس لله سبحانه.

ويمكن أن ندرج آيات قرآنية أخرى حول الإستعارة التّخييليّة، من جملتها الآية القائلة:

﴿...بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ...﴾،[1] الآية المذكورة ترتبط بالكلام الواهي الّذي أطلقه اليهود على الباري سبحانه، حيث قالوا «إنّ يد الله مغلولة»، مع أنّ الله سبحانه قال: ﴿...بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ...﴾. في هذه الآية، المستعار هو (البسط)، المستعار منه (الأيادي المبسوطة) والمستعار له هو (يد الحقّ)، والمقصود من يد الحقّ هو قدرة الله سبحانه وهذا التّعبير الأخير لأولئك الذين إذا سمعوا بالتّعبير المذكور تصوّروا إنّ الله سبحانه أيدي تشبه أيادي البشر، مع أنّ الله ليس له يدان.

الاستعارة الوفاقيّة والعناديّة

في الاستعارة الوفاقيّة يمكن اجتماع الطّرفين، مثل استعارة الموت بضدّه، كما في الآية الشّريفة القائلة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا...﴾.[2]

في الآية المذكورة، مجموعة من الأفراد كانوا ضالّين تائهين ثمّ آمنوا، فشبّههم القرآن بالموتى الذين أحياهم الله سبحانه بإذنه، كذلك نفهم من الآية الشّريفة إنّ الموت والحياة كلاهما قد استُعيرا في هذه الآية.

أمّا (الاستعارة العناديّة)، فلا يمكن فيها اجتماع طرَفَي الاستعارة، كما في الآية الشّريفة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[3]

أُشير في الآية المذكورة إلى اليهود والنّصارى، فقد وعدهم الله سبحانه بالعذاب الأليم؛ لأنّهم لم يسلموا لله، ولكن هذا الوعيد جاء بتعبير (البشارة) أي فبشّرهم بعذابٍ أليم، ونحن

---

١. المائدة: الآية ٦٤.

٢. الأنعام: الآية ١٢٢.

٣. آل عمران: الآية ٢١.

نعلم إنّ البشارة كثيراً ما تُستعَمل للأخبار السّارّة، وإستعمالها في مورد العذاب، فيه جانب من التّهديد والإستهزاء.

وإنّ القرآن قد استعمل الإستعارات بكثرة، وهو دليل على فصاحة وبلاغة القرآن. وأشرنا إلى بعض النماذج سابقاً، وجاء تفصيلها في علم المعاني والبديع، وقد وردت مفصّلاً في كتاب بديع القرآن للأصبعي.[1]

وكلما تدبّر علماء أهل البيان في آيات القرآن، كلّما وقفوا على مزيد من الإعجاز البياني لهذا الكتاب.

الكنايات في القرآن

الكناية هي: «عدم تصريح القائل بما يريد، ولكن يتوسل بالملازمات في كلامه في سبيل الوصول إلى المطلب، وفيه نوع من الخفاء والسّتر».

وإنّ المتكلم يبيّن مطلبه بغير الألفاظ الّتي وضعت، فمثلاً يُبيِّن الأمور القبيحة بألفاظ حسنة، أو الألفاظ غير اللائقة بألفاظ لائقة.[2]

ودلالة الكناية لفظية، عكس دلالة التّعريض العقليّة، وهي أخفى من الكناية.

ويمكن تبيين أهداف الكناية كما يلي:

١. الإلتفات إلى قدرة الله سبحانه، مثل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ...﴾[3] فهذه الآية كناية عن النّفس الواحدة الّتي تشير إلى آدمعليه السلام، والّتي تبين قدرة الله سبحانه.

٢. إخفاء الموضوع الّذي لو ظهر لكان غير لائق في المقام، مثل كلمة (المراودة) الّتي كنّى بها سبحانه عن المعاشرة الجنسيّة، حيث قال في الآية: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ...﴾.[4]

٣. المبالغة، كالآية: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ في الآية المذكورة، كناية عن الّذي يتربى في الزينة حاله حال البنات.

---

١. بديع القرآن، ابن أبي الأصبع، ص١٢٥.
٢. نفس المصدر، ص١٥٢.
٣. الأعراف: الآية ١٨٩.
٤. يوسف: الآية ٣٣.

٤. الإختصار: كالتعبير بـ(فعل)، كناية عن عبارات وألفاظ متعددة ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ...﴾،[1] حيث قصد بتعبيره هذا: إذا لم تأتوا بسورة مثل القرآن.

٥. الإطلاع على عاقبة الأمر، مثل:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.[2] حيث نوهّت الآية بعاقبة أبي لهب في جهنم من خلال الكناية في الآية واختصارها.

والإعجاز البياني للقرآن يمكن التّعبير عنه من خلال ما أشرنا إليه سابقاً باختصار، وإنّه المعجزة الخالدة لكلّ المتحدثين والعلماء وأصحاب الفن.

ولقد عرضنا بهذه العجالة، تعابير القرآن، أسلوبه ونظمه المبتكر، سلاسة الألفاظ والعبارات، وتناسب المعاني والحروف، وتناسب الآيات ورعاية الفواصل، والتّشبيهات، والاستعارات، والكنايات في القرآن، ومن أراد الإطلاع أكثر، فعليه مراجعة كتب الإعجاز البياني للقرآن، الّتي كتبت منذ عهد بعيد.

إنّ علم البيان، تناول بالبحث والتّحقيق كلّ واحد من الموارد التالية، بالنّسبة لوقوعه في القرآن أم عدم وقوعه، وللإطلاع حول هذا الموضوع ننصح بمراجعة كتاب بديع القرآن لإبن أبي الأصبع، والموارد هي:

الجناس، الطباق، الالتفات، الاستطراد، حسن التّضمين، المساواة، الإشارة، التّمثيل، التّوشيح، الاحتراس، المواراة، التّسهيم، الاستخدام، المماثلة، التّسجيع، التّكرار، التّهذيب، التذييل، المجاز أو الحقيقة، الإدماج، التّوسع، الإيجاز، التّدبيج و...

إعجاز الإخبار عن المغَيبات

أحد وجوه الإعجاز للقرآن الكريم، إخباره عن المغيبات، ونقصد بالغيب، الأمور المخفيّة والمستورة، والّتي لا يمكن الإطلاع عليها من خلال ما نملك من وسائل. كما لا يمكن كشفها عن طريق الفكر والحسابات الماديّة.

وقد ذكر القرآن في موارد متعددة أخباراً غيبيّة بعضها مرتبط بالحوادث الماضيّة،

١. البقرة: الآية ٢٤.

٢. المسد: الآية ١.

وبعضها مرتبط بزمان نزول القرآن، وبيان حال الأفراد، والبعض الآخر يخبر عن المستقبل، وسوف نشير إلى كلّ واحد منها:

أ ـ الإخبار عن الماضي: مثل الإخبار عن تأريخ الماضين وعاقبتهم، مثل قوم سبأ، يوسف، عاد، ثمود، نوح، وبقية الحوادث الّتي حدثت في الماضي. فقد ذكر سبحانه في سورة هود عاقبة نوح، حيث عبّر عنها في آخر السّورة بأنّها أمور غيبيّة:

﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ... * تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ...﴾.[1]

الآيات المذكورة، جاءت في أواخر سورة هود، حيث عبّرت عن عاقبة نوح، وإنّها عِبْرَةٌ للآخرين، وقد أشارت أواخر الآيات إلى أنّ ذلك من أنباء الغيب، ولم يطلّع عليه أحد.

ب ـ الإخبار عن الحاضر: الإخبار عن وضعية زمان الرّسولﷺ، وكذلك الإخبار عن بواطن بعض الأفراد وسرائرهم، وأغلب تلك الأخبار مرتبطة بما يحيكه الأعداء من خدع وحيل، كالآية الشريفة: ﴿...وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.[2]

فالآية تشير إلى أحد الدّسائس اليهوديّة، فقد قرّروا أن يسلموا على الرّسولﷺ عندما يدخلون عليه خلاف التّحية المعهودة، فكانوا يقولون (السّام عليك) أي الموت لك، فَأطْلَعَ الله رسوله على ذلك، وفضح تلك المؤامرة.

وكذلك جاء في الإخبار عن المغيبات في زمان الرّسولﷺ في الآية الشّريفة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾.[3]

تشير الآية إلى مجموعة من المنافقين قاموا ببناء مسجد في المدينة للوصول إلى أهدافهم

---

١. هود: الآيتان ٤٨، ٤٩.
٢. المجادلة: الآية ٨
٣. التّوبة: الآية ١٠٧.

الباطلة وغير المشروعة، والّذي سُمّي فيما بعد بمسجد (ضرار)، فقد أشارت الآية إلى أنّ الله سبحانه قد أخبر نبيّهﷺ بهذا الأمر، فما كان من الرّسولﷺ إلّا أن أمر بإحراق المسجد، وهكذا سقطت أقنعة النّفاق ببركة الإطلاع على الغيب.

ج ـ الإخبار عن المستقبل: أخبر القرآن عن حوادث سوف تقع في المستقبل، بعضها قريب الوقوع والآخر بعيد، مثلاً:

١. الإخبار عن عدم إمكانية الإتيان بمثل القرآن، والتي جاءت في آيات التّحدي حيث قال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]

٢. خبر غلبة الرّوم في الآية: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2] بعد بعثة النبيّ الأكرمﷺ بسبع سنين، أي: في سنة ٦١٧ ميلادي، تصاعدت الحرب بين الفرس والرّوم ووصلت إلى أوجها، فقد انتصر فيها الفرس وفتحت سوريا وفلسطين ومصر، كما هددت القسطنطينية بالفتح. وأنّ هرقل (هراكليوس) امبراطور الرّوم عزم على الفرار نتيجة لتلك الظروف الصعبة، ولكنّ القرآن أخبر عن انتصار الروم بعد ذلك الإنكسار في مدّة تقدر بين ٣. ٩ سنين، حيث أعلن بشكل قاطع إنّ ذلك الانتصار سوف يحدث في أقل من عشر سنين، وفعلاً انتصر الرّوم في سنة ٦٣٦ ميلادي، وانكسر جيش فارس بقيادة شاهين.

وذكر المرحوم الطّبرسي في ذيل تفسير الآية الآنفة الذكر: «وهذه من الآيات الدّالة على أنّ القرآن من عند الله عزّوجلّ؛ لأنّ فيه أنباء ما سيكون، وما يعلم ذلك إلّا الله عزّ وجل».[3]

إنّ الأخبار الغيبيّة كثيرة في القرآن الكريم، سواء ما كان مرتبطاً بالماضي، أو الحال أو المستقبل، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

---

١. الإسراء: الآية ٨٨

٢. الروم: الآيات ٢ ـ ٤.

٣. مجمع البيان، ذيل آية ٣ من سورة الرّوم.

الأنفال٨، الحجر٩٥، الصّف٩، القمر٤٥، المسد٢، التّوبة٣٢، المدثر١٢، العلق٩، الحجر٩، يونس٣٧، المائدة ٦٧، غافر٥١، الفتح١، الأنبياء١٨، الفتح٢٧، القصّص٨٥، النّصر١، النّور٥٥، القصّص٥، الأنبياء١٠٥، التّوبة١٠١، آل عمران١٤٤.

إنّ إخبار القرآن بالمغيبات يعتبر من المعاجز؛ لأنّه أخبر عن واقعة يعجز البشر أن يدلي برأيه فيها، وبالأخص الأخبار الّتي ذكرناها آنفاً، والّتي كانت صادقة ولم تتخلف عن الوقوع.

سلامة النص

من جملة وجوه الإعجاز للقرآن، صيانة نصه عن أي اختلاف. وهذه المعجزة تتجلّى حينما نعلم إنّ القرآن قد نزل في مدة ٢٣ سنة، في شرائط متفاوتة، وبشكل تدريجي، فلم تجر عليه أي اصلاحات بعد نزوله، متضمناً لمطالب متنوعة وموضوعات متعدّدة كالتأريخ، الحقوق، الاعتقادات، الأحكام، و...، رغم تلك الأمور العظيمة المتكثرة فإنّك لا تجد فيه اختلافاً ولا تناقض في متنه خلال مدة نزوله الطويلة.

ومن جهة أخرى، نجد أنّ بعض المطالب قد تكرّرت في مناسبات مختلفة، وفي كلّ تكرار تجد هناك مسائل جديدة، مع حفظ الإنسجام في الآيات المكرّرة.

وقد عبّر القرآن عن وجه الإعجاز هذا بالقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.[١]

الآية الشّريفة تبيّن إنّ القرآن إذا كان من عند غير الله وكان صادراً من البشر، لوجدنا فيه التّناقض وعدم الإنسجام الشّيء الكثير، بالأخص إذا كانت ظروفه كظروف نزول القرآن المتغيرة خلال سنوات نزوله.

فالقرآن كلام إلهي، يستقي تعاليمه من السّماء، لا تجد فيه أدنى اختلاف، بل إنّ كلماته وعباراته ومحتواه ترتبط بعضها مع البعض الآخر بشكل منطقي وموزون.

والتأريخ يشهد أنّ كلام الإنسان يتغير مع مرورالزّمان وتقادم الأيام ومقتضياتها، حتّى الكتب الجيدة في وقتها، تحتاج إلى إعادة تنظيم وإضافة بعض المطالب وحذف أخرى، وإنّ هناك من كتب أفضل، وأجمل، وأكمل، وأكثر إنسجاماً منها.

---

١. النساء: الآية ٨٢

لذا فكلّ كتاب، حتّى في رأي المؤلّف الّذي كتبه، يحتاج إلى رفع نواقصه، وإضافة بعض المعلومات، وهكذا.

لكنّنا لا نجد مثل هذا الأمر في القرآن، بل على العكس كلّما تقادمت عليه السنون والقرون تكتشف أمور جديدة لم تكن معروفة من قبل.

وإنّ سلامة القرآن من التّناقض تدلّ على أنّ هذا الكتاب هو من عند خالق الإنسان، المحيط به العارف بأحواله، فإذا تكلم عن طبيعة الإنسان وخلقته، أو تكوينه أو الشّرايع اللائقة به، تراه يبيّن الأمور الواقعيّة الّتي يعترف بها العقلاء، والخالية من كلّ اضطراب وتزلزل.

معجزة المعارف

المحتوى والمعارف العالية من أهمّ وجوه الإعجاز للقرآن، حيث تحدى القرآن بها الآخرين، وهي رمز خلوده، علومٌ ومعارفٌ لا يمكن أن توجد في كتابٍ غير القرآن، حتّى في الكتب المقدّسة السّابقة لا يمكن أن تداني القرآن في معارفها.

ومن أجل أن نبيّن الإعجاز القرآني، سوف نشير أوّلاً إلى سعة وتنوع المعارف القرآنيّة، ثمّ نتعرّض إلى اتقانها.

تنوّع المعارف القرآنيّة وسعتها

القرآن، كتاب هداية يشتمل على برنامج متكامل للإنسان، ومن أجل أن يبيّن طرق الهداية أشار إلى موضوعات متعدّدة ومطالب متنوعة، مثل التّوحيد، النّبوّة، العدل، الإمامة، الرّوح، الجن، الملك وإبليس، الفلكيات، الإرض، التّأريخ، الأخلاق، الحقوق ونظام التّقنين الأُسري، السّياسة، القضاء والقدر، العبادات، المعاملات، الواجبات، المستحبات، الحدود والقصاص، المعاد، البرزخ، القيامة و... لذا فإنّ القرآن هو مرجع كلّ عالم في مجال تخصّصه.

ورغم أنّه ليس كتاباً خاصاً مثل كتب التّأريخ، الاخلاق، السّياسة و... إلّا أنّه مرشداً ودليلاً لكافة العلوم، لا يدانيه كتاب في بيان المطالب؛ لأنّ مطالبه واسعة ومواضيعه متنوعة مع الإيجاز والاختصار، وليس هذا إلّا إعجاز إلهي.

اتقان المعاني

من الخصوصيّات الأخرى الّتي جعلت القرآن معجزة، إتقان معانيه، فلو تناول موضوعات

مختلفة ومتنوعة، ثمّ تكلّم عن كلّ واحد منها بشكل واسع، لأعطى كلّ موضوع حقّه، بلا خلل ولا نقص، بل أكثر من ذلك تجد كلّ عالم في مجال تخصّصه يصرّح باتقان وكمال ما جاء به القرآن، ثمّ إنّ هذه المسائل لا تفقد قيمتها بمرور الوقت، بل تُكتَشَف مطالب جديدة وقيّمة، وتُضاف مسائل جديدة.

وممّا يزيد اتقان المعاني وسلامتها تطابقها مع الفطرة السّليمة، والعقل، لذلك قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[1]

إنّ اتقان المعاني القرآنيّة وثباتها وإحكامها إلى جانب سعتها، جعل القرآن يرتقي القمة في الإعجاز. وهذه المطالب العميقة والعرفانيّة لا يمكن أن نجدها في كتاب آخر، فإذا تناول القرآن مطالب تخص العرفان، التّوحيد، والمعاد و... تجد له القدح المعلى قياساً بالكتب الأخرى، حتّى لو كان ذلك الكتاب هو التّوراة والإنجيل.[2]

وإليك بعض النماذج الدالّة على كلامنا أعلاه.

١. في منطق القرآن، إنّ مبدأ الإنسان من الله، ورجوعه إليه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾،[3] تشير هذه الآية إلى مسألة واقعيّة تقول: إنّ مبدأ وجودنا من الله والدّنيا ليست خالدة، بل إنّ عاقبة الحياة هي العودة إلى الله سبحانه.

٢. طبقاً لما جاء في الرّؤية القرآنيّة، الله سبحانه يراقب أعمالنا، وأنّه موجود في كلّ مفاصل حياتنا، وأنّه أقرب إلينا من حبل الوريد ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.[4]

قيل: إنّ شدّة البعد تلزم الخفاء، وكذلك شدّة القرب توجب الخفاء أيضاً، وقد جاء هذا المطلب في الدّعاء «يا من هو اختفى لفرط نوره».

---

١. الرّوم: الآية ٣٠.
٢. الكتاب المقدّس: The Holy Bible.
٣. البقرة: الآية ١٥٦.
٤. ق: الآية ١٦.

٣. قيمة الإنسان بما يحمله من تقوى، هذا ما صرَّح به القرآن، حيث قال تعالى: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ...﴾.[١] تشير الآية إلى أنّ قيمة الإنسان ليست بالثروة ولا بالمقام.

٤. يصرّح القرآن بعدم إمكانيّة رؤية الله سبحانه بالعين المجردة، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ...﴾.[٢]

فالعقل يقرّ بأنّ الله سبحانه لا يمكن رؤيته بالعين المجردة؛ لأنّ العين ترى الأجسام فقط، فلو إستطعنا رؤية الله سبحانه بأعيننا الظاهريّة لصار له مكان محدّد، ومادة، في حين أنّ الله سبحانه: ﴿...وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾.[٣]

٦. لا يخفى على الله شيء: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾،[٤] فقد أشارت الآية إلى علم وقدرة الله اللامتناهيّة، وأنّه سبحانه حاضر في كلّ مكان.

٧. يصرّح القرآن بإنّ الموت مكتوب على كلّ إنسان، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾.[٥] فالآية تشير إلى أنَّ مصير الإنسان هو الموت وهناك يلقى مصيره من ثواب أو عذاب.

٨ يقول القرآن في أعمال الإنسان، أنّ كلاً ما يقدّمه من عمل في سبيل الله فهو باق، وكلّ وما تعمله بدافع هوى النّفس زائل، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ...﴾.[٦]

٩. العلاقة والارتباط بين الله سبحانه والإنسان، الله سبحانه خالق الإنسان ومصدر أطمئنانه وسكون نفسه، قال تعالى ﴿...أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.[٧]

١٠. عبادة الله هي الأصل في القرآن، فكلّ عمل يمكن أن يكون مقدّساً ومصداقاً لوجه

---

١. الحجرات: الآية ١٣.
٢. الأنعام: الآية ١٠٣.
٣. الإسراء: الآية ٤٤.
٤. آل عمران: الآية ٥.
٥. آل عمران: الآية ١٨٥.
٦. النحل: الآية ٩٦.
٧. الرّعد: الآية ٢٨.

الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.[١]

والقرآن ليس فقط لا يقيّد حياة الإنسان اليوميّة، بل ويرفده باللّذات المعنويّة أيضاً، ويرشده إلى السّعادة والكمال النهائي، ويُحيي قلبه ويعتبر الدّنيا وسيلة لبلوغ الهدف الأسمى الّذي هو القرب الإلهي.

أمّا نظام التّشريع في القرآن فهو يتناسب مع شأن ومنزلة الإنسان، وتصبّ دوماً باتجاه سعادة الإنسان وكماله.

الإعجاز الصّوتي

القرآن له موسيقى خاصّة، إلى جانب ما فيه من تنوّع وسمو في المباحث الواسعة، وهذه الموسيقى لها جاذبية خاصّة، الّتي تكمن في الكلمات والعبارات، بحيث إنّ كلّ إنسان ينجذب إليه عند سماعه، وإنّ القرآن هو الكتاب الوحيد الّذي لا يملّ عند تكرار القراءة لمرات عديدة،[٢] وهو الأنشودة الوحيدة الّتي لا تُبلى بمرور الأزمنة.

ولحنه الخاصّ لا تجده في أيّ نثر.

وبعد إختراع المذياع (الرّاديو) أصبح من الممكن استلام الإذاعات عبر الهواء، لم نجد هناك ما يداني القرآن في جاذبيّته ولحنه، حتّى أنّ بعض الدّول غير الإسلاميّة تبث القرآن من خلال برامجها.

عندما يستمع الإنسان إلى القرآن، يُدرك تماماً كم إنّ الله سبحانه عرض هذا الكتاب بصورة واضحة وجذابة[٣] بحيث عند سماعنا لألحان التّلاوة لا نشعر بالملل والكلل؛ لأنّها من النوع (الدّوري)، وليس من النّوع (الخطي)، ففي النّوع الأوّل (الدّوري) تجد فيها معنويّة وهدوء خاصّ، خلافاً للنوع (الخطي) الّذي يعمل على التّهييج الكاذب.

كان المشركون والكفار في صدر الإسلام، يعرضون عن حضور مجالس قراءة القرآن واستماعه، كي لا يقعوا تحت تأثيره السّاحر، فينجذبوا إليه؛ لأنّ سماع القرآن يهب الإنسان نشاطاً ويترك خشوعاً في قلبه، لايحصل عند سماع قراءة أي كلام آخر لا نثراً ولا شعراً ولا خطبة.[٤]

---

١. الإنسان: الآية ٥.
٢. إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، ص٢١٤.
٣. النبأ العظيم، ص١٠١.
٤. اعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ص١٨٨.

وموسيقى القرآن وجاذبيته العجيبة، هي الّتي جعلت الوليد بن المغيرة يقول في القرآن: إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه.[١]

وقد اعتبر بعضهم، مثل السّكاكي الإعجاز الصّوتي ولحن كلماته من أهمّ معاجز القرآن، الّتي يمكن إدراكها، ولا يمكن توصيفها.[٢]

وهذه الجاذبية هي الّتي جعلت البعض في صدر الإسلام يصف القرآن بأنّه نوع من السّحر؛ لأنّ استماع القرآن جعل البعض يعتنق الإسلام.

لهذا روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله «لكلّ شيء حلية، وحلية القرآن، الصّوت الحسن»،[٣] وكذلك جاء في رواية أخرى «حسنّوا القرآن بأصواتكم، فإنّ الصّوت الحسن يزيد القرآن حسناً».[٤]

وعلى أساس هذه الرّواية، فإنّ القرآن يتمتع بحالة من الترجيع فاذا أُدّيَ حقّه، يكون له تأثير ساحر، الأمر الّذي لا تراه في حديث آخر حتّى لو تلي ذلك الكلام بشكل حسن.[٥]

وجاء في رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ أقرأوا القرآن بالتّرجيع؛ لأنّ القرآن فيه حزن خاصّ: «إنّ القرآن نزل بالحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإنّ لم تبكوا، فتباكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا».[٦]

الإعجاز العدّدي

إنّ التناسب، التّساوي، والتّنسيق في أعداد الكلمات والموضوعات المتشابهة والمختلفة في القرآن أمر يثيرّ الدّهشة والإعجاب.

ولا يستطيع أي إنسان أن يأتي بمثل هذا الكتاب من حيث المعنى والمحتوى السّامي، والتّناسب في رعاية ميزان الكلمات والألفاظ.

فالإنسان عاجز عن تنظيم مثل هذا الكتاب، أو أن يأتي بمثل هذا التّناسب العجيب، الّذي

---

١. مستدرك الحاكم، ج٢ ص٥٠.
٢. مفتاح العلوم، ص٢٢١.
٣. الكافي، ج٢ ص٦١٢.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر، ج٢، ص٦١٦.
٦. بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٩١.

نزل خلال (٢٣) عاماً، ضمن شرائط مختلفة فكلّ مجموعة من الآيات نزلت في حوادث خاصّة، أضف إلى ذلك إنّه لم يخضع إلى إصلاح في نصه بعد نزوله.

وسوف نشير فيما يلي إلى تناسب ألفاظ القرآن بعضها مع البعض الآخر، من خلال بعض النماذج[١]:

١. لفظة (دنيا) وكلمة (آخرة) جاءت كلّ منهما بشكل مساوٍ في القرآن أي (١١٥) مرّة، في حين أنّ لفظ (الدّنيا) وردت مرّة واحدة من دون إضافتها للآخرة، وكذلك لفظ (الآخرة) جاءت من دون لفظ الدّنيا، كما إنّ هناك آيات ورد فيها اللفظان معاً.

٢. لفظ (بصر) جاءت مع مشتقاتها (١٤٨) مرّة في القرآن، وهي مساوية في عدّدها للفظ (القلب) و(الفؤاد) ومشتقاتها.

٣. لفظ (البخل) جاءت (١٢) مرّة في القرآن، وهي مساوية للفظ (الحسرة) و(الطمع) و(الجحود).

٤. لفظ (النّاس) ومشتقاتها ومرادفاتها، جاءت (٣٦٨) مرّة في القرآن، وهي مساوية في عدّدها إلى كلمة (الرّسول) ومشتقاتها.

٥. لفظ (الآيات) جاءت (٣٨٢) مرّة، وهي تساوي مجموع كلمة (النّاس) الّتي وردت(٢٤١) مرّة، والملائكة (٦٨) مرّة و(العالمين) (٧٣) مرّة.

٦. لفظ (الإيمان) ومشتقاتها (٨١١) مرّة استعملها القرآن وهي معادلة لاستعمال كلمة (العلم) مع مشتقاتها (٧٨٢) مرّة بالإضافة إلى مرادفات العلم مثل: (المعرفة) (٢٩) مرّة.

٧. لفظ (الإنفاق) مع مشتقاتها استعملت (٧٣) مرّة في القرآن، وهي مساوية للفظة (الرّضا) ومشتقاتها.

٨ لفظ (ألباب) أي العقول جاءت (١٦) مرّة، وهي مساوية للفظ (الأفئدة).

٩. لفظ (الهدى) جاءت (٧٩) مرّة وهي مساوية للفظ (الرّحمة).

١٠. لفظ (جزاء وأجر) جاءت (١١٧) مرّة، وهي نصف ما جاء في القرآن من لفظ (المغفرة) الّتي جاءت (٢٣٤) مرّة.

١١. كلمة (الجحيم) جاءت (٢٦) مرّة مساوية لكلمة (العقاب).

---

١. الإعجاز العدّدي للقرآن الكريم، ج١، ص٢ ـ ٣.

١٢. لفظ (البر) ومشتقاته جاءت (٢٠) مرّة مقابل لفظ (الثواب) ومشتقاته.
١٣. لفظ (الحساب) ورد (٢٩) مرّة، مقابل لفظ (العدل) و(القسط).
١٤. لفظ (الحياة) ومشتقاتها وردت في الإنسان (١٤٥) مرّة مقابل لفظ (الموت) ومشتقاتها.
١٥. كلمة (الحرث) وردت (١٤) مرّة، مساوية لمفردة (الزّرع) والفاكهة (الفاكهة).
١٦. مفردة (الحرب) ومشتقاتها وردت (٦) مرات، مساوية لكلمة (الأسرى).
١٧. لفظ (الخيانة) وردت (١٦) مرّة، متساوية مع لفظ (الخبث).
١٨. كلمة (الدّين) مع مشتقاتها وردت (٩٢) مرّة، وهي تساوي لفظ (المساجد) ومشتقاتها.
١٩. لفظ (الرّسل) (٣٦٨) مرّة، (النّبي) (٧٥) مرّة، (البشير) (١٨) مرّة، (النّذير) ٧٥ مرّة، فمجموع الأرقام المذكورة هو (٥١٨) مرّة تساوي عدّد أسماء الأنبياء الّتي وردت في القرآن.
٢٠. لفظ (الرّحيم) الّذي هو من اسماءالله الحسنى ورد (١١٤) مرّة، يساوي عدد أسماء سورالقرآن، وضعفي لفظ الرّحمن علماً أنّ الرّحيم، اسم عام وصفة خاصّة، على خلاف (الرّحمن) الّذي هو اسم خاصّ وصفة عامة.
٢١. مفردة (السّلام) ومشتقاته، (٥٠) مرّة وردت مساوية لكلمة (الطيّبات).
٢٢. لفظ (الشّهر) جاء (١٢) مرّة بقدر عدّد الشّهور الّتي هي (١٢) شهراً.
٢٣. لفظ (الصّالحات) مع مشتقاته، (١٦٧) مرّة جاءت مساوية للفظ (السّيئات) ومشتقاتها.
٢٤. لفظ (الصّلاة) جاءت (٦٧) مرّة مساوية للألفاظ (النّجاة والملائكة والقرآن).
٢٥. لفظ (الطّهر) مع مشتقّاتها، وردت (٣١) مرّة مساوية لكلمة (الإخلاص) ومشتقاتها.
٢٦. لفظ (العقل) ومشتقاته، (٤٩) مرة وردت في القرآن مساوية لفظ (النّور).
٢٧. لفظ (الأبرار) وردت (٦) مرّات مساوية للفظ (الفجّار).
٢٨. لفظ (قالوا) (٣٣٢) مرّة مساوة لكلمة (قُلْ).
٢٩. لفظ (اللسان) جاءت (٢٥) مرّة مساوية لكلمة (الموعظة).
٣٠. لفظ (المصيبة) مع كلّ مشتقّاتها جاءت (٧٥) مرّة مساوية لكلمة (الشّكر).
٣١. كلمة (المحبة) مع مشتقّاتها ٨٣ مرة جاءت مساوية للفظ (الطّاعة).
٣٢. كلمة (المصير) ٢٨ مرة ذكرت مساوية للفظ (الأبد) أي دائماً.

٣٣. لفظ (المسلمين) جاءت ٤١ مرة مساوية لكلمة(الجهاد).

٣٤. مفردة (سبع) أي العدد سبعة الّذي يشير الى عدد السماوات، بين الله سبحانه هذه الحقيقة سبع مرات في القرآن، وكذلك خلق السماوات والأرضين ذكرها سبع مرات.

سورة الفاتحة آياتها سبع آيات، وعدد كلمات الشّهادتين سبعة ايضاً.

٣٥. لفظ (يوم وأيّام) ومشتقّاتها جاءت ٣٠ مرة مساوية لأيام الشّهر.

نكتفي بهذا المقدار من الإعجاز العددي لألفاظ القرآن، رغم وجود الكثير من هذه النماذج في القرآن.

إنّ انسجام الكلمات والالفاظ بشكل مساوي، أو من مضاعفات العدد، أو ... يعتبر من معاجز القرآن، كما أننا لو راجعنا الحروف في السّور القرآنيّة نجدها منسجمة ومتناسبه مع بعضها البعض، بالأخص في السّور الّتي تبدأ بالحروف المقطعة، فمن المعروف ان هناك تناسباً وانسجاماً خاصاً بين الحروف المقطعة للسور وبين حروف السّورة نفسها.

الجدول الزّوجي والفردي للقرآن

من جملة الإعجاز العددي للقرآن، الإعجاز المبتني على الزوجيّة والفرديّة في القرآن.[1]

والّتي يمكن أن يتجلى في عدد سور القرآن فإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار عدد السّور في القرآن لوجدناها (١١٤) سورة، نصفها زوجي والآخر فردي.

وإنّ (٦٠) سورة من القرآن عدد آياتها ينتهي بعدد زوجي، بينما (٥٤) سورة عدد آياتها ينتهي بعدد فردي.

فتركيب الجدول الزّوجي يتكون من (٣٠) سورة بآيات زوجية و(٢٧) سورة بآيات فرديّة.

ويتشكّل الجدول الزّوجي من (٣٠) سورة آياتها زوجيّة و(٢٧) سورة آياتها فرديّة، وإليك هذا الجدول:

أـ الجدول الزّوجي للقرآن: يتشكّل الجدول الزّوجي من (٣٠) سورة من سور القرآن، تعداد آياتها زوجي و(٢٧) سورة تعداد آياتها فردي؛ لأنّ جمع آيات السّور مع رقم السّورة يشكّل الجدول الزّوجي:

---

١. بينات (اعجاز رياضي زوج وفرد در قرآن كريم) السّنة الثّالثة، العدد ١، ربيع ١٣٧٥.

التّسلسل	اسم السّورة	آيات السّورة الزّوجيّة	رقم السّورة	جمع الآيات مع رقم السّورة
١	البقرة	٢٨٦	٢	٢٨٨
٢	النّساء	١٧٦	٤	١٨٠
٣	إبراهيم	٥٢	١٤	٦٦
٤	النّحل	١٢٨	١٦	١٢٤
٥	الكهف	١١٠	١٨	١٢٨
٦	الحج	٧٨	٢٢	١٠٠
٧	النّور	٦٤	٢٤	٨٨
٨	القصّص	٨٨	٢٨	١١٦
٩	الرّوم	٦٠	٣٠	٩٠
١٠	السّجدة	٣٠	٣٢	٦٢
١١	سبأ	٥٤	٣٤	٨٨
١٢	ص	٨٨	٣٨	١٢٦
١٣	الواقعة	٩٦	٥٦	١٥٢
١٤	المجادلة	٢٢	٥٨	٨٠



١٥	التّغابن	١٨	٦٤	٨٢
١٦	التّحريم	١٢	٦٦	٧٨
١٧	القلم	٥٢	٦٨	١٢٠
١٨	المعارج	٤٤	٧٠	١١٤
١٩	الجن	٢٨	٧٢	١٠٠
٢٠	المدّثر	٥٦	٧٤	١٣٠
٢١	النّبأ	٤٠	٧٨	١١٨
٢٢	عبس	٤٢	٨٠	١٢٢
٢٣	الغاشية	٢٦	٨٨	١١٤
٢٤	البلد	٢٠	٩٠	١١٠
٢٥	الإنشراح	٨	٩٤	١٠٢
٢٦	البيّنة	٨	٩٨	١٠٦
٢٧	التّكاثر	٨	١٠٢	١١٠
٢٨	قريش	٤	١٠٦	١١٠
٢٩	الإخلاص	٤	١١٢	١١٦
٣٠	النّاس	٦	١١٤	١٢٠

التّسلسل	اسم السّورة	آيات السّورة الزّوجية	رقم السّورة	جمع الآيات مع رقم السّورة
١	الفاتحة	٧	١	٨
٢	التّوبة	١٢٩	٩	١٣٨
٣	هود	١٢٣	١١	١٣٤
٤	الرّعد	٤٣	١٣	٥٦
٥	الحجر	٩٩	١٥	١١٤
٦	الإسراء	١١١	١٧	١٢٨
٧	الفرقان	٧٧	٢٥	١٠٢
٨	النّمل	٩٣	٢٧	١٢٠
٩	العنكبوت	٦٩	٢٩	٩٨
١٠	الأحزاب	٧٣	٣٣	١٠٦
١١	فاطر	٤٥	٣٥	٨٠
١٢	الزّمر	٧٥	٣٩	١١٤
١٣	الزّخرف	٨٩	٤٣	١٣٢

١٤	الجاثية	٣٧	٤٥	٨٢
١٥	الحديد	٢٩	٥٧	٨٦
١٦	المنافقون	١١	٦٣	٧٤
١٧	التّكوير	٢٩	٧١	١١٠
١٨	الأعلى	١٩	٨٧	١٠٦
١٩	الشّمس	١٥	٩١	١٠٦
٢٠	الضحى	١١	٩٣	١٠٤
٢١	القدر	٥	٩٧	١٠٢
٢٢	القارعة	١١	١٠١	١١٢
٢٣	العصر	٣	١٠٣	١٠٦
٢٤	الفيل	٥	١٠٥	١١٠
٢٥	الماعون	٧	١٠٧	١١٤
٢٦	المسد	٥	١١١	١١٦
٢٧	الفلق	٥	١١٣	١١٨

الملاحظة المهمّة على الجدول الزوجي للقرآن هي إنّ حاصل جمع كلّ الجدول الزّوجي للقرآن هو (٦٢٣٦)، وهو ما يساوي عدّد آيات القرآن.

ب ـ الجدول الفردي للقرآن: «الجدول الفردي للقرآن»: يتكون من (٣٠) سورة من

السّور الّتي تعداد آياتها زوجي و(٢٧) سورة من السّور الّتي تعداد آياتها فردي لأنّ جمع آيات السّور مع رقم السّورة، يتشكّل منه الجدول الفردي للقرآن كما يلي:

التّسلسل	اسم السّورة	آيات السّورة الزّوجيّة	رقم السّورة	جمع آيات مع رقم السّورة
١	آل عمران	٢٠٠	٣	٢٠٣
٢	المائدة	١٢٠	٥	١٢٥
٣	الأعراف	٢٠٦	٧	٢١٣
٤	مريم	٩٨	١٩	١١٧
٥	الأنبياء	١١٢	٣١	١٣٣
٦	المؤمنون	١١٨	٢٣	١٤١
٧	لقمان	٣٤	٣١	٦٥
٨	الصّافات	١٨٢	٣٧	٢١٩
٩	فصلت	٥٤	٤١	٩٥
١٠	محمّد	٣٨	٤٧	٨٥
١١	الحجرات	١٨	٤٩	٦٧
١٢	الذّاريات	٦٠	٥١	١١١
١٣	النّجم	٦٢	٥٣	١١٥

١٤	الرّحمن	٧٨	٥٥	١٣٣
١٥	الحشر	٢٤	٥٩	٨٣
١٦	الصّف	١٤	٦١	٧٥
١٧	الطّلاق	١٢	٦٥	٧٧
١٨	الملك	٣٠	٦٧	٩٧
١٩	الحاقة	٥٢	٦٩	١٢١
٢٠	نوح	٢٨	٧١	٩٩
٢١	المزمل	٢٠	٧٣	٩٣
٢٢	القيامة	٤٠	٧٥	١١٥
٢٣	المرسلات	٥٠	٧٧	١٢٧
٢٤	النّازعات	٤٦	٧٩	١٢٥
٢٥	المطففين	٣٦	٨٣	١١٩
٢٦	البرّوج	٢٢	٨٥	١٠٧
٢٧	الفجر	٣٠	٨٩	١١٩
٢٨	التّين	٨	٩٥	١٠٣
٢٩	الزّلزلة	٨	٩٩	١٠٧
٣٠	الكافرون	٦	١٠٩	١١٥

التّسلسل	اسم السّورة	آيات السّورة الفرديّة	رقم السّورة	جمع الآيات مع رقم السّورة
١	الأنعام	١٦٥	٦	١٧١
٢	الأنفال	٧٥	٨	٨٣
٣	يونس	١٠٩	١٠	١١٩
٤	يوسف	١١١	١٢	١٢٣
٥	طه	١٣٥	٢٠	١٥٥
٦	الشّعراء	٢٢٧	٢٦	٢٥٣
٧	يس	٨٣	٣٦	١١٩
٨	غافر	٨٥	٤٠	١٢٥
٩	الشّورى	٥٣	٤٢	٩٥
١٠	الدّخان	٥٩	٤٤	١٠٣
١١	الأحقاف	٣٥	٤٦	٨١
١٢	الفتح	٢٩	٤٨	٧٧
١٣	ق	٤٥	٥٠	٩٥
١٤	الطّور	٤٩	٥٢	١٠١
١٥	القمر	٥٥	٥٤	١٠٩

١٦	الممتحنة	١٣	٦٠	٧٣
١٧	الجمعة	١١	٦٢	٧٣
١٨	الإنسان	٣١	٧٦	١٠٧
١٩	الإنفطار	١٩	٨٢	١٠١
٢٠	الإنشقاق	٢٥	٨٤	١٠٩
٢١	الطّارق	١٧	٨٦	١٠٣
٢٢	الليل	٢١	٩٢	١١٣
٢٣	العلق	١٩	٩٦	١١٥
٢٤	العاديات	١١	١٠٠	١١١
٢٥	الهمزة	٩	١٠٤	١١٣
٢٦	الكوثر	٣	١٠٨	١١١
٢٧	النّصر	٣	١١٠	١١٣

المسألة المهمّة في الجدول الفردي للقرآن هي إنّ حاصل جمع كلّ الجدول الفردي هو (٦٥٥٥) وهو ما يعادل جمع أرقام السّور القرآنيّة.

والجدول الزوجي والفردي للقرآن يشتمل على (٥٧) سورة كلّ منها يتضمن (٣٠) سورة زوجية و(٢٧) سورة فردية.

ومن مجموع (٦٠) سورة زوجية قرآنيّة نصفها في الجدول الزوجي، والنصف الآخر في الجدول الفردي.

ومن مجموع (٥٧) سورة فرديّة، نصفها في الجدول الفردي، والنصف الآخر في الجدول الزوجي، وهذا دليل على (الإعجاز العددي) للقرآن الكريم.

الإعجاز العلمي للقرآن

قال الله سبحانه في وصفه للقرآن الكريم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾،[١]
فالآية تشير إلى أنّ القرآن كتاب هداية وحكمة، جاء لتربية الإنسان، لذا قال سبحانه:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ...﴾.[٢]

إنّ هدف القرآن تربية الإنسان، فمطالبه تصب في مجال تنمية وتكامل الإنسان نحو المراتب العالية، لذلك أشار سبحانه لبعض المطالب العلميّة وأسرار الوجود والكائنات والموجودات، الدالة على الإعجاز العلمي للقرآن، وإنّ المسائل العلميّة الّتي أشار إليها القرآن لم يكن بالإمكان فهمها في ذلك العصر إلّا عن طريق الوحي، أو من خلال التّطوّر والتقدّم العلمي للبشريّة. وإنّ ما جاء من مسائل علميّة في القرآن أثار دهشة العلماء، فكيف استطاع القرآن أنْ يذكر هذه المسائل قبل أكثر من (١٤٠٠) عام.

ومن جملة المسائل العلميّة الّتي يمكن الإشارة إليها: (مسألة الزّوجيّة) (الرّياح واللقاح)، (كلّ شيء موزون)، (الأرض كالمهد)، (دحو الأرض)، (نمو الجنين)، (الماء أصل الحياة)، (حركة الأفلاك)،[٣] وسوف نتناول كلّ واحد منها باختصار:

١. الزّوجيّة في القرآن

يشير القرآن الكريم في بعض الموارد إلى زوجيّة الأشياء، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ..﴾،[٤] وقال في مكان آخر: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[٥]

يشير سبحانه في الآيات المذكورة إلى وجود الزّوجيّة في الأشياء، حيث بيّن أنّ الزوجيّة

---

١. البقرة: الآية ٢.
٢. آل عمران: الآية ١٦٤.
٣. راجع: اعجاز علمي قرآن، القسم الثّالث والرّابع.
٤. الرعد: الآية ٣.
٥. الذّاريات: الآية ٤٩.

موجودة في حياة الإنسان، الحيوان، النّبات، وحتّى الجماد، وجميعها تتكون من ذكر وانثى، ويتكاثرون عن طريق اللقاح، فإذا كان العالم السّويدي المعروف (لينه) قد اكتشف مسألة الزّوجيّة في النباتات في القرن الثّامن عشر الميلادي، حيث قال إنّ النباتات تتكاثر كالحيوانات عن طريق الذّكر والأنثى[1] فإنّ القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً.

الزّوجيّة موجودة في كلّ الأشياء، ومن جملة الأشياء (الذّرة)، فقد تبيَّن اليوم إنّ الذّرة تشتمل على أجزاء متعدّدة، جزء منها يحمل الشّحنة السّالبة وهو (الإلكترون)، وأجزاء أخرى تحمل الشّحنة الموجبة وتسمّى (البروتون).[2]

من الممكن أن يكون المقصود من الزّوجيّة، الجنسان المتقابلان مثل: الليل والنّهار، السّماء والأرض، البرّ والبحر، الشّمس والسّماء، الجن والإنس، الليونة والخشونة، النّور والظلمة و... كما جاء في الرّواية عن الإمام الرّضا عليه السلام:

خلق الله الأشياء أضداداً لكي يعلم أنّ لا ضد له، وجعل لها قريناً كي يعلم أنّ لا قرين له، ضادّ النّور بالظلمة، والجفاف بالرّطوبة، والصّرد بالحرور، والخشونة بالليونة، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، وذلك قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3][4]

٢. الرّياح لواقح

قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ...﴾[5] تشير الآية الشّريفة الى حاجة بعض الأشجار إلى حبيبات اللقاح من أجل تكاثرها، لهذا قال سبحانه إنّ الرياح لواقح، فالآية يمكن أن تكون إشارة إلى تلقيح النباتات بواسطة الرّياح، الّتي تلعب دوراً مهما في انتقال مادة اللقاح الذّكريّة وتكاثر النباتات، وكذلك يمكن أن تكون الآية إشارة إلى دور الغيوم في التلقيح، والّتي

---

١. تفسير نمونه، ج١ص١١٥.
٢. نفس المصدر، ج٢٢، ص٣٧٦.
٣. نورالثّقلين، ج٥، ص١٣٠.
٤. الذّاريات: الآية ٤٩.
٥. الحجر: الآية ٢٢.

تؤدي إلى نزول المطر، كما جاء في الآية كلام حول نزول المطر أيضاً.

٣. كلّ شيء موزون

قال الله تعالى ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾.[١]

ورد في الآية الشّريفة أنّ: كلّ ما على الأرض، له وزن خاص، بحيث لو زادت على بعض أجزاءه شيء أو نقص منه شيء، يظهر تركيب آخر.

فالآية تشير إلى الحساب الدّقيق المتناسب في جميع النباتات، والآية رغم ورودها في النباتات خاصّة، إلّا إنّ هذا لا يمنع من سريانها لتشمل كلّ الموجودات حتّى الإنسان والحيوان و...

٤. الأرض مهاداً

قال تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا...﴾.[٢]

شبّه الله سبحانه الأرض بالمهد، المهيأ للجلوس والنوم والراحة، وكأنّ الإنسان طفل أعدّ الله له الأرض مهداً، وهيأ له كافة الوسائل الّتي تريحه وتجلب له الإطمئنان.

في الآية الشّريفة جعل الله الأرض مهداً للاستقرار والاطمئنان، وإنّ حركتها الوضعيّة والانتقالية هادئة جداً، بحيث يستطيع العيش على ظهرها براحة وأمان ببركة الجاذبية، وكذلك الطّبقة الغازية العظيمة الّتي تحيط بالأرض، فقد أشار سبحانه في الآية المذكورة إلى حركة الأرض، وأشار أيضاً إلى استقرار الإنسان عليها؛ لكي يتمكن من العيش على ظهرها وينمو ويبدع.[٣]

٥. بسط الأرض

قال سبحانه ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾.[٤]

---

١. الحجر: الآية ١٩.
٢. طه: الآية ٥٣.
٣. تفسير نمونه، ج١٣، ص٢٢٢.
٤. النازعات: ٣٠.

كلمة (دحو) بمعنى الانبساط، ويقصد بدحو الأرض إنّها كانت في البداية مغطاة بمياه الأمطار الغزيرة الّتي أنهمرت عليها مدّة طويلة، ثمّ استقرت تلك المياه تدريجياً في منخفضات الأرض، فشكلّت البحار والمحيطات فيما عَلَت اليابسة أطرافها، وتوسعت تدريجياً حتّى وصلت إلى ما هي عليه الآن من شكل.[١]

وأشاروا أيضاً إلى مسألة بسط الأرض وشكلها الكروي، حيث قالوا إنّ هذا الانبساط لا يخصّ الأرض، فقط بل يشمل حتّى السّماوات، يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٢] الآيات المذكورة تشير إلى اتساع الكون؛ لأنّ الكرة الأرضية تصبح أكبر نتيجةً للجاذبية السّماوية، وكذلك السّماوات تتوسع أيضاً بسبب سرعة المجرات ودورانها يقول (جورج جامون) في كتاب خلق العالم : «إنّ فضاء العالم المتشكل من ملياردات المجرات في حالة توسّع سريعة».[٣]

٦. أدوار الجنين

قال الله سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ* خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ* يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾.[٤]

تشير الآية الشّريفة إلى تكوّن الجنين وأنّه مخلوقٌ من ماء دافق، وكلمة (دافق) تدلّ على الخروج بشكل دفعي، وتضيف الآية أنّه يخرج من بين الصّلب والتّرائب.

وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ...﴾[٥]

الإنسان خَلَقَهُ الله من نطفة مختلطة، ربّما تكون إشارة إلى تركيب النّطفة من اختلاط نطفة الرّجل والمرأة. وتعبير (أمشاج) يشير إلى تطوّرات النّطفة في المراحل الجنينيّة.

إنّ وجود النّطفة وتركيبها، والمراحل المختلفة لنمو الجنين تعتبر من عجائب الخلقة.

---

١. تفسير نمونه ج٢٦، ص١٠٠ وج٢٢ ص٣٧٤.
٢. الذاريات: الآية ٤٧.
٣. آغاز وانجام جهان، ص٧٤، نقلاً عن تفسير (نمونه)، ج٢٢، ص٤٧٢.
٤. الطارق: الآيات ٥ ـ ٧.
٥. الإنسان: الآية ٢.

إنّ الجنين يسبح في كيس كبير فيه ماء غليظ... له خاصية مقاومة لكلّ ما يقع على بطن المرأة من ضربات، وتَحمّل حركات الأم الشّديدة، بالإضافة إلى ذلك فإنّه يحفظ الجنين بمعدل حراري ثابت، لا تؤثّر فيه تغيرات الحرارة الخارجيّة بسرعة، والجدير بالذّكر إنّ الكيس يجعل الجنين عديم الوزن، ويمنع من ضغط أعضاء الجنين بعضها على البعض الآخر ممّا يسبب ضرراً على الجنين.[1]

قال الله سبحانه في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾.[2]

تكلّم القرآن عن الجنين، وكيفية نمّوه والمراحل الّتي يمر بها، في وقت لم تُكتشف فيه تلك المراحل، فقد أشار سبحانه إلى بيان مراحل الجنين بقوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾.[3]

ذكرت الآيات المذكورة المراحل العجيبة لنمو الجنين في رحم الأم والتّغيرات الحاصلة في كلّ مرحلة من مراحل نموه.

وقد أكّد علم الأجنة المراحل الّتي ذكرها القرآن آنذاك، فبعد أن يمرّ الجنين بمرحلة (العلقة) و(المضغة)، تتبدل خلاياه إلى خلايا كبيرة، ثمّ تكسى العظام بالعضلات واللحم شيئاً فشيئاً، وقد عبرّ الله سبحانه عن تلك المرحلة (فكسونا العظام لحماً)، يعني: أخرجنا المضغة من حالة العظام.

وفي المرحلة الأخيرة، يشير إلى المرحلة الأخيرة ﴿...ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ...﴾ في نموه وهي مرحلة نفخ الرّوح بالجنين، ومنذ ذلك الوقت يصبح الجنين ذو روح.[4]

---

١. تفسير نمونه ج٢٥، ص٣٤٠.
٢. القيامة: الآيات ٣٦ ـ ٣٨.
٣. المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤.
٤. الميزان ج١٥، ص٢٠.

٧. أصل الحياة، الماء

يقول سبحانه وتعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[١] تشير الآية الشّريفة إلى أن الأصل العلمي لكلّ شيء في الحياة هو الماء، وتفصيله: إنّ حياة كلّ الموجودات ـ أعم من النّباتات والحيوانات ـ من الماء[٢] وأنّ القسم المهمّ من بدن الإنسان وكثير من الحيوانات تتشكل من الماء.

والقرآن عندما يعبر عن خلق الإنسان من التّراب والطّين، فهو يشير الى التّركيب نفسه الّذي أعد من الماء والتّراب.

قال سبحانه ﴿وَٱللهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ...﴾،[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا...﴾[٤] والّتي تشير إلى أنّ أصل خلق الإنسان من الماء، وأنّ بداية الحياة نشأت من الماء.

٨. حركة الافلاك

قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.[٥]

الآية المذكورة تُشير إلى حَركة المجرّات العائمة في الفضاء، والمقصود من حركة الشّمس، الحركة الدّائريّة حول نفسها أو حركتها مع المنظومة الشّمسية. قيل إنّ المجرات في حالة حركة دائمة، وقد اكتشف العلم بعض تلك الحركات، لكنّ القرآن الكريم أشار إليها قبل (١٤٠٠) عام.[٦]

ومن العجيب أيضاً حركة الشُّهب باتجاه الكرة الأرضية، والسّيطرة عليها بواسطة القوى والغازات المحيطة بالأرض والكواكب الأخرى.

يقول (موريسين): لو كان الجو المحيط بالكرة الأرضية أرق قليلاً من الموجود الآن، لوصلت الأجرام السّماوية والشّهب ـ التي تصيب الأرض ملايين المرات في اليوم وتحترق

---

١. الانبياء: الآية ٣٠.
٢. مجمع البيان، ج ٧ ص٧٢.
٣. النّور: الآية ٤٥.
٤. الفرقان: الآية ٥٤.
٥. الانبياء: الآية ٣٣.
٦. تفسير نمونه، ج، ص٤٠٠.

وتتهشم عند دخولها المجال الجوي ـ الكرة الأرضية وأصابت كلّ زاوية منها ولصارت الحياة مستحيلة على وجه الأرض.[١]

هل من الصحيح تطبيق الآيات القرآنيّة على الاكتشافات العلميّة؟

في الرّد على هذا السؤال يجب الإشارة إلى رأيين مختلفين ليتضح الجواب:

أوّلاً: الإفراطيون الّذين يرون إمكانية تطبيق الآيات القرآنيّة على الاكتشافات العلميّة ونظرياتها، إذا كان هناك أدنى مناسبة بين الآية وبين النّظريّة العلميّة، وإن لم تكن الفرضيّات حقائق مسلّمة، وهم يعتقدون أنّهم يسدون خدمة كبيرة للإسلام ومعارف القرآن، مع أنّ هذا الرأي غير صحيح، لأنّ الفرضيات العلميّة دائماً في حالة تغير وتحول، والقرآن ثابت.

لذا فإن تطبيق المعارف القرآنيّة على أمور متغيرة، ليس منطقياً، ولا يخدم العلم ولا للدين.

وفي مقابل هذه المجموعة، هناك آراء تفريطية، ترى بأنّه لا يحق لنا تطبيق المسائل العلميّة على الآيات القرآنيّة حتّى لو كانت مسلّمة وقطعيّة وحتّى لو كانت تلك الآيات صريحة.

وهذا أيضاً تعصب غير منطقي، لأنّ الموارد الّتي خرجت عن حالة الفرض وصارت مسلّمة وقطعية طبقاً لرأي العلماء، وعليها دليل من الآيات القرآنيّة، فما المانع من تطبيقها لتبيين عظمة القرآن الكريم في المسائل العلميّة.

إلّا أنّه يجب أن يكون التّطبيق صحيحاً، وذلك من خلال الاستفادة من الألفاظ، كالاستفادة من القواعد الأدبيّة في استنباط المعاني.

التّذكير ببعض النقاط

من الممكن أن يخطر في الذّهن بعض الأسئلة حول إعجاز القرآن، وسوف نطرح بعضها ونحاول الإجابة عليها في هذا القسم:

س: هل إنّ ادّعاء المعجزة موجود في القرآن نفسه؟ أم إنّ المسلمين هم إستنبطوه منه؟

ج: ذكر القرآن أنّه معجزة، من خلال آيات التّحدي، وأنّه كتاب خارق للعادة ولا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله.

---

١. راز آفرينش انسان، ص٣٤.

س: هل يمكن أن يكون بعض القرآن معجزة أيضاً؟

ج: بما أنّ كلّ القرآن معجزة، فإنّ بعضه معجزة أيضاً، وسورة واحدة معجزة أيضاً، وفي آيات التّحدي ورد هذا المعنى وذلك من خلال التّحدي بالإتيان بسورة واحدة.

س: هل أنّ إعجاز القرآن ينحصر في وجه واحد؟

ج: إعجاز القرآن لا ينحصر بوجه واحد، ومن الممكن أنّ يدرك كلّ عالم في مجال الإعجاز من خلال تخصّصه ومع ذلك يعتقد العلماء المسلمون إنّ الإعجاز يشمل كلّ الوجوه بعضها مع البعض الآخر، ولا يختص في وجه واحد.

س: لماذا يخلو القرآن من الشّعر؟

ج: قيل في تعريف الشّعر إنّ: (أحسنها أكذبها)، أي أنّ أفضل الأشعار أكثرها خيالاً وكذباً، وهذه الخاصّية لا تليق بشأن القرآن ولا منزلته الرّفيعة.

ففي الشّعر إفراط في المدح ومبالغة في الذّم، وتبيين الباطل على أنّه حقّ و...، وهذا لا يتناسب مع القرآن باعتباره كتاب هداية.

س: أين يكمن إعجاز الكتب السّماوية الأخرى؟

ج: لم تكن الكتب السّماوية الأخرى مثل التّوراة والإنجيل و... معجزة من جهة الفصاحة والبلاغة، ولم تصرّح بالتّحدي كما صرّح القرآن، ولم تصل إلى مكانة القرآن من حيث حسن التّرتيب فإذا شاهدنا فيها أخبار الغيب، أو امتياز من جهة أخرى، يمكن أن نُطلق عليه معجزة، ولكن هذه المعجزة في زمانها فقط، أمّا القرآن فهو معجزة حيّة في كلّ عصر و زمان، ومعجزة القرآن من كلّ الجهات، لا من جهة واحدة.

ومن الجدير ذكره إنّ (الكتاب المقدس)[1] الّذي يشمل التّوراة والإنجيل، قد تعرّض للتّحريف ويحتوي مطالب غير صحيحة، مثل نسبة الكذب إلى الله[2] جَهل الله[3]، نسبة الحسد لله[4] نسبة الجسميّة لله[5] و...

---

1. The Holy bible.

٢. كتاب مقدس، سفر التّكوين الإصحاح الثّاني الفقرة ١٧.
٣. نفس المصدر، الإصحاح الثّالث، الفقرة٩.
٤. نفس المصدر، الفقرة٢٢.
٥. نفس المصدر، الفقرة٨.

رأي بعض المستشرقين في إعجاز القرآن[1]

يقول الدّكتور (واكليري) الأستاذ في جامعة نابل: «كتاب الإسلام السّماوي، نموذج للإعجاز، ولا يمكن تقليده، فكيف يمكن لمحمّد الإتيان بمثل هذا الكتاب المعجز، وهو لم يدرس عند أحد، فنحن نشاهد هذا الكتاب مخزن لكثير من العلوم الّتي لا يمكن لبشر أن يأتي مثلها مهما كان ذكيّاً أو فيلسوفاً عظيماً، أو سياسيّاً محنكاً».

ويقول (كارلايل) في القرآن:

إذا ألقينا نظرة على القرآن ولو مرّة واحدة، تتجلى لنا الحقائق الرّاقية وخصائص وأسرار الوجود بالشّكل الّذي يبيّن مضامينه الجوهريّة، ودفائن الحقائق القرآنيّة، كما يليق بالقرآن، وهذا بحد ذاته مزية كبرى أنفرد بها القرآن، لا تجدها في كتاب علمي أو سياسي واقتصادي آخر.

نعم هناك بعض الكتب تترك أثراً عميقاً عند قراءتها، ولكنّها لا تصل إلى مستوى القرآن في تأثيره، فلا يمكن مقايستها معه.

يقول (جان ديون بورت):

القرآن مبرأ ومنزّه من كلّ عيب ونقص، ولايحتاج لتصحيح أو إصلاح، وتستطيع أن تقرأه من أوله إلى آخره دون أن تشعر بأي نوع من الملل.

ويضيف في مكان آخر:

سنين متطاولة والقساوسة يغطون في نوم عميق بعيدين عن الله، وكانوا يمنعونا من اتباع الحقائق القرآنية، المقدّسة بعيدين عن ماجاء به محمّد. وكلّما خطونا خطوة باتجاه العلم، انقَشَعت عنا حُجُب الجهل والتّعصب المقيت، وفي القريب العاجل سوف تشاهدون هذا الكتاب (القرآن) قد جذب إليه العالم، ويترك أثراً عميقاً في العلم والمعرفة ويكون محور أفكار الناس.

يقول (جول لابوم) الفرنسي:

لقد اكتسبنا العلم من المسلمين، أمّا المسلمون فقد أخذوا علومهم من القرآن فهو بحر لاينزف.

ويكتب (دينورت):

من الواجب الاعتراف بأنّ العلوم الطّبيعيّة، والفلكيّة، والفلسفيّة، والرّياضيات الشائعة في الوقت الحاضر في أوربا، هي من بركات التّعليمات القرآنيّة، فنحن مدينون للمسلمين، بل أوربا كلّها مدينة للإسلام من هذه النّاحية.

يقول (نولدكه) المستشرق المشهور: «القرآن خطف قلوب المخالفين وجذبها إليه».

---

١. المعارف الإسلاميّة، ص١٧٥.



وعندما سُئل (هربرت جورج ونو) الكاتب الإنجليزي المعروف، من قبل إحدى المجلات الأوربية عن رأيه في أعظم كتاب أثّر فيه منذ بداية التّأريخ وحتّى الوقت الحاضر.

أجاب بذكرَ اسماء بعض الكتب، إلّا أنّه قال في ختام حديثه

أمّا الكتاب الرّابع فهو القرآن؛ لأنّ التّأثير الّذي أحدثه هذا الكتاب السّماوي في العالم، لا تجد له نظيراً بين الكتب الأخرى.

ثمَّ أضاف:

القرآن كتابٌ علمي، وديني، واجتماعي، وتهذيبي، وأخلاقي، وتأريخي، وإنّ مقرراته وأحكامه متناسبة دائماً مع أصول وقوانين ومقررات عالمنا اليوم.

وكل من يختار ديناً يتماشى مع التّمدن البشري وتطوّره، عليه أن يختار الإسلام، وإذا أراد أن يحيط بهذا الدّين ويتعرف عليه، فعليه بالقرآن.

يقول (وليز)، من كبار الكتّاب الإنجليز:

كلّ دين لا يساير المدنيّة والتّطوّر، فاضربوه عرض الجدار، لأنّ الدّين الّذي لا يساير المدنيّة والتّحضر دين متخلف، ومصيره إلى الزّوال. أمّا الدّين الحقّ الّذي يساير المدنيّة فهو الإسلام، وكلّ من يريد أن يدرك هذه الحقيقة، فعليه بمراجعة القرآن وما فيه من علم وقانون ونظام اجتماعي، فالقرآن كتاب ديني، علمي، اجتماعي وتأريخي، وإذا قيل لي ما هو تعريفك للإسلام، قلت: الإسلام هو التّمدن الواقعي للبشر.

يقول أحد كبار علماء الهند:

نحن نريد أن نعرف، من أعطى هذه القدرة العجيبة لهذا الرّجل العربي؟ ومن أين جاء بقوة البيان ونفوذ الكلمة؟ وبأي وسيلة استطاع أن يفك قيد العبودية عن الإنسان؟... لا زالت دولة الهند مبتلاة بالخمور وشراب المسكرات والنصائح الّتي أخذناها عن كبار حكماء الهند لم تترك أي أثر في الحدّ من شرب الكحول...

امّا محمّد، الّذي حرّم الشّراب، فقد قام اتباعه بكسر أواني الخمور أينما وجدوها...، يا محمّد يا أيّها النّبي الحقّ، الّذي استقيت قوتّك من مصدر الجلال والعظمة الإلهيّة وعالم الغيب والأبديّة، دعني أنحني أمام عظمتك بكل تواضع.

(دكتور ماردريس) الّذي قام بترجمة (٦٣) سورة من القرآن إلى الفرنسيّة طبقاً لأوامر وزارة الثّقافة الفرنسيّة، فقد ترجمها بمشقّة شدّيدة خلال تسعة أعوام، وقام بنشرها عام (١٩٢٦) ميلادي.

يقول في مقدمة كتابه:

لا شك أنّ أسلوب القرآن هو أسلوب كلام الله، فهو يشتمل على كنه الوجود الصّادر عنه، ومن المستحيل أن يكون غيرالأسلوب الرّبوبي الإلهي... ومن العبث أن يسعى

الإنسان أن يأتي بمثل هذا النّثر الّذي لانظير له، أو يؤدي حقّه، وبالأخص باللغة الفرنسيّة الّتي هي لغة محدودة جداً.

وجاء في التّأريخ العامّ (لآلبرت ماله):

القرآن كتاب في منتهى الرّوعة والجلالة، يقوم مقام جميع الكتب، ويشتمل على جميع العلوم، بالأخص احتواءه على القانون الاجتماعي، كما أنّه يشتمل على القانون الدّيني.

يقول (عبد الباقي سرور):

المجتمعات الأوربية، تحيّرت بشكل لافت للنظر، وعندما دعا مجمع الحقوق المقارن التّابع للدولة عام (١٩٥١م) إلى عقد لجنة لبحث الحقوق الإسلامية في كلية الحقوق جامعة باريس، تحت عنوان «اسبوع الفقه الإسلامي»، دعوا خلالها مجموعة من المستشرقين وأساتذة الحقوق والقانون من الدّول الأوربيّة والإسلامية، وفي نهاية الإسبوع، تحدّث كبار العلماء مثل رئيس المحامين في باريس، فوّجه خطاباً مؤثراً وحماسياً لصالح القوانين الإسلامية، وقد صدرت آنذاك قرارات بالإتفاق تنصّ على أنّ حقوق وقوانين الإسلام صالحة لجميع الأزمنة والأمكنة وهي تلبي جميع مستلزمات الحياة، فالإسلام من هذه النّاحية غني جداً، وعنده ثروة حقوقيّة وقانونيّة هائلة.

علاوة على الأفراد الّذين ذكرناهم آنفاً، هناك العديد من المستشرقين لهم دراسات في القرآن، أكّدوا فيها على عظمة القرآن، لا مجال لبيان ذلك.[1]

المعارضون لإعجاز القرآن

ينقل التأريخ لنا إنّ هناك بعض المعاندين يقفون دائماً بوجه انتشار الدّعوة، ويصرفون الثّروات الهائلة الّتي حباهم الله بها في الصّد عن ذكر الله وإطفاء نور الحقّ.

وهناك من وقفوا بوجه الإسلام عندما انتشر نوره، فحاربوا الحقّ ووقفوا بوجه القرآن وادّعوا:

إنّنا يمكن أن نأتي بمثل القرآن، لأنّه ليس كتاب خارق للعادة ولا بالمعجز، وليس وحياً الهيّاً، بل هو كلام بشر، والبشر يستطيع أن يأتي بمثله.

وقد تجاوز بعضهم الحدود حيث عرّفَ نفسه بأنّه نبي مرسل من الله، ففضحهم التأريخ على الملأ العام.

وللتعرف على أفكار هؤلاء وأهدافهم، سوف نتناول بعض منهم، فكلّ واحد منهم كان ماهراً في الخطابة والبلاغة، لكنهم فشلوا وانكسرت شوكتهم عندما وقفوا بوجه القرآن.

---

١. دانشنامه قرآن، ص٢٠٤٦.

١. مسيلمة الكذاب

مسيلمة كان من قبيلة بني حنيفة، آمن بالرسولﷺ في عهده، لكنّه بعد فترة ارتّد عن الإسلام، مدّعياً النّبوّة، وخرج على الرّسولﷺ في اليمامة وكذّبَ رسالته.

وقيل: إنّ مسيلمة قد حلل الخمر وأسقط وجوب الصّلاة[١]: كما أرسل للنبيﷺ رسالة في السّنة العاشرة للهجرة، جاء فيها:

من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله، سلام عليكم، أنا شريكك في الأمور، فنصف الأرض لي ولك والنّصف الآخر لقريش، لكن قريش قوم متجاوزون.[٢]

وأرسل الرّسالة مع نفرين من قبيلته، أوصلاها إلى رسول اللهﷺ، وبعد أن قرأها قال لهما: (ما رأيكما بمسيلمة؟) قالا: «نحن نصدق ما جاء به». فقال الرّسولﷺ: «أقسم بالله إذا لم أكن نبيّاً لضربت الآن أعناقكم» ثمّ أجابه الرّسولﷺ بهذا الجواب:

بسم الله الرّحمن الرّحيم ـ من محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب؛ السّلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.[٣]

ومن جملة الخزعبلات الّتي قالها مسيلمة في معارضته للقرآن:

١. الفيل، وما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل.

٢. لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى.

٣. والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذّاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثّاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، أهالّة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر».[٤]

يقول (الرّافعي) في مسيلمة:

وكلّ كلامه من هذا النمط واه سخيف لا ينهض ولا يتماسك، بل هو مضطرب النّسج مبتذل المعنى مستهلك من جهتيه،[٥] فلو قارنا كلامه مع القرآن نلاحظ مدى ضآلة وسخافة كلامه قياساً إلى القرآن.

---

١. تأريخ الطبري، ج٢، ص٤٩٩.

٢. سيرة بن هشام، ج٤، ص٢٤٧.

٣. نفس المصدر، ج٤، ص٢٤٧

٤. نفس المصدر ج ٤ ص٢٤٧ وإعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، ص١٧٥.

٥. إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ص١٧٥.

٢. عبد الله بن المقفع

المعروف بابن المقفع الفارسي،[١] كان من أدباء اللّغة العربيّة المعروفين، حيث أعاد كتابة «كليلة ودمنة» بأسلوب عربي بديع.

ورد في الأخبار أن ابن أبي العوجاء وأبي شاكر الدّيصاني الزّنديق، وعبد الملك المصري وابن المقفع، اجتمعوا عند بيت‌الله الحرام وأخذوا يستهزؤن بالحجاج ويطعنون بالقرآن، قال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كلّ واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه، وقد نقضنا القرآن كلّه فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوّة محمّد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا عند ذلك وافترقوا فلما كان من قابل إجتمعوا عند بيت‌الله الحرام، فقال: ابن أبي العوجاء: أمّا أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾[٢] فلم أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآيه عن التفكر فيما سواها، فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾.[٣]

ولم أقدر على الإتيان بمثلها فقال ابن المقفع: يا قوم أن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وانا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٤] ولم أقدر على الإتيان بمثلها. فبينما هم كذلك؛ إذ مرّ بهم جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[٥]

---

١. الاحتجاج، ج٢، ص١٤٢ وبحارالأنوار، ج٨٩ ص١٦.
٢. يوسف: الآية ٨٠
٣. الحج: الآية ٧٣.
٤. هود: الآية ٤٤.
٥. الإسراء: الآية ٨٨

لقد أثبت هذه التّجربة عجز هؤلاء الأربعة عن الإتيان بمثل القرآن، رغم أنّهم كانوا من فطاحل خطباء العرب ومتكلميهم، مع ذلك وقفوا عاجزين أمام عظمة القرآن، كذلك الّذين عارضوا القرآن في زمن النبيّ ﷺ عادوا بالخزي والعار والعجز.

٣. عبد الله أبو شاكر الدّيصاني

كان يسكن الكوفة، وله مناظرات مع هشام بن الحكم، ويُعّد من الأربعة المشهورين بمعارضة الإسلام، وقد تقدّم الكلام في عجزه عن معارضة القرآن.

قيل في (أبي شاكر الدّيصاني) أنّه جاء في أواخر عمره إلى الإمام الصّادق(عليه السلام) وتاب عمّا بَدَر منه.

٤. عبدالكريم ابن أبي العوجاء

ابن أبي العوجاء، كان أحد تلامذة الحسن البصري، وله محاججات مع الإمام الصّادق عليه السلام، وهو أحد الاربعة الّذين عارضوا القرآن، كما سبق أن ذكرنا.

٥. سجاح بنت الحارث التميميّة

سجاح بنت الحارث بن سويد التّميمي، كانت تَدّعي نُزول الوحي عَليها، وتوجهت نحو مسيلمة الكذّاب وتزوجت منه، ومن ضمن العبارات الّتي عارضت بها القرآن:

«إنّ الله خلق النساء أفراجاً، وجعل الرّجال لهن أزواجاً، فتولج فيهن قعساً إيلاجاً، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجاً، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً».[١]

٦. أبو العلاء المعرّي

(أحمد بن عبد الله بن سليمان) الشّاعر، بل أستاذ الفن الشّعري، والعالم اللُّغوي، قام بمعارضة القرآن، حيث نُقِلَ عنه أنّه قال: «أقسم بخالق الخيل والرّيح الهابة بليلِ، ما بين الأشراط ومطالع سهيل، إنّ الكافر لطويل الويل، وإنّ العمر لمكفوف الذيل، تعدّ اتق مدارج السّيل، وطالع التّوبة من قبيل تنج وما أخالك بناج».[٢]

---

١. تأريخ الطبري، ج٢ ص٤٩٩.

٢. الغتنامه دهخدا (قاموس دهخدا)، ذيل كلمة أبو العلاء، ص٦٣٥.

٧. أبوالطيّب المتنبي

وهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الحمد الكندري، الأديب العربي المعروف، فقد عارض القرآن، حيث نقل عنه أنّه قال: «والنّجم السيّار والفلك الدوّار، والليل والنهار، إنّ الكافر لفي أخطار، إمض على سنتك، واقف أثر من قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيع من الحدّ في دينه وضل عن سبيله».[١]

وكلما جاهدوا في معارضة القرآن، ظهر عجزهم أكثر ولم يَصلوا إلى نتيجة تذكر، وأدركوا أنهم لا يستطيعون معارضة هذا الكتاب العظيم النّازل من عند الله، وليس باستطاعة أي بشرٍ أن يأتي بمثله، ورغم أنّهم كانوا مبهورين في القرآن إلّا أنّ روح اللجاجة الّتي تمكنتْ من نفوسهم، منعتهم من الإيمان والإنقياد لما وصلوا إليه.

عدم استجابة الرّسول لطلب المعجزة

ورد في التأريخ إنّ هناك من طلب المعجزة من رسول الله ﷺ ولكنّه لم يستجب لهم؛ لأنّ طلب المخالفين لم يكن لأجل الإيمان والمعرفة، بل لجاجاً. يمكن أن نجمل عدم استجابة الرّسول ﷺ لعدّة أسباب، منها:

أ ـ إنّ الإجابة تكون مستحيلة في بعض الموارد، كالطلب من الرّسول أن ينزل عليهم الله سبحانه، قال: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ ... تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً﴾.[٢]

ب ـ إنّ الإستجابة لبعض الطّلبات يعني عدم بقاء أحد على قيد الحياة قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ ... أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا...﴾[٣] فلو أنزل الله سبحانه تلك القطع من السّماء على رؤوس النّاس لما بقي أحد لكي يؤمن بتلك المعجزة.

ج ـ عدم إلتفاتهم إلى مقام الوحي، فقد كانوا يقولون لا نؤمن لك حتّى ينزل الوحي علينا كما ينزل عليك قال تعالى :

---

١. نفس المصدر ذيل كلمة أبو الطيب ص٥٦٦.
٢. الإسراء: الآيات ٩٠ ـ ٩٢.
٣. نفس الآية.

﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ...﴾[١]

وهكذا يظهر من الآيات، إنّ طلب المشركين غير معقول، وبعيد عن روح الحقيقة، فهم يطلبون ذلك لجاجة، لكي يؤذوا الرّسولﷺ لا طلباً للحقيقة.

المعجزة إنّما تتحقّق حينما تكون هناك ضرورة، لذلك لم يُفلح المعارضون في تحدي القرآن فصار القرآن معجزة كلّ عصر منذ صدور الإسلام وإلى يومنا هذا.

وكلّما تقادم عليه الزّمان تزداد علومه ومعارفه جلاءً ووضوحاً، ولا زالت غرائبه وعجائبه تتكشّف كلّما طالعه العلماء.

---

١. الأنعام: الآية ١٢٤.

المصادر

١. ابن أبي الأصبع، بديع القرآن، مشهد، الصحن الرضوي المقدس، ١٣٦٨هـ.ق.
٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصر، ١٣٨٥ هـ.ق.
٣. ابن الجوزي، المنتظم، الهند، حيدر آباد، ١٣٥٩هـ.ق.
۴. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، قم، مكتبة الإعلام الإسلامي، بدون تأريخ الطبع.
۵. ابن النديم، فهرست ابن النديم، ط٣، طهران، أمير كبير، ١٣٦۶.
۶. أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى، بيروت، دار الفكر العربي، بدون تأريخ النشر.
٧. الأربلي، أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تأريخ النشر.
٨. الأنصاري القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١۴٠٨هـ.ق.
٩. الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: الشيخ عماد الدّين أحمد الحيدري، بيروت، ط١، مؤسسة الكتب الثّقافية، ١۴٠۶هـ.ق.
١٠. البلاغي، محمّد جواد، آلاء الرّحمن في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، بدون تأريخ الطبع.
١١. بنت الشّاطئ، الدّكتور عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، مصر، دار المعارف، ١٣٩١ق.
١٢. التّفليسي، أبوالفضل، حبيش ابن إبراهيم، وجوه القرآن، طهران، منشورات جامعة طهران، ١٩٩٢م.
١٣. الجاحظ، عمر بن بحر، الحيوان، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ١٣٨٨هـ.ق.
١۴. الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح: محمد رشيد رضا، مصر، مكتبة القاهرة، ١٣٨١هـ.ق.
١۵. الجرجاني، شرح المواقف، قم، منشورات الشّريف الرّضوي، بدون تأريخ النّشر.
١۶. جلوه‌هاى رحمانى امام خمينى رحمه الله، ط١، المعاونيّة الثّقافيّة لمؤسسة الشّهيد، ١٣٧١هـ.ش.
١٧. الحاكم النّيشابوري، المستدرك على الصحيحين، الهند، ١٣۴٢هـ.ق.
١٨. الحسيني الزّيدي، يحيى، الطراز عن وجود الإعجاز، بدون مكان ولا تأريخ الطّبع.
١٩. الحميري، ابن هشام، السّيرة، مصر، مطبعة صبيح، بدون تأريخ الطّبع.
٢٠. الحنفي، محمّد شرف، إعجاز القرآن البياني، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، ١٣٩٠هـ.ق.
٢١. الحويزي، الشّيخ عبد على بن جمعة، نورالثّقلين، قم، مطبعة الحكمة، ١٣٨٣هـ.ق.

٢٢. خرمشاهي، بهاء الدّين، دانشنامه قرآن وقرآن پژوهشى، طهران، ناهيد، ١٣٧٧هـ.ش.
٢٣. الخطابي، أبو سليمان، محمّد بن إبراهيم، إعجاز القرآن، مصر، الطبعة الثّالثة، دار المعارف، بدون تأريخ النشر.
٢٤. خطيب، عبد الكريم، إعجاز في دراسات السّابقين، بيروت، الطّبعة الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م.
٢٥. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، أنوار الهدى، ١٤٠١هـ.ق.
٢٦. دراز، عبد الله، النباء العظيم، دار القلم، كويت، ١٩٧٠م.
٢٧. دهخدا، على اكبر، لغت‌نامه دهخدا، طهران، ١٣٤٥هـ.ش.
٢٨. دياري، محمد تقي، درآمدى بر تأريخ علوم قرآنى، قم، جامعة قم، ١٣٨٥.
٢٩. الرّازي، فخر، التّفسير الكبير، دار الكتب العلميّة، طهران، الطّبعة الثّانيّة، بدون تأريخ النّشر.
٣٠. الرّاغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، قم: إسماعيليان، بدون تأريخ النّشر.
٣١. الرّاغب الأصفهاني، مقدّمة جامع التّفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، تحقيق أحمد حسن فرحات، كويت، دارالدّعوة، ١٤٠٥هـ.ق.
٣٢. الرّافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الطّبعة التّاسعة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ.ق.
٣٣. الرّاوندي، قطب الدّين، الخرائج والجرائح، قم، مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩هـ.ق.
٣٤. رضائي الأصفهاني، محمد علي، إعجاز علمي قرآن، قم، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، ١٣٨٢.
٣٥. الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، مصر، دار المعارف، دون ذكر تأريخ النشر.
٣٦. الرّماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمّد خلف الله، مصر دار المعارف، بدون تأريخ النشر.
٣٧. الزّركشي، بدرالدّين، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، بدون تأريخ النشر.
٣٨. الزّمخشري، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل، قم، نشر البلاغة، رجب، ١٤١٣هـ.ق.
٣٩. الزّملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق، أحمد مطلوب، العراق، دار إحياء التّراث الإسلامي، ١٣٩٤هـ
٤٠. السّكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، مصر، الحلبي، بدون تأريخ النّشر.
٤١. السيّد المرتضى، الذّخيرة في علم الكلام دون ذكر تأريخ ولا مكان الطّبع.
٤٢. السيّد المرتضى، جمل العلم والعمل، بشرح الشّيخ الطّوسي، الجمعية الإسلاميّة للحكمة والفلسفة، طهران، ١٣٥٨هـ.ش.
٤٣. السّيوطي، جلال‌الدّين، الاتقان في علوم القرآن، قم، منشورات رضى، بدون تاريخ النّشر.
٤٤. السّيوطي، معترك الأقران في إعجاز الاقرآن، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨هـ.ق.
٤٥. شبّر، السيّد عبد الله، حقّ اليقين في معرفة أصول الدّين، طهران، منشورات علمى، بدون تأريخ النشر.
٤٦. الشّهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة، بدون تأريخ النشر.
٤٧. الشّيخ الصّدوق، التّوحيد، طهران، مكتبة الصّدوق، بدون تأريخ النشر.
٤٨. الشّيخ الصّدوق، علل الشّرائع، قم، مكتبة الدّاوري، دون ذكر تأريخ النشر.
٤٩. الشّيخ الصّدوق، الأمالي، بشرح آية الله الكمرئي، طهران، مكتبة اسلامية، ١٣٨٠هـ.ق.

٥٠. الشّيخ الطّوسي، التّبيان في تفسير القرآن، بيروت، إحياء التّراث العربي، بدون تأريخ النشر، بدون ذكر تأريخ النشر.
٥١. الشّيخ الطّوسي، تمهيد الأصول، شرح لرسالة جمل العلم والعمل للسيّد مرتضى، طهران، الاتحاد الإسلامي للحكمة والفلسفة، ١٣٥٨هـ.ش.
٥٢. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرّشاد بدون ذكر تأريخ النشر.
٥٣. الشّيخ الطّوسي، الرّجال، نجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨١هـ.ق.
٥٤. الشّيخ المفيد، أوائل المقالات، بمقدمه شيخ الإسلام الزّنجاني، تبريز، ١٣٧٠هـ.ق.
٥٥. صبحي الصّالح، نهج البلاغة، الطّبعة الخامسة، منشورات دار الهجرة، ١٤١٢هـ.ق.
٥٦. الصّحيفة السّجادية، طهران، منشورات أمير كبير، ١٣٥٣هـ.ش.
٥٧. صحيفة نور، مجموعة إرشادات للإمام الخميني قدس سره، طهران، مركز الوثائق الثّقافية للثورة الإسلاميّة، ١٣٦٤هـ.ق.
٥٨. الطّباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٣هـ.ق.
٥٩. الطّباطبائي، محمّد حسين، بداية الحكمة، قم، المطبعة العلميّة بدون تأريخ النّشر.
٦٠. الطّباطبائي، محمّد حسين، القرآن في الإسلام، قم، مكتب المنشورات الإسلاميّة، ١٣٧٢.
٦١. الطّبرسي، أبو منصور أحمد بن علي، الاحتجاج، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٣٧٣هـ.ق.
٦٢. الطّبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان لعلوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، بدون تأريخ النّشر.
٦٣. الطّبري، ابن جرير، تأريخ الأمم والملوك، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٣هـ.ق.
٦٤. العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، قم، جامعة المدرسين، ١٤١٢ق.
٦٥. العلامة الحلّي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، قم، مكتبة المصطفوي، بدون تأريخ النشر.
٦٦. العياشي، تفسير العياشي، المكتبة الإسلاميّة، بدون تاريخ النّشر.
٦٧. القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، بيروت، ١٣٧٨هـ.ق.
٦٨. الكتاب المقدس، فارسي، ١٩٨٧م.
٦٩. الكليني، محمّد بن يعقوب، أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، بدون تأريخ النشر.
٧٠. المجلسي، محمّد باقر، بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.ق.
٧١. معارف اسلامي، جمع من الكتاب، طهران، سمت، ١٣٧٥.
٧٢. معرفة، محمّد هادي، التّمهيد في علوم القرآن، مؤسسة النّشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.ق.
٧٣. معين، محمّد، فرهنگ معين، طهران، منشورات أمير كبير، ١٣٦٠هـ.ش.
٧٤. مكارم الشّيرازي، ناصر، التّفسير الأمثل، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٧٧هـ.ش.
٧٥. موريسين، كرستي، راز آفرينش إنسان، ترجمه محمّد سعيدي، طهران، منظمة الكتب، ١٣٥٤هـ.ش.
٧٦. الخميني، روح الله، آداب الصّلاة، طهران، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله.
٧٧. ولاية الفقيه، قم، مصطفوي، بدون تأريخ النّشر.
٧٨. مؤدب، سيّد رضا، تأريخ الحديث، قم، المركز العالمي للعلوم الإسلاميّة، ١٣٨٤هـ.ش.
٧٩. نزول قرآن ورؤياى هفت حرف، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٧٨هـ.ش.
٨٠. النّجاشي، الرّجال، قم، مؤسسة النّشر الإسلامي، ١٤٠٧هـ.ق.
٨١. نوفل، عبد الرّزاق، الإعجاز العدّدي للقرآن، القاهرة، دار الشعب، بدون تأريخ النشر.